مَقَاصِدُ العَقَائِدِ

المنهج المقاصدي

في بحث العقـائد الإسلامية

تأليف

د. أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر ٢٠٢٦

الطبعة الأولى

مقاصد العقائد

المنهج المقاصدي في بحث العقائد الاسلامية

أنور غني الموسوي

مقاصد العقائد

المنهج المقاصدي في بحث العقائد الاسلامية

أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر

العراق 2026

المحتويات

المحتويات 1
المقدّمة..... 3
كِتَابُ التَّوْحِيدِ 11
المسألة الأولى من كتاب التوحيد: (نصوص الصفات والأفعال الإلهية الكبرى)..... 11
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (مَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ اللَّهِ بِالْأَبْصَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) 18
الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (كَلَامُ اللَّهِ وَحَقِيقَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ)..... 25
الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (أَفْعَالُ الْعِبَادِ وَعَلَاقَتُهَا بِالْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ) 32
الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (حَقِيقَةُ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْمَعْرِفِيِّ وَالشَّرْعِيِّ)..... 39
الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ وَعِلَّةُ وُجُودِ الشُّرُورِ وَالْمَصَائِبِ فِي الْعَالَمِ)..... 46
الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (صِفَتَا السَّمْعِ وَالْبَصَرِ الْإِلَهِيِّ)..... 53
الْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (الْجِهَةُ وَعَلَاقَةُ اللَّهِ بِالسَّمَاءِ وَالْعَالَمِ)..... 59
الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (الِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ) 65
الْمَسْأَلَةُ الْعَاشِرَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (صِفَتَا الْمَعِيَّةِ وَالْقُرْبِ الْإِلَهِيِّ) 71
كِتَابُ النُّبُوَّةِ 77
الْمَسْأَلَةُ أُولَى مِنْ كِتَابِ النُّبُوَّةِ: (حَقِيقَةُ الْوَحْيِ) 77
الْمَسْأَلَةُ الثانية مِنْ كِتَابِ النُّبُوَّةِ: (عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ) 84
الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ النُّبُوَّةِ: (حَقِيقَةُ الْمُعْجِزَةِ وَالْآيَةِ بَيْنَ خَرْقِ النَّوَامِيسِ وَالْبَلَاغَةِ الْمَعْرِفِيَّةِ لِلْقُرْآنِ) 90
الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ النُّبُوَّةِ: (التَّفَاضُلُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَحَقِيقَةُ خَتْمِ النُّبُوَّةِ)..... 97
الْمَسْأَلَةُ الخامسةُ مِنْ كِتَابِ النُّبُوَّةِ: (عِصْمَةُ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ)..... 101
كِتَابُ الْإِمَامَةِ 107
الْمَسْأَلَةُ أُولَى مِنْ كِتَابِ الْإِمَامَةِ: (حَقِيقَةُ الْإِمَامَةِ) 107

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِمَامَةِ: (النَّصُّ وَالتَّعْيِينُ).....115
الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِمَامَةِ: (عِصْمَةُ الْأَئِمَّةِ وَالْأَوْصِيَاءِ).....122
الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِمَامَةِ: (الْمَرْجِعِيَّةُ الْمَعْرِفِيَّةُ لِلْأَئِمَّةِ وَحَقِيقَةُ عِلْمِ الْإِمَامِ) 128
الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِمَامَةِ: (غَيْبَةُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ) 135
كتاب الايمان والكفر 142
الْمَسْأَلَةُ الاولى مِنْ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: (طَبِيعَةُ الْإِيمَانِ بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ التَّحْرِيكِيِّ وَالْجُمُودِ الْمَاهَوِيِّ).....142
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: (عِصْمَةُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ الِاعْتِصَامِ الْجَمَاعِيِّ بِالْحَبْلِ وَالْمَسْؤُولِيَّةِ الِاخْتِيَارِيَّةِ) 144
الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: (عَلَاقَةُ الْعَمَلِ بِالْإِيمَانِ بَيْنَ الِاشْتِرَاطِ الْعُضْوِيِّ وَالْعَزْلِ الْمُرْجِئِيِّ).....150
الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: (حُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ) 152
الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: (الْكُفْرُ بَيْنَ الْجُحُودِ الْعَقَدِيِّ وَالْكُفْرِ السُّلُوكِيِّ الْعَمَلِيِّ).....154
كِتَابُ الدُّنْيَا.....156
الْمَسْأَلَةُ أُولَى مِنْ كِتَابِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ: (حَقِيقَةُ بِدَايَةِ الْخَلْقِ وَأَصْلِ نَشْأَةِ الْكَوْنِ) 156
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ: (خَلْقُ آدَمَ وَزَوْجَتِهِ: حَقِيقَةُ الْمَادَّةِ الْأُولَى وَسُنَنِيَّةُ النَّشْأَةِ النُّطْفِيَّةِ﴾.....161
الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ: ﴿بِدَايَةُ النَّسْلِ وَالتَّكَاثُرِ الْبَشَرِيِّ الأَوَّلِ: الْاتِّسَاقُ الْبِيُولُوجِيُّ وَبُرْهَانُ الِامْتِدَادِ وَالِانْقِرَاضِ السُّنَنِيِّ﴾.....168
الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ: (حَقِيقَةُ الْمَلَائِكَةِ وَوَظِيفَتُهُمُ الْغَيْبِيَّةُ فِي الْمَلَكُوتِ) 183
الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ كِتَابِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ: (حَقِيقَةُ الشَّيَاطِينِ وَإِبْلِيسَ وَنِطَاقُ تَأْثِيرِهِمُ الْمَعْنَوِيِّ).....190
كِتَابُ الآخِرَةِ.....197
الْمَسْأَلَةُ أُولَى مِنْ كِتَابِ الآخِرَةِ وَالْمَعَادِ: (حَقِيقَةُ الْبَعْثِ وَالْمَعَادِ الْجِسْمَانِيِّ وَالنَّشْأَةِ الْأُخْرَى) 197
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ الآخِرَةِ وَالْمَعَادِ: (حقيقة البرزخ القرآني: تفكيك وهم الدار البرزخية وإثبات الحاجز الكلي وعدم الرجعة﴾ 205
الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ الآخِرَةِ وَالْمَعَادِ: (حَقِيقَةُ الْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).....211
الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ الآخِرَةِ وَالْمَعَادِ: (حَقِيقَةُ الشَّفَاعَةِ وَمَنَالُهَا الْقَطْعِيُّ الْمُقَيَّدُ بِالْإِذْنِ وَالرِّضَا) 218
الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ كِتَابِ الآخِرَةِ وَالْمَعَادِ: (حَقِيقَةُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَدِيمُومَةِ الْوُجُودِ الأُخْرَوِيِّ الْخَالِدِ).....225

المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانِ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تَنْزِلُ عَلَى الْقُلُوبِ سَكِينَةً وَطُمَأْنِينَةً وَتَعْصِمُ الْعُقُولَ مِنْ مَزَالِقِ الْحِيرَةِ وَشَتَاتِ الْأَهْوَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاتَمُ النُّبُوَّةِ وَحَامِلُ لِوَاءِ الْحُجَّةِ الْعُلْيَا، الْمَبْعُوثُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَوْصِيَاءِ الْمَعْصُومِينَ بِالِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ، وَعَلَى أَتْبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقِيمِينَ لِلْقِسْطِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ الْأَزْمَةَ الْمَعْرِفِيَّةَ الْكُبْرَى الَّتِي أَصَابَتِ الْفِكْرَ الْإِسْلَامِيَّ عَبْرَ تَارِيخِهِ الطَّوِيلِ، وَأَوْرَثَتْ عَقْلَ الْأُمَّةِ التَّشَظِّيَ وَالِانْقِسَامَ، لَمْ تَكُنْ نَاشِئَةً عَنْ نَقْصٍ فِي نُصُوصِ التَّنْزِيلِ، بَلْ بَرَزَتْ تِلْكَ النُّقْطَةُ الْحَرِجَةُ عِنْدَمَا عُزِلَ اللَّفْظُ الْقُرْآنِيُّ عَنْ "سِيَاقِهِ التَّعْبِيرِيِّ الرِّسَالِيِّ وَالتَّحْرِيكِيِّ الْأَخْلَاقِيِّ". لَقَدْ حُوِّلَتِ الْعَقَائِدُ الْقُرْآنِيَّةُ النَّاصِعَةُ الَّتِي نَزَلَتْ لِتَكُونَ هُدًى وَبَيِّنَاتٍ، وَنُورًا يُبَدِّدُ غَفْلَةَ النُّفُوسِ، إِلَى "مَسَاحَةٍ لِلْخُصُومَاتِ الْجَدَلِيَّةِ وَالْمَنْطِقِيَّةِ الْبَارِدَةِ بَيْنَ الْفِرَقِ"؛ فَتَحَنَّطَتْ طَاقَتُهَا فِي مَتَاهَاتِ الْعَقْلِ الْكَلَامِيِّ التَّجْرِيدِيِّ بَيْنَ وُجُوبِ الْمُعْتَزِلَةِ وَتَحَكُّمِ الْأَشَاعِرَةِ وَجُمُودِ الْحَشْوِيَّةِ.

وَمِنْ رَحِمِ هَذِهِ الضَّرُورَةِ الْمَعْرِفِيَّةِ، يَأْتِي هَذَا الْكِتَابُ (مَقَاصِدُ الْعَقَائِدِ) لِيَكُونَ الْاعلان الْأَوَّلَ، وَالْحَجَرَ الْأَسَاسَ فِي حَرَكَةِ التَّصْحِيحِ الْبُنْيَوِيِّ؛ حَيْثُ نَقْطَعُ فِيهِ كُلِّيًّا مَعَ أَقْوَالِ الْفِرَقِ وَجَدَلِيَّاتِ الرِّوَايَاتِ، وَنَلْتَزِمُ الِالْتِزَامَ الْقَاطِعَ بِـ "الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ الذَّاتِيِّ" كَبِنْيَةٍ حَيَّةٍ، مُسْتَقِلَّةٍ، وَمُنْسَجِمَةٍ، لَا تُفَكَّكُ شِيفْرَاتُهَا إِلَّا بِتَتَبُّعِ مَقَاصِدِ خِطَابِهَا الرَّبَّانِيِّ.

مُحَدِّدٌ معرفيٌّ: مَاذَا نَعْنِي بِـ "مَقَاصِدِ الْعَقَائِدِ"؟

تَنْبِيهٌ وَتَقْرِيرٌ حَاسِمٌ: وَجَبَ عَلَى الْقَارِئِ أَنْ يَعْلَمَ قَبْلَ وُلُوجِ فُصُولِ هَذَا الْكِتَابِ، بِأَنَّ مَفْهُومَ "مَقَاصِدِ الْعَقَائِدِ" هُنَا لَيْسَ اِمْتِدَادًا أَوْ مُحَاكَاةً لِعِلْمِ "مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ" الْفِقْهِيِّ التَّقْلِيدِيِّ الَّذِي ابْتَنَاهُ الْأُصُولِيُّونَ (كَحِفْظِ الْكُلِّيَّاتِ الْخَمْسِ: الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالنَّسْلِ وَالْمَالِ)؛ فَتِلْكَ مَقَاصِدُ نَازِلَةٌ فِي بَابِ الْفُرُوعِ وَالْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ.

إِنَّ "مَقَاصِدَ الْعَقَائِدِ" هُوَ مَنْهَجٌ إِبْسْتِمُولُوجِيٌّ جَدِيدٌ يَبْحَثُ وَيَتَتَبَّعُ "مَقَاصِدَ الْخِطَابِ الْإِلَهِيِّ فِي مَسَائِلِ الْغَيْبِ وَالْأُصُولِ" لِإِثْبَاتِ أَنَّ كُلَّ حَقِيقَةٍ عَقَدِيَّةٍ أَوْ غَيْبِيَّةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ لَمْ تَأْتِ لِتَنْحَتَ مَعَادَلَةً ذِهْنِيَّةً سَاكِنَةً، بَلْ جَاءَتْ لِعِلَّةٍ غَائِيَّةٍ وَمَقْصِدٍ تَحْرِيكِيٍّ يَمْنَعُ تَمَلُّصَ النَّفْسِ، وَيَبْسُطُ مِيزَانَ الْقِسْطِ، وَيَقْطَعُ أَعْذَارَ الْبَشَرِ.

وَلِأَجْلِ سَبْرِ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ النَّصِّيَّةِ، نَعْتَمِدُ نِظَامًا اِسْتِدْلَالِيًّا خُمَاسِيَّ الْأَبْعَادِ، تَتَضَافَرُ فِيهِ خَمْسَةُ مَنَاهِجَ تَرْكِيبِيَّةٍ تُشَرِّحُ النَّصَّ وَتَسْتَنْطِقُهُ بِلَا إِسْقَاطَاتٍ مَذْهَبِيَّةٍ:

1. الْمَنْهَجُ الْقَطْعِيُّ: الْوُقُوفُ التَّامُّ عِنْدَ حُدُودِ "التَّسْمِيَةِ التَّوْقِيفِيَّةِ لِلْوَحْيِ" كَمَا وَرَدَتْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَالِاسْتِنَادُ حَصْرًا إِلَى التَّوَاتُرِ الْمُطْلَقِ لِلْآيَاتِ الَّذِي يُفِيدُ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ لِلْأُمَّةِ، والسنة القطعية مَعَ صِيَانَةِ دَلَالَةِ التَّرَاكِيبِ اللُّغَوِيَّةِ لِلْآيَةِ.

   فالمنهج القطعي (أصل الثبوت واليقين) يُعنى بحصر مصادر التلقي في المحكم والمتواتر، وتثبيت الحقيقة المعرفية الغيبية الصافية، مع إعلان العجز التام والكامل للعقل البشري عن تكييف الذات وصفاتها وأفعالها خارج حدود النص.

2. الْمَنْهَجُ الْعَرْضِيُّ: عَرْضُ كُلِّ مَسْأَلَةٍ عَقَدِيَّةٍ عَلَى "اِطِّرَادِ التَّنْزِيلِ" بِبِنْيَتِهِ الْمَعْرِفِيَّةِ الْوُحْدَوِيَّةِ الْمُنْسَجِمَةِ الَّتِي يُفَسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَنْفِي الِاضْطِرَابَ عَنْ كُلِّيَّتِهَا، ثُمَّ عَرْضُ هَذَا الْمُحْكَمِ النَّصِّيِّ عَلَى "الْوُجْدَانِ السَّلِيمِ وَالْبَصِيرَةِ الْفِطْرِيَّةِ" لِمَجْمُوعِ الْمُسْلِمِينَ، لِيَتَطَابَقَ الشَّاهِدَانِ فَتَسْكُنَ النَّفْسُ وَيَطْمَئِنَّ عَقْلُ الْمُكَلَّفِ.

فالمنهج العرضي (أصل الاتساق البنيوي) يُعنى بفحص تطابق المعارف والنقول وعرضها على النهر الأصيل والراسخ جداً في الوجدان الإسلامي وعقول المسلمين من كليات القرآن الكريم والسنة القطعية، وتصفية الروافد الطارئة والخرافية.

3. الْمَنْهَجُ التَّعْبِيرِيُّ: التَّفْكِيكُ الْبَلَاغِيُّ وَاللُّغَوِيُّ لِلْخَصَائِصِ السِّيَاقِيَّةِ لِلْآيَاتِ، لِإِثْبَاتِ أَنَّ لُغَةَ الْقُرْآنِ لَيْسَتْ لُغَةً هَنْدَسِيَّةً مُجَرَّدَةً، بَلْ هِيَ "لُغَةٌ رِسَالِيَّةٌ مَشْحُونَةٌ تَعْبِيرِيًّا" بِأَعْلَى طَاقَاتِ الشَّحْنِ الْوِجْدَانِيِّ وَالنَّظَرِيِّ، صِيغَتْ خِصِّيصًا لِبِنَاءِ البعد النَّفْسِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ الدَّاخِلِيِّ لَدَى الْإِنْسَانِ.

فالمنهج التعبيري (الرسالة المعرفية والوجدانية) ينفذ إلى دراسة لغة الوحي بوصفها حاملاً رسالياً مشحوناً بالطاقة العاطفية، والمعرفية، والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان، متجاوزاً التشريح الماهوي القاموسي المجرد.

4. الْمَنْهَجُ التَّأْثِيرِيُّ: اسْتِخْرَاجُ "الرِّسَالَةِ الْحَرَكِيَّةِ وَالتَّحْرِيكِ الْفِعْلِيِّ" الَّذِي يَبُثُّهُ النَّصُّ فِي جَسَدِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّ حَقَائِقَ الْغَيْبِ لَمْ تَنْزِلْ لِتُورِثَ الْقُعُودَ الْبَارِدَ أَوْ التَّقْدِيسَ السَّاكِنَ، بَلْ جَاءَتْ لِتَشْحَنَ وَعْيَ الْمُكَلَّفِ حَرَكِيًّا لِيَنْبَرِيَ فِي الْوَاقِعِ التَّارِخِيِّ حَارِسًا لِلْمِيزَانِ، أَوْ مُقِيمًا لِلْقِسْطِ، أَوْ مُعْتَصِمًا بِالذِّكْرِ.

فالمنهج التأثيري (الرسالة العملية الحركية) يمثّل النتيجة والثمرة القصوى للشحنة التاثيرية؛ حيث يقرر أن غرض الخطاب الإلهي هو التأثير المباشر على المتلقي، وبعثه، وتحريكه فعلياً وحركياً نحو العمل الصالح، والقيام بالقسط، والفاعلية الوجودية في التاريخ والأرض.

5. الْمَنْهَجُ التَّرْبَوِيُّ: الْوُقُوفُ عِنْدَ "الْغَايَةِ التَّزْكَوِيَّةِ وَالتَّعْدِيلِ السُّلُوكِيِّ" الَّذِي يَسْتَهْدِفُهُ الْخِطَابُ؛ بِتَشْرِيحِ كَيْفَ تُعِيدُ الْعَقِيدَةُ الْقُرْآنِيَّةُ صِيَاغَةَ دَوَاخِلِ الْإِنْسَانِ، وَتَطْهِيرِ بَاطِنِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ الْوَاحِدَةِ الثَّابِتَةِ فِي جِبِلَّتِهَا، لِإِخْرَاجِهَا مِنْ رَذَائِلِ الْغَفْلَةِ وَالتَّنْصُّلِ إِلَى حَيِّزِ الِاسْتِقَامَةِ وَالْيَقَظَةِ الرُّوحِيَّةِ الشَّامِلَةِ.

فالمنهج التربوي (التنبيه التزكوي والأخلاقي) يُعنى ببيان الغاية التزكوية للخطاب الموجه لطبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة في جبلّتها الفطرية السوية، لتعديل سلوك المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة الرقابة وطمأنينة الرعاية.

خَارِطَةُ الْمَشْرُوعِ وَالْكُتُبِ النَّازِلَةِ عَنْهُ

إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ (مَقَاصِدُ الْعَقَائِدِ) هُوَ الْأَصْلُ الْجَامِعُ وَالْمِعْيَارُ الْحَاكِمُ الَّذِي تَتَفَرَّعُ عَنْهُ سِلْسِلَةُ مَوْسُوعَاتِنَا الْعَقَدِيَّةِ التَّصْحِيحِيَّةِ، حَيْثُ نُطَبِّقُ هَذِهِ الْمَنَاهِجَ الْخَمْسَةَ تِبَاعًا عَلَى أُمَّهَاتِ مَسَائِلِ الدِّينِ عَبْرَ خمسة كُتُبٍ مَحْوَرِيَّةٍ وبُنْيَوِيًّا:

- كِتَابُ التَّوْحِيدِ: لِتَفْكِيكِ مَقَاصِدِ خِطَابِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَإِعَادَةِ فِقْهِ مَعْنَى الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ خَالِصَةً خَارِجَ تَقْسِيمَاتِ الْفِلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ البَارِدَةِ.
- كِتَابُ النُّبُوَّةِ: لِتَبْيِينِ مَقَاصِدِ خِطَابِ الْحِفْظِ وَالتَّحْصِينِ الرَّبَّانِيِّ فِي الْوُجُودِ (عَبْرَ فُصُولِهِ الْخَمْسَةِ: عِصْمَةُ الْكُتُبِ، عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ، عِصْمَةُ الْأَوْصِيَاءِ، عِصْمَةُ الْمَجْمُوعِ، وَعِصْمَةُ الْفَرْدِ الْمُؤْمِنِ).
- كِتَابُ الْإِمَامَةِ: لِتَشْرِيحِ مَقَاصِدِ خِطَابِ الْقِيَادَةِ الْبَيَانِيَّةِ وَالْمَرْجِعِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ بَعْدَ كَمَالِ الدِّينِ، وَكَيْفَ وُجِّهَ اللَّفْظُ لِبِنَاءِ الِامْتِدَادِ الرِّسَالِيِّ خَارِجَ أَقْوَالِ الْفِرَقِ.
- كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: لِإِعَادَةِ فِقْهِ طَبِيعَةِ الْإِيمَانِ التَّحْرِيكِيَّةِ وَعَلَاقَتِهِ بِالْعَمَلِ، وَتَفْكِيكِ سِيَاقَاتِ اللَّفْظِ السُّلُوكِيِّ لِلْكُفْرِ بَعِيدًا عَنْ إِرْهَابِ التَّكْفِيرِ وَتَمْيِيعِ الْإِرْجَاءِ.
- كِتَابُ الدُّنْيَا: لِتَتَبُّعِ مَقَاصِدِ خِطَابِ سُنَنِ الْكَوْنِ وَالِابْتِلَاءِ وَعِلَّةِ الْخَلْقِ، وَتَحْرِيرِ مَسْأَلَةِ الْإِرَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي صِيَاغَةِ الْمَسْؤُولِيَّةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ لِلْبَشَرِ.
- كِتَابُ الْآخِرَةِ: لِتَفْكِيكِ مَقَاصِدِ خِطَابِ الرُّجُوعِ وَالْجَزَاءِ وَالْبَعْثِ الْجَسَدِيِّ، لِبِنَاءِ وعِي الْمُكَلَّفِ بِحَتْمِيَّةِ الْعَدَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْعُلْيَا وَفَقَ لُغَةِ الشَّحْنِ التَّعْبِيرِيِّ لِلتَّنْزِيلِ.

إنّ كتاب (مقاصد العقائد) هو خلاصة مشروع تجديدي شامل، يتجاوز الأبحاث الجدلية العقيمة للفرق، ليعيد صياغة التدين الإسلامي على ركائز صلبة، ناصعة، نابضة بالحياة، وموجهة بالكامل نحو بناء "الإنسان الرسالي الأخلاقي الفاعل" ومجتمع الاستقامة والتزكية الكونية الشاملة تحت هيمنة كتاب الله ويقين عترة نبيه المعصومين. ونحن إذ نضع هذا السِّفْر الجامع بين أيدي الأمة، نسأل الله العلي القدير السداد والتوفيق في القول والعمل، وأن يجعله مناراً متجدداً للوعي واليقين الخالص.

واللهُ المستعانُ، وعليه التكلانُ.

المؤلف

أنور غني الموسوي

الْبُرُوتُوكُولُ الْعَمَلِيُّ الْمُعْتَمَدُ لِبَحْثِ الْمَسَائِلِ فِي كِتَابِ (مَقَاصِدِ الْعَقَائِدِ)

يُطبّق هذا البروتوكول الإجرائي الصارم بهيكليته الموسعة على كافة المسائل العقائدية والمعرفية (في التوحيد، والنبوة، والإمامة، والدنيا، والمعاد) وفق التقسيم التفصيلي الآتي:

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: صياغة تسمية موضوعية ومحايدة تماماً للمسألة المعرفية أو الوجودية بعيداً عن المصطلحات والمحمولات المذهبية المسبقة.
- محل النزاع: تحديد النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي والانحراف المفهومي الذي طرأ على المسألة تاريخياً، وكيف جرى تحويل الخطاب الإلهي من مقاصده الحية إلى صراع حول الماهيات المادية.

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي: رصد وتفكيك النقول والآراء التي وقفت عند حرفية الكلمات المفردة وقاموسيتها المعزولة عن سياق التراكيب الكلية لبناء عقائد وتصورات فيزيائية مادية (أعضاء، حركة، جغرافيا أبعاد، أدوات تكميم)، مع بيان وجه استقلاليتها العقدية الطارئة التي صدمت محكمات التنزيل والوجدان.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي: رصد وتفكيك الأطروحات الفلسفية والكلامية الجافة التي ولدت كـ "رد فعل جدلي" لمجاراة الخصوم، ومحاولاتهم معالجة الجمود اللفظي بصناعة افتراضات، ومعادلات منطقية باردة، ومستبدلات معجمية تمحيلية، مما حاد وحيّد الخطاب الإلهي عن عفوية بيانه الذاتي وجعله لغزاً فلسفياً معزولاً عن طاقته المقاصدية.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: صياغة الرأي اليقيني المستخلص وتطهيره من الركام اللفظي والتأويلي ليكون مستقراً في ساحة التدين الخالص بلسان عربي مبين.
- الدليل القطعي وثبوته: تقديم المستند اليقيني الصرف المحصور في الآيات المحكمات أو السنة المتواترة تواتراً حقيقياً مقطوعاً بصدوره بيقين يفيد العلم الضروري.
- الدلالة القطعية: إثبات أن النص قطعي الدلالة بنصه الصريح وسياقه الذي لا يحتمل وجوهاً تفسيرية متعددة ولا يقبل التخصيص أو التأويل المذهبي الجزئي.
- إعلان عجز العقل البشري: التأسيس الفلسفي لـ "العجز التام والكامل للعقل البشري" عن إدراك أو تكييف أو تصور كنه وكيفية غيب الذات الإلهية وصفاتها وأفعالها وأمرها الملكوتي خارج حدود النص التوقيفي السامع، ووجوب الوقوف المعرفي عند حدود التسمية والتلقي.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: تبيان النتيجة النهائية للمسألة من حيث تلاحمها المعرفي البنيوي مع المنظومة الدينية المستقرة، دافعة للتناقض والاضطراب.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): بيان "الجذر الكلي" والمبدأ الأساسي الراسخ في محكم الكتاب الذي يمثل النهر المعرفي الأصيل الذي ينبثق عنه هذا المضمون، واستدعاء النصوص الشواهد والقرائن السياقية والاطرادية الكلية للتنزيل التي تعضد هذا الاتساق وتثبت تناغم الوحي مبرأً من أي تعارض.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): بيان "البصيرة الفطرية، والبدائه العقلية، والمشتركات الأخلاقية" الراسخة جداً في الوجدان الإسلامي وعقول المسلمين، وتفكيك البرهنة الفطرية الذاتية (الشاهد الوجداني) التي تستجيب حتماً وتطمئن للمضمون العرضي بتظاهر الشاهدين (الرسول الخارجي المحكم، والرسول الداخلي السليم) وسقوط الروافد الخرافية والإنكارية الطارئة.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: صياغة وإبراز الخصائص والصفات التعبيرية الكبرى والروح المعرفية للخطاب التي أراد النص إيصالها وبناء الوعي الإنساني بها.

- التفصيل الدلالي: إجراء تفكيك لغوي وبلاغي وسياقي صارم واستقصائي لنصوص المسألة الخاصة بلسان العرب؛ لإثبات دلالتها التعبيرية وبيان كيف تم شحن تركيب الجملة معجمياً وسياقياً بطاقة هائلة (شحنة تعظيم الذات، أمان الرعاية، هيبة الرقابة الصارمة، جلال المسؤولية والعدالة، وبشارة القبول الفوقي) تتلاقى مع الفطرة، وتخرج الكلمة من القاموسية الحرفية الحشوية ومن البرود الاستبدالي التأويلي للمتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: صياغة المصب النهائي والغاية الوجودية القصوى للخطاب الإلهي في دفع العبد وتحريكه عملياً في واقع الحياة والتاريخ والأرض.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: تحليل استقصائي لبنية التراكيب اللغوية في الآيات لكشف كيف تتحول الشحنة التعبيرية (المقدمة النظرية) فوراً إلى "طاقة تأثيرية حركية" صريحة (عبر صيغ الأمر، التهويل الحركي، التكليف الجمعي، شحذ الهمم، وإلغاء واقع الاستسلام والخوف)؛ لتبعث المتلقي نحو القيام بالقسط، ضبط الميزان السلوكي بالمليمتر، بناء الجهوزية المعرفية، مواجهة قوى الطغيان والفساد، وتحمل المسؤولية الوجودية التامة عن كسبه وعمله.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: صياغة الثمرة الأخلاقية الروحية والنفسية المستهدفة من التوجيه الإلهي لتطهير باطن وظاهر المكلف وتصحيح نزوعه النفسي.

- مخاطبة النفس الإنسانية: بيان وتفصيل كيف يتوجه النص في تراكيبه اللغوية الفوقية ليخاطب "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس" في جبلّتها الفطرية السوية؛ لإخراجها من حيز الغفلة والهوى الركيك إلى حيز اليقظة الروحية، وبث الطمأنينة القلبية بالرعاية، والخشية الواعية بالرقابة الكونية، ليعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، مبرأً من مجرد التدين الصوري أو الجمود الماهوي الجاف.

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

المسألة الأولى من كتاب التوحيد: (نصوص الصفات والأفعال الإلهية الكبرى)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: نصوص وعلامات الصفات والأفعال الإلهية المشهودة في التنزيل (كالاستواء، والمجيء، واليد، والوجه، والمعية).
- محل النزاع: كيف نتناول المفردات والتعابير اللغوية التي أسندها الخطاب الإلهي إلى ذاته العلية في محكم كتابه؟ هل جاءت لتؤسس وتثبت "حقائق نفس–أمرية وتفصيلات كيانية وذاتية مستقلة" للخالق (ماهيات وجودية جافة)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي انبثق تاريخياً عندما تم عزل اللفظ عن "مقصد الخطاب وجوهره الرسالي والتعبيري والتحريكي الحركي" وتحويل الوحي الهدائي العفوي إلى ساحة لتشريح الغيب مادياً ومذهبياً؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يقف هذا الاتجاه عند ظاهر الكلمة المفردة وقاموسيتها اللغوية المعزولة عن سياق التراكيب الكلية وبلاغتها؛ فيرى أصحابه وجوب إمرار هذه الألفاظ على حقائقها الحسية والمادية المعهودة في الشاهد البشري، فيثبتون لله عز وجل "يداً حقيقية" (ذات أجزاء وأصابع) و"وجهاً حقيقياً" (ذات جبهة وأعين) و"استواءً" هو الجلوس والاستقرار المادي الحسي على العرش، و"مجيئاً ونزولاً" هو الانتقال الفيزيائي الحركي القاطع للمسافات والجغرافيا الوجودية، مدعين أن هذا هو "الظاهر" الذي أثبته النص، ومردفين ذلك بعبارة "بلا كيف".

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتصور كامل لبنية الذات الإلهية مستقلاً بآحاد الألفاظ والأخبار الروائية الظنية (أحاديث الآحاد) خارج سياق اطراد كليات التنزيه، فأسقط الغيب الإلهي المطلق في قوالب عالم المادة والكثافة، ووقع حتماً في فخ التبعيض العضوي، والتجسيم، والتحيّز الهندسي للأبعاد، مقيساً الخالق سبحانه على صفات الحوادث والمخلوقات.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي)

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (المعتزلة، وجمهور الأشاعرة والماتريدية) في صناعة تجريدات منطقية وتأويلات معجمية معقدة وجافة رداً على جمود الحشوية وتفادياً للتشبيه؛ فانشغلوا بـ "استبدال" المفردات القرآنية ببدائل لغوية معزولة؛ فقالوا: اليد هي (القدرة أو النعمة)، والوجه هو (الذات أو الرضا المعنوي)، والاستواء هو (الاستيلاء والقهر العسكري أو المنطقي)، والمجيء هو (جاء أمر ربك).

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة عقلية بشرية مستقلة ولدت كـ "رد فعل جدلي" لمجاراة الخصوم وإفحامهم في مناظرات علم الكلام، فتعامل مع النص البليغ وكأنه "لغز معجمي" بحاجة إلى حلول وتفكيك حروف، مما أخرجه تماماً عن عفوية السلوك اللغوي للقرآن وبيانه الذاتي، وجفف وحيّد النص من حرارته المعرفية وشحنته الوجدانية والتربوية الكبرى، فغابت الرسالة والعلة الغائية للخطاب وسط ركام الافتراضات والظنون التفسيرية للفرق.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود ‘‘البيان القرآني’’ كما ورد بلسان عربي مبين، والإيمان الجازم بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه كحقائق غيبية محكمة، وتطهير الساحة المعرفية كلياً من ركام التبعيض العضوي للحشوية ومن البرود

الاستبدالي للمتكلمين؛ فالإيمان يتوجه للمسمى الإلهي المستقر في سياق الوحي العفوي دون زيادة مادية ولا نقصان تجريدي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الشامل والمحيط هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات نفي الشبيه والمماثلة والحدود، وعلى رأسها أم الباب وعماد التنزيه: قوله تبارك وتعالى في محكم [سورة الشورى]: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وأصل الصمدية المطلقة الحاصرة في [سورة الإخلاص]: {اللَّهُ الصَّمَدُ}؛ وهذه النصوص قطعية الثبوت بالتواتر المطلق الذي يفيد العلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في آية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث جاء التركيب اللغوي مسوراً بـ نفي الجنس الحاصر الشامل {لَيْسَ} واقتران الكاف بلفظ (مثل) ليفيد قطع دابر أي مماثلة أو مشابهة ذاتية أو صفاتية أو أفعالية بين الخالق والمخلوق؛ فكل قول أو مأثور يقتضي التجزئة، أو الجوارح، أو الحركة، أو التغير، أو التحيّز الجغرافي هو باطل بيقين هذا المحكم قطعي الدلالة، والصفات توقيفية يتلقاها السمع من النص كما وردت بلا تصرفش.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة الفلسفية الذهبية للمشروع المعرفي: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إدراك، أو تكييف، أو تصور كنه وغيب الذات الإلهية وصفاتها وأفعالها خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل الإنساني محدود محكوم بقوالب المادة (الزمان والمكان والكثافة)، وبما أن الله سبحانه متعالٍ ومباين للمادة وقوانينها، فإن العقل يعلن عجز أدواته وقوانينه المعرفية والقياسية (كقياس الغائب على الشاهد) عن السريان في هذا الباب الغيبي المطلق؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي، والسكوت عما وراء النص، والإيمان بالمسميات كما جاءت {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة العقائدية بناء متماسك منسجم يفسر بعضه بعضاً وينفي الاضطراب؛ والقول الفصل في نصوص الصفات يتلاحم تلاحماً بنيوياً مع منظومة الغنى المطلق والقيومية الإلهية الشاملة، دافعاً لأي تعارض لغوي أو مفهومي.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل الحاكم في كتاب الله هو آيات الغنى والصمدية والقيومية المطلقة: {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ}، و**{اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}**. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في تفسير هذه التعابير ذاتياً بقرنها بالتدبير، والملكوت، والجزاء؛ ففي الاستواء يطرد قوله: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}، وفي المجيء يطرد سياق السطوة: {فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ} (إتيان تدمير وقدرة لا انتقال ذات)، وفي الوجه يطرد سياق البقاء والحكم المطلق: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ}، وفي المعية يطرد سياق الشهود البصير: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}. هذا الاطراد السياقي يثبت أن الروافد النصية تتسق وتصب في نهر التنزيه المحكم، وتبطل زعم الجغرافيين واللفظيين الحشوية.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البصيرة الفطرية والبدائه العقلية الراسخة جداً في وعي وعقول المسلمين بأن "موجد الأكوان ومسبب الأسباب" يستحيل بداهةً أن تحويه الاتجاهات أو يتكون من أعضاء وأجزاء؛ لأن كل مركّب ومتحيّز ومفتقر إلى أجزائه أو مكانه هو كائن حادث محتاج، والاحتياج ينافي الألوهية والوجوب الذاتي. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يستجيب فوراً ويطمئن للقول العرضي البلاغي البنيوي للقرآن؛ لأنه يجمع بين إثبات الفاعلية والصلة الإلهية العظمى بالخلق تلبية لأشواق الفطرة في اللجوء لإله قوي فاعل قريب، وبين تنزيهه المطلق عن نقص المادة؛ فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين (المحكم القرآني والفطرة السوية) وتصفية الروافد الخرافية الحشوية والتمحلات الجافة للفرق.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص وعلامات الصفات والأفعال في القرآن لم تأتِ لتنحت ماهيات فيزيائية جافة للغيب، بل إن الخصائص والصفات التعبيرية والروح المعرفية

للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى درجات الطاقة العاطفية، والمعرفية، والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان وجلال معرفته بالخالق سبحانه".

- التفصيل الدلالي: عند تفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق لسان العرب وتراكيبهم المعيارية الكلية، نجد أن كل لفظ جرى شحنه سياقياً بطاقة هائلة تخرجه عن الجمود القاموسي؛ فتركيب {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} جاء في مقام بيعة ومواثقة مشحونة بالعاطفة الروحية، فاللفظ يحمل "شحنة الأمان التام، وعظمة التأييد والنصرة، وحضور العناية الإلهية الفوقية المهيمنة" لتثبيت القلوب؛ وتركيب {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ} شُحِن فيه لفظ "الوجه" مقترناً بنعت الذات الجليلة {ذُو الْجَلَالِ} ليوصل "شحنة عقلية ووجدانية تبسط في وعي المكلف حقيقة البقاء السرمدي للمصدر المطلق للوجود وتفجر طاقة التعظيم والولاء له وحده دون فناء الأكوان"؛ وتركيب {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} شُحِن تعبيرياً بلفظ العرش (أعظم المخلوقات) والرحمة {الرَّحْمَٰنُ} ليوصل "شحنة عظمة الهيمنة، وسعة القيومية والملكوت المحيط بالكون بعد خلقه" لتقريب جلال الربوبية؛ وتركيب المعية {وَهُوَ مَعَكُمْ} شُحِن بـ "شحنة الرقابة الصارمة وطمأنينة الحضور الإلهي اللامتناهي في وعي وباطن المكلف"؛ وتركيب المجيء {وَجَاءَ رَبُّكَ} شُحِن في سياق دك الأرض بـ "شحنة التهويل، والحسم الملكوتي، وفصل القضاء والسطوة المطلقة للحق". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية نابضة تشحن وجدان وعقل الإنسان باليقين والتعظيم، مبرأة من جفاف المعاجم وتجسيد الماديين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: المصب النهائي والغاية الوجودية المعيارية للخطاب الإلهي في نصوص الصفات والأفعال هي "التأثير المباشر والفاعل على المتلقي، وبعثه وتحريكه حركياً ونفسياً نحو العمل الصالح، والقيام بالقسط، والفاعلية الحية في واقع الحياة والتاريخ والأرض"؛ فالشحنة التعبيرية (المقدمة المعرفية النظرية) تتحول فوراً في هذا المنهج إلى طاقة تأثيرية حركية (النتيجة العملية).

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية في آيات الصفات، نكشف كيف تنفذ القوة الدافعة للبعث نحو الفعل؛ فتركيب المعية {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} شُحِن تعبيرياً بالأمان والرقابة ليفجر فوراً طاقة تأثيرية عملية حاسمة عُبر عنها وصيغت لغوياً بتركيب الختام الإجرائي: {بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، فالربط متوجه كلياً نحو "العمل البشري، وتدقيقه، وتنشيط حركيته الوجودية، وبث الشجاعة المطلقة في نفس المكلف لمواجهة الباطل طالما أنه يتحرك تحت لواء السند الإلهي المباشر"، ويتجلى هذا حركياً في معية موسى وهارون {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} التي تحولت فوراً لطاقة تأثيرية تبعث على الفعل والمواجهة الصارمة للطاغية {اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ}؛ وتركيب المجيء وفصل القضاء {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} يحمل طاقة تأثيرية تحرك العبد في دار الدنيا نحو "الاستعداد العملي التام، وتطهير كسبه، والخوف الحركي الفاعل الذي يدفعه لإنصاف المظلومين وإقامة العدل قبل وقوع الدك والحسم الملكوتي النهائي"؛ وتركيب البيعة واليد فوق الأيدي {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} يحمل قوة تأثيرية حركية تقمع التكاسل والخذلان و**"تبعث المتلقي نحو الثبات الصارم على العهود والمواثيق والوفاء العملي بالمسؤولية التشريعية في الأرض"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل في التاريخ، مبرأ من جمود الهياكل المادية للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: إن العلة الغائية الحاكمة لنصوص الصفات والأفعال في التنزيل هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف البشري وتطهير باطنه وظاهره بـ "هيبة الرقابة وطمأنينة الرعاية" الإلهية المتلازمتين، وإخراجه من حيز الغفلة والهوى إلى حيز اليقظة والمسؤولية التامة.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيبه اللغوية الفوقية في آيات الصفات والأفعال ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تتأثر وتنبه وتستجيب حركياً وسلوكياً للترهيب والترغيب؛ فتركيب حلول الغضب {فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلَلْ عَلَيْهِ

غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ} ربط لغوياً وسياقياً حاصراً بـ نفي الطغيان البشري وعلاجه الأخلاقي المعياري: {وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ}، فالنص لم ينزل لتشريح ماهيات الغيب بل لتحذير وتنبيه طبيعة النفس الواحدة من السقوط في هاوية الهلاك الأخلاقي والظلم؛ وتركيب الرضا والقبول {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} جاء ليغمر النفس بطمأنينة الرعاية وبث السكينة الروحية الدافعة للاستقامة الخلقية الكاملة؛ وتراكيب الاستواء والقيومية وتدبير الأمر {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} تتوجه للطبيعة النفسية الواحدة لتقلع منها جذور القلق والاضطراب الوجودي وتزرع مكانها اليقين والأمان الأخلاقي المستند لرب حكيم مدبر محيط بالكون. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الباطن والظاهر، وتتحقق العلة الغائية والمقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف الذي أورث التشظي والنزاع التاريخي.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (مَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ اللَّهِ بِالْأَبْصَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: مسألة مقصد الإدراك والنظر واللقاء الإلهي يوم القيامة المشهودة في نصوص التنزيل.
- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليعلن ويبشر بـ "وقوع رؤية بصرية حسية مادية عضوية" تنعكس فيها الذات العلية على شبكية العين البشرية في مكان وجهة في الآخرة (ماهية وجودية مادية)، أم أن النقطة الحرجة تكمن في أن النص جاء ليحمل شحنة وبشارة غيبية لدونة صِيغت لربط وعي وعاطفة الإنسان بالصلة المعنوية الكاملة وتطلّع الوجوه لفيض الجلال، وانحرف بها الفكر عندما عزل الألفاظ عن مقاصدها وحوّلها لجدل فيزيائي في شروط الفتنة البصرية الحركية؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على الحرفية وقاموسية الألفاظ المفردة وعزلها عن تراكيبها؛ فيقرر أصحابه وقوع الرؤية البصرية الحسية العضوية بالعين الباصرة يوم القيامة حساً ومادة، مستندين لظواهر بعض الآيات المقتطعة وأخبار آحاد مأثورة شائعة في المرويات. ويستلزم قولهم هذا بالضرورة إثبات الماهية الفيزيائية وعناصر الرؤية المادية للشاهد (وهي المقابلة، والمسافة بالامتار، وتعين الجهة فوق أو أمام، وجود الضياء، وانعكاس الأشعة، وحصول الحد والحجم والحيز للذات المرئية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).
- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لبنية الغيب الأُخروي مستقلاً بآحاد الكلمات والروايات الظنية خارج سياق اطراد كليات التنزيه المطلق؛ مما

أسقط الإله الصمد في قوانين المادة والمشاهدة البشرية المحدودة القاصرة، ووقع في فخ التجسيم الصريح والتحجيم المكاني.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (المعتزلة، والمحققون) في التجريد المنطقي رداً على المجسمة؛ وانشغلوا بصناعة تقديرات ومستبدلات معجمية ومحذوفات لغوية افتراضية جافة ومعقدة، فقالوا في تركيب {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} إن "النظر" هنا هو (الانتظار لثواب الله) بفتح النون والظاء والراء، أو قدّروا محذوفاً معزولاً فقالوا: (ناظرة إلى ثواب ربها أو نعيمه أو كرامته)، مفككين اللفظ عن عفوية سياقه التعبيري البليغ.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة منطقية هندسية باردة ولدت كرد فعل جدلي ومذهبي لمجاراة الخصوم وإسقاط دلالتهم؛ فتعامل مع النص كميدان للخصومة الجدلية، فسلَب من النص جلال البشارة وعفويتها المعرفية والوجدانية الحية، وحيّد وحنّط طاقة التحريك في مشهد القيامة ووعيد الحجاب وجعله معادلة كلامية ميتة للفرق.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بنفي الرؤية البصرية الحسية المادية (التي تقتضي الإحاطة، والتغير، والتأثر الفيزيائي، والتحيّز الجغرافي) نفياً مطلقاً، وعاماً، وحاسماً في الدنيا والآخرة بيقين محكمات الكتاب؛ فذات الله غيب مطلق يتعالى عن قوانين عالم الشهادة والفيزياء، والقطع يتطلب الإيمان بما أثبته التنزيل من لقاء وتشريف غيبي دون زيادة حشوية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف المستغرق لعموم الأزمان والأحوال ببيانه الذاتي هو المحكم القاطع في [سورة الأنعام]: {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق الكافي الذي يفيد العلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} هو قطعي الدلالة بصيغته البنيوية الحاصرة؛ حيث جاء نفي الإدراك بـ (لا) النافية للجنس المستغرقة، وجاء لفظ (الأبصار) جمعاً محلى بالألف واللام ليفيد الاستغراق الشامل والمطلق لكل بصر مخلوق في كل آن ودار (دنيا وآخرة). وبما أن الآية عللت النفي بصفة ذاتية ثابتة وملازمة للخالق لا تزول بزوال الدنيا وهي كونه {اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، فإن نفي الإدراك البصري يظل محكماً ثابتاً ومستمراً في الآخرة بيقين التنزيل، وتوقيف الصفات يلزم التسليم لمدلول النفي المطلق.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير الحقيقة الإبستمولوجية العليا: "العجز التام والكامل للعقل البشري وللأبصار المخلوقة عن إدراك أو إحاطة أو تصور كيفية تجلي الذات الإلهية خارج حدود النص". البصر البشري أداة فيزيائية محدودة مصممة لالتقاط الأشعة المنعكسة على الأجسام الكثيفة المحكومة بالزمان والمكان، وبما أن الله سبحانه كامل مطلق ولا متناهٍ ومباين للمادة، فإن إحاطة البصر المحدود باللامحدود هي جمع بين النقيضين ومحال عقلاً؛ والعقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه الساقطة على الشهادة عن السريان في غيب الآخرة، فيتحقق القطع بالاعتراف بالعجز الكلّي والالتزام بالمحكم القرآني النافي للرؤية الحسية المادية.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة منسجمة يفسر بعضها بعضاً؛ ونفي الرؤية البصرية يتسق اتساقاً بنيوياً شاملاً مع آيات التنزيه المطلق {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وآيات الحجاب المعنوي، دافعاً لأي اضطراب ومصفياً لكافة الروافد الروائية الخرافية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل هو آية نفي الإدراك {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} الحاكمة والمقترنة سياقاً بقطع الطمع البشري الحسي في خرق حجب الغيب في قوله تعالى لموسى عليه السلام في محكم [سورة الأعراف]: {قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في المقابلة المعرفية الذاتية السننية؛ فـ "النظر" المسند لأهل الجنة جاء سياقاً واطراداً مفسراً بكونه إقبالاً واتصالاً معنوياً وغبطة: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، يتسق ويطرد مع جعل ذروة عقاب وعذاب الكفار النفسي هو "الحجابية والمعزولية المعنوية الشاملة" عن ربهم في قوله في [سورة المطففين]: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}. فالمقابلة مطردة: الكفار محجوبون عن رضاء الله وعنايته ورحمته، والمؤمنون وجوههم مشرقة مقبلة متطلعة موصولة بفيض الرضوان؛ وبما أن البنية الجمادية كالجبل اندكت وتلاشت أمام التجلي {جَعَلَهُ دَكًّا}، ثبت بالاضطراد عجز البنية البصرية المادية عن تحمل أو إدراك الغيب بآلية حسية، وتطهرت الساحة من روايات الأبعاد الفيزيائية الحشوية.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية المستقرة جداً في عقول وفطرة المسلمين بأن كل مرئي بالعين الباصرة لا بد عقلاً ولغةً أن يقع في جهة من الرائي (فوق أو أمام)، وأن تحوطه حدود تفرقه عن الفراغ المحيط به، والتحيّز والحد والجهة صدم لأصل الربوبية وموجب الوجود؛ فالوجدان يقطع بتعالي الخالق عن الحدود والأمكنة، ويجزم بعجز الأبصار المادية عن الإحاطة به. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يطمئن ويسكن تماماً للقول العرضي البلاغي؛ لأنه يثبت للمؤمن في الآخرة اتصالاً روحياً ومعرفياً ذروياً يتناسب مع جلال غيب الجنة، مبرأً من الصراع المادي الحسي المفتعل، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين (المحكم القرآني والوعي الفطري السليم) وسقوط روايات الحشوية وتمحلات المتكلمين الجافة.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن النصوص التي تذكر النظر واللقاء والوجوه الناضرة في الآخرة لم تسق لتحدد ماهية ميكانيكية للإبصار الحسي، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة العاطفية، والمعرفية، والعقلية الوجدانية لبناء وعي الإنسان بعظمة النعيم السعيد والصلة الروحية الغبطية المطلقة بالخالق سبحانه".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك النصوص لغوياً وبلاغياً وفق سنن وتراكيب لسان العرب المعياري، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} شُحِن سياقياً وتعبيرياً بطاقة هائلة؛ فاللفظ المفرد "نظر" أُخرج من القاموسية الحسية المجردة وجاء في تركيب {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} الجاري على لسان وعادات العرب في التعبير عن "الصلة، والرجاء، والتعلق بالمعظم، والتطلع التام لفضله وعطائه ونواله وإقبال الروح عليه" (تقول العرب في بلاغتها: عيوننا شاخصة إلى فلان، وأنا أنظر إلى الأمير؛ ولا يريدون تفرساً بالحدقة البصرية بل يريدون تطلعاً لرضاه وعنايته ونصرته). فالنص شحن اللفظ بـ "شحنة الابتهاج الروحي، والغبطة النورانية، والتشريف المقاصدي الكلي"؛ حيث تتجه الوجوه المشرقة بنضرتها {نَّاضِرَةٌ} بكامل ولائها وإقبالها النفسي والوجداني تطلعاً لفيض الرضوان والرحمة الإلهية؛ وشُحِن تركيب وعيد الكفار {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} بـ "شحنة رعب الطرد، والخذلان المعنوي الكلي، والمعزولية المطلقة عن فيض الأمان الإلهي"؛ وهذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تبني مشاعر وعقل الإنسان بالاتصال المعنوي السعيد بالجلال الإلهي، مبرأة من الكثافة المادية الحشوية والبرود الاستبدالي للمتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص اللقاء والنظر الأُخروي هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني في دار الدنيا نحو العمل الصالح، والاستقامة الصارمة، وبناء التميز الأخلاقي ليكون مستحقاً ومؤهلاً لتلك الصلة المعنوية الغيبية الكبرى يوم القيامة"؛

فالشحنة التعبيرية (البشارة والوعيد المعرفي) تتفجر طاقة تأثيرية عملية تبعث على الفعل حساً وحركة في التاريخ والأرض.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} جاء مسوراً بتقديم الجار والمجرور {إِلَىٰ رَبِّهَا} ليفيد حصر التطلع والولاء المطلق والتعلق الكلي بالربوبية، وهذا الحصر التركيبي يحمل قوة تأثيرية حركية تبعث المكلف في الدنيا نحو "تطهير وجهته السلوكية والعملية بالكامل لله، وإخلاص العمل والجهاد والقيام بالقسط، وقطع حبال التعلق والولاء للمادة وللطغاة والقوى الأرضية الزائلة طمعاً في نضرة اللقاء الختمي"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب وعيد الحجاب الحاسم {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} المسور بأداة الردع والزجر الشديدة {كَلَّا} ونون التوكيد الثقيلة والمزحلقة {لَّمَحْجُوبُونَ}؛ ليفجر هذا التهويل التركيبي طاقة تأثيرية عملية تخرق غفلة النفس وتخوفها حركياً، فـ**"تدفع المكلف دفعاً حاداً وصارماً للإقلاع عن الكسب الآثم، ومواجهة طغيان الفساد، وتدقيق ميزان عمله اليومي لئلا يقع تحت طائلة اللعنة والوقوع في هاوية الحجاب المعنوي الملكوتي العظيم"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الحركي الفاعل في واقع الوجود، مبرأ من جمود الهياكل المادية للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص النظر والحجاب هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بـ "شحنة الرغبة والرهبة المعنوية"، وإخراج طبيعة النفس من التكاسل والبلادة السلوكية إلى حيز اليقظة الأخلاقية والمسؤولية الشاملة.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيبه اللغوية الفوقية في آيات القيامة ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تتأثر وتنبه وتستجيب حركياً لطلب السعادة والفرار من

الشقاء النفسي؛ فتركيب {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} شحن لفظ "الناضرة" المستعار من نضارة النبات والماء ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة السكينة، والسرور الباطني، والرضا الأخلاقي المستقر، وتطهير النفس من أمراض القلق والاضطراب الوجودي بجرعة الأمل والبهجة الروحية الكبرى"؛ وجاء تركيب الحجاب {لَمَحْجُوبُونَ} الموجه للمطففين والآثمين ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها إلى شؤم الانحراف الأخلاقي (كالطفيف والغش والظلم) وكيف يحجب النفس تكوينياً ومعنوياً عن منبع النور والكمال، فيتعدل سلوك المكلف في الدنيا ويستقيم باطنه وظاهره بالترفع عن الرذائل"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي شتت وعي الأمة الإسلامية.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (كَلَامُ اللَّهِ وَحَقِيقَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد صفة "التكلم الإلهي" وعلامة القرآن المتلو المسموع المشهودة في نصوص التنزيل.
- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليؤسس ويثبت صفة التكلم بوصفها "صوتاً فيزيائياً بحبال وحروف لسانية حادثة مادية" (ماهية لفظية حشوية)، أم جاء ليثبت "كلاماً نفسياً أزلياً مجرداً معزولاً عن الحرف" (ماهية تأويلية كلامية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي طرأ تاريخياً عندما عُزل اللفظ الإلهي عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"، وتحول ما هو أداة تشريع وهداية ونور ملكوتي متنزّل إلى ساحة للمحنة التاريخية والتشريح المادي والمذهبي لصفات الغيب؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على المفهوم الفيزيائي الحسي المعهود للبشر في الشاهد؛ فيرى أصحابه أن إثبات صفة "التكلم" لله تعالى يقتضي حتماً وحرفاً وجوب إمرار اللفظ على إثبات صوت مادي مسموع يخرج بحبال صوتية، ومخارج حروف، ولهوات، وألسنة فيزيائية مادية شبيهة بنطق المخلوقين. وقبلوا في شروحهم مرويات قصصية وأخبار آحاد ظنية تصف نبرة الصوت وجرسه حساً وحركة ومادة، مدعين التزام "الظاهر".

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لبنية الذات الإلهية وصفاتها مستقلاً بآحاد الكلمات والأخبار الروائية المأثورة خارج سياق اطراد كليات التنزيه؛ مما أسقط الغيب المطلق في قوانين عالم المادة والكثافة، ووقع في فخ تشبيه صفة التكلم بالصفات الفيزيولوجية الحادثة للبشر وإسقاط شروط الصوت (كالذبذبات واختراق الهواء) على الخالق سبحانه.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي)

- المضمون: أغرق هذا الاتجاه (المعتزلة من جهة، والأشاعرة والماتريدية من جهة أخرى) في التجريد المنطقي رداً على الحشوية؛ فانقسموا إلى مسارين: تيار المعتزلة الذي غرق في إثبات "خلق القرآن" بالمعنى الفلسفي الحادث كبقية الأجسام الجافة نافياً قيام صفة التكلم بالذات، وتيار الأشاعرة الذي اخترع مقولة فلسفية كلامية معقدة وهي "الكلام النفسي الأزلي القديم" القائم بالذات والخالي تماماً من الحرف والصوت، معتبرين أن القرآن المكتوب والمقروء ليس هو كلام الله الحقيقي بل هو حكاية أو عبارة عنه.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار بشقيه على أطروحات ومنظومات اصطلاحية بشرية مستقلة ولدت كردود أفعال جدلية ومذهبية لمجاراة الخصوم وإفحامهم في معارك "المحنة" التاريخية؛ فأقحم العقل المحدود في تحديد وشرعنة "كيفية" وماهية صفة التكلم وعلاقتها بالأزل والحدوث بآليات منطقية جافة أخرجت النص عن عفوية بيانه الذاتي، وجففت وحيدت الرسالة المعرفية والعقلية الحية المحمولة في الوحي الخاتم.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود ‘‘البيان القرآني’’ كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى وحيه وتنزيله، تكلم به وأنزله على عبده حقيقةً لا مجازاً، وتنزيهه سبحانه تنزيهاً مطلقاً عن

الصخب المادي أو الكيف الجسدي؛ فالقرآن بين أيدينا هو تجلٍّ وتنزّل إلهي نوراني لهداية البشر، والقطع يتطلب الإيمان بمسمى النص كما ورد والسكوت عما وراء حدود التلقي السامع دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت هو التواتر القطعي الحقيقي الشامل للتنزيل كله كإضافة الكلام والقرآن للذات العلية، ومن أمهات الآيات قوله تعالى في محكم [سورة التوبة]: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ استَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث أضاف الله سبحانه المتلو والمسموع والمبلغ لنفسه إضافة صفة حقيقية بتركيب صريح مباشر {كَلَامَ اللَّهِ}، والقرينة التركيبية تقطع دابر المقولات الكلامية التي تزعم أنه حكاية أو عبارة أو مخلوق جاف، وتثبت أنه كلامه المنزل الفوقي الذي يتلقاه المكلف بالتوقيف والتسليم اللفظي المستقر دون تصرف في حقيقته الإلهية العظمى.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إدراك أو تكييف أو تصور كيفية صفة التكلم الإلهي أو سبر أغوار ذاته خارج حدود النص". العقل البشري يعجز كلياً عن فهم ماهية "الروح" التي بها يحيا {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} وهو عاجز عقلاً وبداهة وفلسفة عن فهم كيفية "تكلم الخالق"؛ وبما أن الله سبحانه مباين لخلقه، فإن قوانين الصوت والفيزياء البشرية تسقط تماماً هنا، والقول بالحدوث المادي أو القدم النفسي هو قياس باطل للغائب على الشاهد وإقحام للعقل فيما لا حكم له فيه؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والوقوف عند المسمى القرآني.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في كون القرآن كلام الله المنزل يتسق اتساقاً كلياً

مع آيات الفصل بين الغيب والمادة وعظمة التنزيل، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد والقصص التاريخية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي هو التفرقة القرآنية البنيوية الشاملة بين عالم المادة وعالم الغيب في التنزيل: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في كون القرآن من "عالم الأمر" الإلهي النوراني الفوقي المباين لعالم الخلق المادي الكثيف؛ ويتسق هذا ويطرد مع اطراد نصوص لانفاد كلمات الله وتعاليها عن النفاد كالأجسام المادية في قوله في محكم [سورة الكهف]: {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي}. هذا الاطراد السياقي الكلي يثبت أن كلمات الله وصفة كلامه لامتناهية ومتعالية عن الأطر المادية الحجمية، فبطلت الأطروحات اللفظية الحشوية التي قيدت الكلام بالهواء والحبال الصوتية، وبطلت الجدليات الكلامية الجافة، واطرد النص ناصعاً.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن مسبب الوجود وموجد الكائنات لا بد عقلاً ولغةً أن يكون آمراً ومتكلماً بما يليق بجلاله وقيوميته المطلقة، وأن ذاته المنزهة عن الأعضاء يستحيل وجداناً قياس كلامها على الأصوات الميكانيكية الحادثة للبشر. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البلاغي؛ لأن الفطرة تسلم لقرأنية الكلام وعفويته وعلو مصدره الخارجي المطلق المستقل عن الهوى البشري، ويعلن العقل عجز أدواته وقوانينه القياسية عن تشريح صفات الغيب الذاتي، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين (المحكم القرآني والوعي الفطري السليم) وسقوط روايات الحشوية وتمحلات المتكلمين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص الكلام والوحي والتنزيل لم تأتِ لتنحت معادلة مادية أو منطقية باردة، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة

خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بقدسية ومصدرية وهيبة التكليف والوحي الإلهي الخاتم".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فاللفظ أُخرج من الدلالة الصوتية العادية وجاء يحمل "شحنة المهابة، والقدسية العلوية، وسلطان الحجة النورانية الفوقية" التي تُلقى على السامع لتهز كيانه المعرفي وتطهر عقله من الأوهام؛ وشُحِن تركيب كلمات الله في قوله: {لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي} بـ "شحنة التعالي، واللامتناهية المعرفية، وعظمة الغنى اللامحدود للوحي الرباني المحيط بالوجود" لتقريب جلال الربوبية؛ وشُحِن تركيب قنوات الاتصال في قوله: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ} بـ "شحنة الجلال العظيم، والحجابية المعنوية النورانية التي تحصن الذات العلية وتعزل صفة التكلم عن السقوط في المادية الكثيفة". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تبني مشاعر وعقل المكلف بالخضوع لقدسية ال مسموع والوحي، مبرأً من حشو المجسمة وجفاف المتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص وصف القرآن بكلام الله هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الامتثال الكلي للأمر، والعمل بالشريعة حساً وحركة، والتحرك بالقرآن كقوة تاريخية دافعة لتغيير واقع الأرض ومواجهة الباطل؛ طالما أنه يتلقى أمراً ونوراً خارجياً مطلقاً ومباشراً من الخالق سبحانه"؛ فالشحنة التعبيرية (القدسية النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} جاء مسوراً بـ بتركيب الغاية {حَتَّىٰ} وأمر الحماية والأمان {فَأَجِرْهُ} {أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ}، ليفجر هذا التناغم

التركيبي طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث المكلف نحو "إقامة الحجة المعرفية البلاغية بالقرآن أولاً، وبسط قيم الأمان والعدل حتى مع المخالف، والتحرك بالوحي كرسالة هداية ودعوة حركية فاعلة تتجاوز الخوف والقعود"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب فصل عالم الأمر عن عالم الخلق {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} المسور بأداة التنبيه والاستفتاح الصارمة {أَلَا}؛ ليوصل هذا الحسم طاقة تأثيرية عملية تقمع الهوى البشري، فـ**"تدفع المكلف دفعاً حاداً وصارماً للامتثال والاتّباع الحركي للقرآن بوصفه أمراً ربانياً فوقياً معصوماً واجباً الحركية والتطبيق، وقطع التخرصات البشرية والمذاهب المادية والسياسية الزائلة"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل بفيض الوحي، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص كلام الله والقرآن هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة التلقي والمسؤولية الشاملة، وإخراج طبيعة النفس من الغفلة والبلادة السلوكية إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً لجلال الوحي والأمر؛ فتركيب {ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} بعد سماع كلام الله شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة النقاء الأخلاقي والعدالة الإنسانية التي تسمو بالبشر فوق الخصومات المادية، وتنبيه النفس إلى أن الغرض من سماع القرآن هو بلوغ الطمأنينة والأمان النفسي والمعرفي"؛ وجاء وصف القرآن بـ النور والذكر والهدى {قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تطهيرها وتعديل سلوكها بالكامل بالانقياد لسُبل السلام الداخلي والخارجي والترفع عن رذائل الطغيان والظلم والتشظي المذهبي"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق

الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي عطّل طاقة الوحي التاريخية وحولها لمعادلات كلامية ميتة.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (أَفْعَالُ الْعِبَادِ وَعَلَاقَتُهَا بِالْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد نسبة "الفعل البشري والقدرة الاختيارية" وعلاقتها بنفاذ "المشيئة والقيومية الإلهية" المشهودة في نصوص التنزيل.
- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي ليثبت حتمية قاهرة تسلب العبد إرادته وتجعله مجبراً مسيراً كالمادة الصماء (ماهية لفظية جبرية)، أم جاء ليثبت تفويضاً مطلقاً يعزل الخالق عن ملكه ويجعل العبد خالقاً مستقلاً لأفعاله (ماهية تأويلية تفويضية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"، وتُركت التراكيب الجامعة التي تحمي العدل والقيومية معاً ليتحول الوحي الهدائي إلى معادلات كلامية وجدلية حول ماهيات القهر والحرية؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على آحاد الألفاظ وسياقات نصوص المشيئة المطلقة والقدر عازلاً إياها عن تراكيبها البلاغية؛ فيقرر أصحابه أن الإنسان مجبر مسير لا إرادة له ولا اختيار حقيقةً، وأن أفعاله الاختيارية هي فعل الله فيه مباشرة كحركة المريض المرتعش أو الريشة في مهب الريح. وقبلوا في شروحهم مرويات وأخبار آحاد ظنية تؤسس لحتمية مادية قاهرة تسقط التكليف، مدعين أن هذا هو الجمود على "ظاهر" نصوص المشيئة والقدر.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتصور كامل لبنية الأفعال الوجودية مستقلاً ببعض النصوص والرويات المأثورة الطارئة، وصدم حتماً بآيات العدل، والمسؤولية، والجزاء، والابتلاء؛ مما أسقط الحكمة والرحمة الإلهية في قوالب القهر المادي، وحول العذاب والثواب إلى ظلم وجودي تعالى الله عنه علواً كبيراً.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه في التجريد المنطقي والجدلي رداً على الجبرية؛ فانقسموا إلى مسارين: تيار التفويض (المعتزلة) الذي غرق في إثبات استقلال العبد التام والمطلق بخلق أفعال نفسه وتوليدها بعيداً عن عموم القيومية والمشيئة الإلهية لئلا يُنسب الشر إلى الله؛ وتيار الكسب (الأشاعرة) الذي حاول التوفيق بين القوتين باختراع مقولة فلسفية كلامية معقدة وجافة لا حقيقة لها في سياق الوحي وهي "الكسب الأشعري" (الذي قيل عنه في مدونات الفكر إنه مما لا يعقل).

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار بشقيه على أطروحات ومنظومات اصطلاحية بشرية مستقلة ولدت كردود أفعال جدلية ومذهبية لمجاراة الخصوم؛ فأقحم العقل المحدود في تكييف وفلسفة "كيفية" اتصال الإرادة الإلهية بالبشرية، وعزل القيومية أو أنتج مصطلحات باردة ومستقلة أخرجت النص عن عفوية بيانه الذاتي، وجففت وحيدت الرسالة المعرفية والعملية الحية المحمولة في الخطاب الشريف.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود ‘‘البيان القرآني’’ كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان والاعتراف الجازم بحقيقتين متلازمتين لا تنفكان في عقيدة التوحيد: الأولى أن الله سبحانه وتعالى له القيومية والمشيئة المطلقة والهيمنة الشاملة على كل ذرة في الوجود، والثانية أن الإنسان مريد، ومختار، ومسؤول عن فعله وكسبه مسؤولية

تامة وبناءً عليها يقع الثواب والعقاب؛ وتطهير الساحة المعرفية كلياً من أوهام الجبر وسقوط التفويض المعزول، فالقطع يتطلب قبول النصين معاً دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت هو التواتر القطعي الحقيقي الشامل للتنزيل كله كإسناد العمل والجزاء والمسؤولية للعبد مقروناً بعموم القدرة، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في [سورة التكوير]: {لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ حيث أثبت للعبد أولاً مشيئة واختياراً حقيقياً متعلقاً بالتكليف والسلوك البشري {لِمَن شَاءَ مِنكُمْ}، ثم أتبعها فوراً ببيان أن هذه المشيئة البشرية ليست منقطعة عن الوجود ولا مستقلة استقلالاً يخدش القيومية، بل هي قائمة ومستمرة داخل محيط المشيئة الإلهية المهيمنة {إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ}، والقرينة التركيبية تقطع دابر المقولات الكلامية للفرق، وتوجب التوقيف والتسليم للحقيقتين معاً كما وردتا بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إدراك أو تكييف أو تصور كيفية اتصال ونفاذ المشيئة الإلهية الغيبية بالإرادة الإنسانية خارج حدود النص". العقل البشري محدود محكوم بقوانين المادة والكثافة، وبما أن علم الله ومشيئته صفات غيبية مطلقة مباينة لصفات خلقه، فإن قياس الإرادة الإلهية على الإرادات البشرية المتصادمة مادة هو قياس باطل؛ والعقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه عن سبر كنه هذا التلازم الغيبي والنفاد الملكوتي اللامتناهي؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والوقوف عند حدود المأثور القرآني الجامع.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في الجمع بين المشيئتين يتسق اتساقاً كلياً مع آيات نفي الظلم وعظمة القيومية، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد والقصص الجبرية والتفويضية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد نفي الظلم عن الذات الإلهية وعموم المسؤولية الإنسانية في التنزيل: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}، وأصل نفوذ الكسب والعمل الحقيقي: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في كون العبد فاعلاً حقيقياً ومسؤولاً؛ فلو كان الإنسان مجبراً لكان العقاب ظلماً ينفيه المحكم {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ}، ولو كان الخالق معزولاً عن مشيئة العبد لاختلت القيومية الكونية؛ لذا جاء الاطراد متناغماً يثبت الاختيار البشري مع عموم المشيئة الإلهية كقوله في [سورة الإنسان]: {إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ}، فالبيان يطرد بيقين المحكم وتتصفى الروافد الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين التي تجد فرقاً ضرورياً وقاطعاً بين حركتها الاختيارية الواعية (كالمشي والكتابة وسلوك الطاعة) وحركتها الاضطرارية الجبرية (كالمرض والارتعاش والسقوط)، فالفطرة تشهد بالاختيار والمسؤولية حتماً وتستجيب للتشريع. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البلاغي؛ لأن العقل يعلم بطلان قياس الخالق على المخلوق (إذ لو التقت إرادتان لبشرين لتصادمتا أو ألغت إحدى المادة الأخرى، ومشيئة الله متعالية عن نواميس المادة)؛ فيعلن العقل عجز أحكامه عن سبر كيفية النفوذ الغيبي للقدر، ويسكن للبيان القرآني الذي يحفظ العدل والقيومية معاً، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص الإرادة والمشيئة والكسب لم تأتِ لتنحت معادلة مادية أو منطقية باردة، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بمسؤوليته المطلقة عن كسبه وعظمة هيمنة الربوبية المحيطة بحركته وجودياً".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص قدم إرادة العبد مشحونة بـ "شحنة المسؤولية، والحرية والتمكين الذاتي للتكليف" بتركيب الاستقامة {أَن يَستَقِيمَ} لتبث في وعيه جلال الاختيار، وجاء تركيب الاستثناء {إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ} متبوعاً بنعت الربوبية الشاملة {رَبُّ الْعَالَمِينَ} ليشحن اللفظ بـ "شحنة العظمة، والإحاطة الكونية، والتعالي الغيبي اللامتناهي للقيومية الإلهية" لكي لا يشعر العبد بالانفصال أو الاستقلال الشركي عن موجده؛ وشُحِن تركيب الكسب في قوله: {لَهَا مَا كَسَبَتْ} بـ "شحنة التمليك والالتصاق المعنوي والوجودي التام بين العبد وعمله" لتقريب جلال العدالة. هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالهيبة والاعتراف بفيض القدرة، مبرأً من حشو المجسمة وجفاف المتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص المشيئة والكسب هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الفعل، والامتثال، والعمل الصالح، والتحرك لإصلاح النفس والأرض؛ طالما أنه يملك إرادة حقيقية متعلقة بالتكليف ومحاطة برعاية وتأييد القيومية الإلهية العليا"؛ فالشحنة التعبيرية (المسؤولية النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ} جاء بصيغة تركيب الصلة الشرطية ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية للاستقامة، وقطع التكاسل والقعود تحت شماعة القدر الحتمي، والبعث نحو اتخاذ القرار السلوكي الواعي والمباشر في واقع الحياة"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب إلحاق المشيئة بالربوبية الكونية {إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} المسور بأداة الحصر {إِلَّا}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي الخوف الوجودي من القوى المادية الأرضية، ف**"تمنح العبد شجاعة حركية كاملة وقوة دافعة للمضي في خط الاستقامة والعمل، معتمداً ومستنداً لرب العالمين المحيط بكل حركة وسكون في الكون، طارحاً أوهام الجبر الحشوي وعزلة التفويض المعتزلي"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل الصامد، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص المشيئة والعمل هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة المسؤولية وطمأنينة التفويض العبادي، وإخراج طبيعة النفس من التباهي الاستقلالي أو الخنوع الجبري إلى حيز اليقظة الأخلاقية والاتساق التام.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للتوازن السلوكي؛ فتركيب ربط التلازم بين الإرادتين بصفة العلم والحكمة الإلهية في قوله في [سورة الإنسان]: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة التواضع الأخلاقي والترفع عن رذائل الغرور والاستكبار المعرفي بأن العبد لا يستقل بالوجود، وفي ذات الوقت تنبيه النفس إلى أن كسبها مرصود بعلم وحكمة غيبية لا ظلم فيها"؛ وجاء إسناد الكسب حقيقة {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} ليخاطب

وجدان النفس الواحدة بـ**"تطهيرها وتعديل سلوكها بالكامل بالاعتراف بالتبعات الأخلاقية والمسؤولية الكاملة عن الخطأ والصواب والترفع عن رذائل التواكل وإلقاء اللوم على المقادير"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي مزق وعي الأمة.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (حَقِيقَةُ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْمَعْرِفِيِّ وَالشَّرْعِيِّ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- العنوان المجرد: حقيقة وماهية ومقصد إدراك "الحُسْن والقُبْح" وعلاقة بصيرة الوجدان البشري بسلطة التشريع الإلهي والحجية المشهودة في نصوص التنزيل.
- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي ليجرّد العقل والوجدان من أي بصيرة مسبقة ويجعل التكليف والجزاء حكماً توقيفياً عابراً لا قيمة للفطرة معه (ماهية لفظية توقيفية محضة)، أم جاء ليثبت للعقل سلطة ذاتية مستقلة ومنشئة للحجية وترتيب العقاب والثواب بمعزل عن الغيب (ماهية تأويلية عقلانية مستقلة)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي طرأ تاريخياً عندما عُزل اللفظ عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"، وتحول ما هو تكامل بنيوي بين رسول الداخل (الوجدان) ورسول الخارج (الوحي) إلى معادلات مذهبية باردة حول الصلاح والأصلح؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه (جمهور الأشاعرة وأهل الحديث) على ظواهر ألفاظ الأمر والنهي عازلاً إياها عن الطبيعة الفطرية الموحدة؛ فيقرر أصحابه أن الأشياء ليس لها حسن ولا قبح ذاتي البتة، بل الحسن ما حسنه الشرع بنصه والقبيح ما قبحه الشرع بنصه فقط، وإذا عُدم النص فلا حكم ولا بصيرة ولا قبح ولا حسن في الوجود. واعتبروا أن العقل البشري أعمى بالكامل قبل نزول الورقة التشريعية، فلا يدرك قبح الكذب ولا حسن العدل بذاته.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد للقيم الأخلاقية مستقلاً بظاهرية جافة جردت الإنسان من بصيرة جبلّته، مما أوقع الوعي في مأزق معرفي جعل التكليف والشرع يبدو وكأنه نظام تحكمي عابر يصدم بدائه العقول ويحظر على الوجدان حق التعرّف على جمال المعروف وقبح المنكر المعروضين في الرسالة.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (المعتزلة) في التجريد المنطقي رداً على التوقيفيين؛ فادعوا أن العقل البشري يملك سلطة ذاتية مستقلة تماماً ومطلقة لإدراك حسن وقبح الأشياء حقيقة، وأن هذه البصيرة العقلية كافية بمفردها لإنشاء الحجية المعرفية وترتيب الوجوب الأخلاقي، وإيجاد الشكر للمنعم، واستحقاق الثواب والعقاب والمسؤولية بين يدي الله حتى قبل ورود أي وحي أو بعثة أنبياء في التاريخ.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة عقلية بشرية مستقلة ولدت كرد فعل جدلي ومذهبي؛ فجعل العقل سلطة تشريعية وحاكمة موازية لسلطان الله ومحيطة بمرادات الغيب، مما أخرجه عن طوره المعرفي المحدود وأقحمه في فرض قضايا منطقية افتراضية على الحكمة الإلهية، مجرداً الوحي والرسالة من ضرورتهما الوجودية العليا في التأسيس للحجية والجزاء الختمي.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم بأن التحسين والتقبيح التشريعي والديني المترتب عليه المسؤولية الكبرى والثواب والعقاب والجزاء الأُخروي هو حق خالص لله تعالى وأمر توقيفي غيبي لا ينشئه ويؤسس حجيته إلا الوحي الخارجي؛ مع الإقرار الكامل بالعجز التام للعقل عن التشريع المستقل؛ وتطهير الساحة كلياً من الجفاف التوقيفي ومن الغلو

العقلاني التفويضي؛ فالشرع هو المنشئ للحكم والتكليف والوجدان هو القابل والمصدق له فور نزوله، دون تداخل في الصلاحيات الوجودية.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات تعليق المسؤولية والجزاء ببعثة الرسل وقيام الحجة بالنصوص، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في [سورة الإسراء]: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث علّق الله سبحانه ونفى وقوع الجزاء والعقاب {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ} بأداة النفي الشاملة وصيغة الاستقبال، وجعل الشرط والغاية الحاصرة هو "بعثة الرسول" {حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} بالنص والتوقيف والتشريع الفوقي؛ والقرينة التركيبية تقطع دابر المقولات الكلامية للمعتزلة؛ إذ لو كان العقل مستقلاً بإيجاد الحجية والعقاب لما كان لتعليق الحكم بالرسل أي معنى، فثبت التوقيف المعرفي للجزاء بيقين المحكم.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن تشريع الأحكام المطلقة، أو الجزم بالحسن والقبح الكليين في ميزان الله خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود قاصر النظر محصور في حدود تجاربه الحسية المادية المتغيرة، وبما أن معايير الدين والتشريع والجزاء تتطلب إحاطة كلية شاملة بالغايات والعواقب وغيب الكون، فإن العقل يعلن عجز أدواته وقوانينه عن الاستقلال بإنشاء شريعة أو فرض وجوب على الغيب؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والالتزام بتوقيف النص وبلاغه المعصوم.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في تكامل الشرع والفطرة يتسق اتساقاً كلياً مع آيات وصف الدين بالمعروف وفطرة النفس الواحدة، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد التوقيفية الجافة والعقلانية المعزولة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد وصف التشريع الإلهي بـ "المعروف والمنكر" المتطابق مع جبلّة الفطرة في التنزيل: {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ}، وأصل فطرية النفس البشرية الواحدة: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في أن وظيفة الشريعة هي إظهار ما تقتضيه الفطرة وتفصيله؛ فالقرآن سمى أمره "معروفاً" لأن الوجدان البشري السليم يعرفه بداهة ويتعرف عليه إذا سمعه، وسماه "منكراً" لأن الفطرة تنكره بطبيعتها؛ ويتسق هذا ويطرد مع انقطاع الحجة بالرسل في قوله في [سورة النساء]: {رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}. فالحجة منشأة بالنص، والوجدان كاشف وقابل، والبيان يطرد بلا تعارض وتتصفى الروافد الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين التي تقر بقصور النظر البشري ووقوعه في الحيرة واضطراب المعايير الأخلاقية عند محاولة وضع قوانين مطلقة وثابتة (كأحكام المواريث والعبادات والحدود) بمعزل عن الوحي، فالعقل أحكامه ذاتية متغيرة حسب المنفعة والمحيط والزمان. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن الوجدان يسكن عندما يعلن العقل عجز أدواته عن التشريع المستقل ويستقبل الشريعة اليقينية الثابتة من الخالق بوصفها المرجعية المطلقة التي تسدد الفطرة وتمنع الهوى البشري من التلاعب بالقيم؛ فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين (المحكم القرآني المنشئ، والوجدان القابل المصدق).

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص الأمر والنهي والبعثة لم تأتِ لتنحت معادلة مادية أو منطقية باردة، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة

خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بجمال وطهارة التكليف الإلهي وتناغمه المطلق مع باطن وجدانه وفطرته".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص قرن التشريع بألفاظ شُحنت بـ "شحنة القبول، والألفة، والطهارة، والملاءمة الفطرية الوجدانية الكاملة" كتركيب {بِالْمَعْرُوفِ} و{الطَّيِّبَاتِ} لتبث في فؤاد المكلف سرور الاستجابة وعفوية التلقي، وقرن النهي بألفاظ شُحنت بـ "شحنة النكارة، والاشمئزاز، والرفض الذاتي للفطرة السوية" كتركيب {الْمُنكَرِ} و{الْخَبَائِثَ} ليوصل شحنة وجدانية تعزل النفس عن الرذيلة؛ وشُحِن تركيب قطع الحجة في قوله: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} بـ "شحنة الحسم، والقطع المعرفي الصارم، وإقامة ميزان الحق الرباني الفوقي" فوق تخرصات العقول. هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالاعتراف بجمال وجلال الشريعة، مبرأً من حشو التوقيفيين الحشوية وجفاف المتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص التحسين والتوقيف هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الاستجابة الفورية للأمر، والتحرك لتطبيق الطيّبات ومحاربة الخبائث حساً وحركة، وقطع المعاذير العقلية والتعللات النفسية للقعود والكسوف المعرفي؛ طالما أن الحجة قد قامت عليه ببعثة الرسول وبلوغ النص المعصوم"؛ فالشحنة التعبيرية (طهارة التشريع النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} جاء بصيغة تركيب

الغاية الحاسمة ليفجر طاقة تأثيرية عملية ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية لطلب العلم والمعرفة بالنص، وسقوط معاذير الجهل بعد البلاغ، والبعث نحو التزام التكليف بمسؤولية حركية كاملة في واقع الحياة"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب الأوامر الحاصرة للحل والحرمة بالربوبية {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} المسور بأداة الحصر {إِنَّمَا} وتركيب الفصل المتلازم {مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تقمع الهوى، فـ**"تدفع العبد دفعاً حاداً وحركياً لتطهير سلوكه العلني السافر وباطنه الخفي من الخبائث، والتحرك لامتثال الشريعة بقوة وفاعلية وجودية صامدة، طارحاً أوهام الجمود التوقيفي للأشاعرة واستقلالية المعتزلة المعزولة عن الوحي"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل الصادق، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص التحسين والتشريع هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة التلقي والانسجام الأخلاقي التام، وإخراج طبيعة النفس من التمرد أو البلادة التوقيفية إلى حيز اليقظة الأخلاقية والاتساق مع الفطرة.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للتكامل بين العقل والشرع؛ فتركيب إزالة الأغلال والأصر عن الرقاب في قوله في [سورة الأعراف]: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة التحرر الأخلاقي والنعيم الروحي المستقر بأن الشريعة جاءت لتنقذ الوجدان من أغلال الحيرة وأوهام الجاهلية وتعديل سلوك النفس بتذوق حلاوة الحرية الأخلاقية المسددة بالوحي"؛ وجاء النهي عن القول على الله بلا علم {وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تطهيرها وتعديل سلوكها بالكامل بالاعتراف بقصورها المعرفي

الذاتي والترفع عن رذائل التخرص والابتداع الفكري في الدين والعقيدة"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي عطّل طاقة الرسالة وحركيتها الأخلاقية في التاريخ.

الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ وَعِلَّةُ وُجُودِ الشُّرُورِ وَالْمَصَائِبِ فِي الْعَالَمِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد وقوع "المصائب والنقص والشر النسبي" وعلاقتها بعدل ورحمة وقضاء "الربوبية والقيومية المطلقة" المشهودة في نصوص التنزيل.
- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليؤسس لعقيدة حتمية مادية قاهرة تلغي الأسباب وتجعل الله مريداً للشر والفساد لذاته بلا حكمة ظاهرة (ماهية لفظية حتمية)، أم جاء لينكر القضاء والقدر لشدة النزوع التنزيهي البشري ويخترع قواعد عقلية يفرضها على التدبير الإلهي (ماهية تأويلية خصومية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"، وتحول ما هو نظام ابتلاء وتمحيص ومسؤولية إنسانية لبناء الوعي إلى ساحة للمحاكمات المنطقية الجافة حول مسائل الأصلح والتعليل؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على آحاد نصوص القدر والمقادير المأثورة بطريقة ميكانيكية تلغي فاعلية الأسباب الكونية وحرية الاختيار البشري؛ فيقرر أصحابه أن الله سبحانه أراد الشرور والآثام ورضيها كأفعال مجردة بلا علة ولا حكمة، مسقطين مفهوم "المشيئة المادية القهرية" على المصائب والجرائم والفساد، وسالبين الإنسان مسؤوليته الكاملة في مدافعة الشر وإقامة العدل، مدعين أن هذا هو الامتثال لحرفية النصوص.
- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتصور للتدبير الكوني مستقلاً بآحاد الكلمات والمرويات الروائية الظنية (أحاديث الآحاد الحتمية)، فصدم حتماً بأصل

العدالة الإلهية والرحمة الشاملة المحكمة في الدين؛ مما أسقط الوجود في قوالب العبثية والقهر المادي، وجعل الجريمة التاريخية والفساد يبدوان وكأنهما مرادان ومفروضان إلهياً حساً ومادة.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه في التجريد المنطقي ومحاكمة أفعال الله بقوانين الأخلاق البشرية الجزئية؛ فانقسموا إلى مسارين: تيار المعتزلة الذي أنكر تعلق القضاء والقدر بأفعال العباد والشرور لئلا يُنسب النقص إلى الله (تجريد معزول)، وتيار الأشاعرة والماتريدية الذين غاصوا في جدليات "مسألة الأصلح" ومفهوم "التعليل" وافتراض قواعد ومنظومات منطقية معقدة لحل النزاع رداً على الخصوم.
- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار بشقيه على أطروحات ومنظومات عقلية مستقلة ولدت كردود أفعال صراعية ومذهبية؛ فأقحم العقل البشري المحدود في غيب التدبير الإلهي وعلل الغايات، وحاول إخضاع مشيئة الله لمحاكمة علوية بقوانين المادة والشاهد، مما أخرج النص عن عفوية بيانه الذاتي، وجفف وحيّد الرسالة العملية الحركية المحمولة في نصوص الابتلاء الكوني.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان المطلق واليقيني بأن كل ما يجري في الكون من حركة وسكون، وخير ونقص (شر نسبي)، هو واقع بقضاء الله وقدره وعلمه الشامل المحيط، وأن الله تعالى خيرٌ مطلق وحكيم مطلق لا يصدر عنه شر محض، والمصائب والآلام في عالم المادة هي "ابتلاء ونقص نسبي" لازم لطبيعة الحياة الدنيا وليست عبثاً؛ وتطهير الساحة المعرفية

كلياً من أوهام الجبر الحتمي ومن تخرصات التعليل الجدلي؛ فالقطع يتطلب الإيمان بالقدر والعدل معاً دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات الابتلاء، والتمحيص، ونفي العبثية والظلم عن أحكام الربوبية، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في [سورة الملك]: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث يقرر أن نظام الوجود القائم على الموت والحياة (وما يتخللهما حتماً من نقص وآلام ومصائب طبيعية) لم يُخلق عبثاً بل خلق لغاية غيبية تشريعية وهي "الابتلاء والاختبار الإنساني والمسؤولية الكبرى" {لِيَبْلُوَكُمْ} متبوعاً بنعت العزة والمغفرة {الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}؛ والقرينة التركيبية تقطع دابر المقولات الكلامية للفرق، وتوجب التوقيف والتسليم بحكمة القضاء والقدر كما وردت بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن الإحاطة بعلة الغايات وتفاصيل الحكمة الكلية وراء المقادير والمصائب خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري مخلوق محدود جزئي النظر محصور في حدود الزمان والمكان وقوانين المادة، وبما أن تدبير الكون وتوزيع الأقدار والمصائب أفعال غيبية مطلقة مضافة إلى صفات الربوبية، فإن العقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه القياسية عن محاكمة أفعال الله؛ والقرآن حسم هذا العجز الكلي بنص المحكم في [سورة الأنبياء]: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي، والسكوت عما وراء حدود النص، وترك الغيب لصاحب الغيب الشامل.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في كون المصائب نظام ابتلاء حكيم يتسق اتساقاً

كلياً مع آيات نفي العبث والعدل المطلق، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد الجبرية والاعتراضية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو التفرقة القرآنية البنيوية بين "الفعل الإلهي الحكيم" و"الكسب البشري الظالم" في التنزيل: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}، وأصل سُنّة التمحيص الإنساني: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في أن الشرور الأخلاقية والفساد والظلم هما كسب بشري خالص ومسؤولية إنسانية كاملة {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}، أما المصائب الطبيعية والنقص المادي فهما نظام تمحيص وصبر وارتقاء معنوي للبشر، ويتسق هذا ويطرد مع قوله: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}؛ فالتسليم بالملكية والرجوع الغيبي يطرد مع العدل والحكمة، وتتصفى الروافد الروائية الخرافية الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البرهان العقلي والوجداني الخالص بـ "قصور الجزئية عن الكلية" وبديهة عقول المسلمين؛ فالعقل يعلم يقيناً أن الإنسان ينظر للكون والوجود كمن ينظر للوحة عظيمة فائقة الجمال من ثقب إبرة صغير، فيرى بقعة داكنة سوداء ويظنها عيباً ونقصاً وهي في كليتها وبنيتها التناغمية عماد جمال اللوحة وتوازن ظلالها، وبما أن العقل محصور في جزئيات الحاضر والمكان، فإنه يعلن عجز أدواته عن الحكم على الكلية الكونية للقدر؛ والفطرة تجزم بأن الألم (كالمرض والموت) هو الحافز الفطري للسعي والتراحم والتطور المعرفي. الشاهد الوجداني يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن الوجدان يعلم أنه يعيش في دار ممر ونقص طبيعي لازم للمادة لا دار خلد وتكامل، فيسكن للبيان القرآني الذي ينفي العبث والظلم، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص القضاء والقدر والابتلاء بالمصائب لم تأتِ لتنحت معادلة مادية حتمية أو منطقية جافة، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بحقيقة الدار الدنيا كدار تمحيص وعظمة العزة الإلهية الحاكمة فوق المخلوقات".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص صدّر الابتلاء بتركيب التقليل {بِشَيْءٍ} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة التهوين والتصغير لآلام الدنيا الفانية وأنها جزء يسير لا يذكر أمام نعيم الأبد" لتبث في وعيه جلال الصمود، وجاء تركيب البشارة {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} متبوعاً بتركيب الاسترجاع {قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} ليشحن اللفظ بـ "شحنة السكينة المطلقة، والارتماء النوراني في أحضان المالكية الإلهية الغيبية، واليقين التام بالرجوع المعرفي والجزائي للمصدر المطلق للوجود" لكي لا يشعر العبد بالضياع أو العبثية؛ وشُحِن تركيب نفي السؤال {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ} بـ "شحنة الجلال العظيم، والتعالي والربوبية الفوقية المطلقة المحصنة للتدبير الإلهي عن عقول الحوادث". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالتعظيم والرضا بالمقادير، مبرأً من حشو الحتميين وجفاف المتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص القدر والمصائب هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الصبر الإيجابي، والعمل لدفع الفساد والشرور، ومواجهة الكوارث حساً وحركة، والتحرك لبناء الحياة ومساعدة المستضعفين؛ طالما أن النقص هو نظام ابتلاء

يدعو للفعل والفاعلية الوجودية التامة وليس مبرراً للقعود والخذلان"؛ فالشحنة التعبيرية (الاسترجاع والسكينة النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {وَلَنَبْلُوَنَّكُم} جاء مسوراً بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الجهوزية النفسية والحركية التامة لاستقبال تقلبات الكون، وقطع الجزع والهلع المعطل للفعل، والبعث نحو اتخاذ الصبر كاستراتيجية حركية فاعلة ومثمرة للعمل والبناء {أَحْسَنُ عَمَلًا}"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب إسناد الفساد للعبد {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} المسور بتركيب الغاية والتعليل الحركي البشري {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي التواكل، فـ**"تدفع المكلف دفعاً حاداً وحركياً لتغيير سلوكه وإصلاح الفساد البيئي والأخلاقي والاجتماعي بيديه حساً وحركة، والتحرك لامتثال السنن بقوة وصمود، طارحاً أوهام الحتمية الحشوية المعطلة وعجْلة الاعتراض الكلامي الفلسفي الجاف"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويدفع لإصلاح الأرض، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص القدر والابتلاء هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة الرقابة وطمأنينة التسليم والرضا بالمقدور، وإخراج طبيعة النفس من السخط والاضطراب أو البلادة الحتمية إلى حيز اليقظة الأخلاقية والاتساق التام مع سُنن الوجود.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للتوازن السلوكي عند النوازل؛ فتركيب نفي السخط والحسد والأسى في قوله في محكم [سورة الحديد]: {لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ

وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة التوازن الأخلاقي والاعتدال النفسي والترفع عن رذائل الحزن الشديد المقعد عن السعي {لِّكَيْلَا تَأْسَوْا}، ونفي رذائل الزهو والفخر والغرور عند النعمة {وَلَا تَفْرَحُوا} وتعديل سلوك النفس بتذوق حلاوة الاستقرار الروحي"؛ وجاء وصف الابتلاء بـ {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تطهيرها وتعديل سلوكها بالكامل بالانتقال من مرتبة العمل العادي لمرتبة الإحسان والاتقان الأخلاقي والعملي والترفع عن رذائل اليأس والعبثية"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي عطّل طاقة الرسالة وحركيتها الأخلاقية في التاريخ وعزل وعي الأمة.

الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (صِفَتَا السَّمْعِ وَالْبَصَرِ الْإِلَهِيّ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد إثبات صفتي "السمع والبصر" الإلهيين المسندتين للذات العلية في نصوص التنزيل.

- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليؤسس ويثبت جوارح وأعضاء وأدوات فيزيائية مادية (كالأذن والعين والحدقة والطبقة الجسدية) لاستقبال ذبذبات الصوت وانعكاس أشعة الضوء (ماهية وجودية لفظية حشوية)، أم جاء ليردهما كلياً لصفة العلم الجاف معزولاً عن حقيقتهما (ماهية تأويلية نفيية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي طرأ تاريخياً عندما عُزل اللفظ الإلهي عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"، وتحول ما هو أداة استشعار للرقابة وتفجير لعاطفة الأمان الإلهي إلى ساحة للتشريح الفيزيائي والفلسفي لصفات الغيب؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على ظاهر اللفظ اللغوي المفرد وعزل آيات الإثبات عن كليات التنزيه؛ فيرى أصحابه وجوب إثبات سمع حقيقي وبصر حقيقي لله تعالى بقوانين عالم المادة والكثافة، وهو ما قاد الذهن تلقائياً إلى توهم وإثبات أدوات، وأعضاء، وأجهزة استقبال فيزيائية (أذن وعين مادية) حقيقية على شاكلة المخلوقات مع إردفها بعبارة "بلا كيف"؛ مسقطين قوانين السمع والبصر الميكانيكي والفيزيائي الحادث للشاهد (كالذبذبات الصوتية وانعكاسات الضوء) على الغيب المطلق.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتصور لبنية الذات الإلهية وصفاتها مستقلاً بآحاد الألفاظ والرويات الروائية المأثورة خارج سياق اطراد كليات التنزيه، فأسقط الغيب الإلهي في قوالب عالم النقص والحاجة، ووقع حتماً في فخ التشبيه وإسقاط شروط الحواس الحادثة على الذات المتعالية.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (المعتزلة وبعض المتكلمين) في التجريد والمنطق اليوناني رداً على المجسمة؛ فأنكروا حقيقة السمع والبصر كصفتين مستقلتين قائمتين بالذات، وأوّلوهما بردهما وتذويبهما كلياً داخل صفة "العلم"؛ فقالوا: (سميع بصير بمعنى عليم بالمسموعات والمبصرات)، محولين النص إلى معادلة معجمية جافة تُفرغ الإثبات من معناه العفوي.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة لغوية ومنطقية مستقلة ولدت كرد فعل جدلي ومذهبي لشرعنة مناهج كلامية؛ فأنكر وعطل دلالات نصوص الإثبات بآليات تفكيكية متكلفة أخرجت النص عن عفوية بيانه الذاتي الحافز للوجدان، وجففت وحيدت الرسالة المعرفية والوجدانية الحية المحمولة في الخطاب الشريف.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن الله تعالى سميعٌ بصيرٌ حقيقةً، يسمع ويبصر بحقائق غيبية تليق بجلاله وقيوميته المطلقة، وهي صفات ومواقف إلهية حقيقية مباينة لكلام وصور المخلوقين؛ وتطهير الساحة المعرفية كلياً من التبعيض العضوي للحشوية ومن التعطيل الجاف للمتكلمين؛ فالقطع يتطلب إثبات الصفة كما وردت والسكوت عما وراء حدود النص دون زيادة مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت الجامع للإثبات والتنزيه هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات السمع والبصر في سياقات التنزيل، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة الشورى]: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ حيث صدر الله عز وجل البيان بنفي الجنس والمثلية نفياً مطلقاً مستغرقاً لكل أشكال المادة والشبه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، ثم عطف عليها مباشرة بضمير الشأن وإثبات الصفة المعرّفة {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ليبين للوعي البشري أن سمعه وبصره ليسا كسمع وبصر المخلوقين بالأدوات والحدود، والقرينة التركيبية تقطع دابر الحشو والتعطيل وتوجب التوقيف والتسليم للصفة كما وردت بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري وللأحكام الفيزيائية عن إدراك أو تكييف أو تصور كيفية السمع والبصر الإلهيين خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود محكوم بأدوات حواسه الحادثة الساقطة على عالم المادة، وبما أن الخالق سبحانه كامل مطلق ومنزه عن المادة وعوارضها، فإن سمعه وبصره صفات غيبية خارجة تماماً عن نواميس الميكانيكا المادية؛ والعقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه القياسية عن سبر كنه هذه الفاعلية الربانية؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي، والسكوت عما وراء حدود النص، والالتزام بمسمى الوحي.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في إثبات السمع والبصر مع التنزيه يتسق اتساقاً كلياً مع آيات الإحاطة وعموم القيومية الإلهية الشاملة، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد العضوية الحشوية والنفيية الكلامية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد ربط السمع والبصر بالإحاطة الكونية والمعية الغيبية والعلم المطلق في التنزيل: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ}، وأصل الغنى والشهود المحيط: {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في كون السمع والبصر تعبيراً عن العلم

الحضري والشهود المطلق لدقيق وجليل الوجود؛ ويتسق هذا ويطرد مع قوله في محكم [سورة المجادلة]: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}. هذا الاطراد السياقي الكلي يثبت أن فاعلية سمعه وبصره سبحانه محيطة بالسر والجهر في الكون دون أن تحجبه الحجب وهو ما لا يتأتى بجوارح وأدوات مادية محدودة، فثبت اطراد البيان بنفي شائبة الأعضاء والآلات الفيزيائية وتصفية الروافد الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن موجد الحواس (السمع والبصر) في الأكوان والمخلوقات يستحيل لغوياً وعقلاً وفلسفة أن يكون فاقداً لها بل هو متصف بالكمال المطلق فوقها؛ وفي الوقت ذاته، يجزم الوجدان بأن أدوات المخلوق محكومة بالقصور والحدود البصرية الساقطة على المادة الكثيفة، وبما أن الخالق منزه عن المادة فإنه يستحيل اتصافه بالأعضاء والجوارح لأن العضو حادث ومركب ومحدود النطاق وكل محدود محتاج ومفتقر والافتقار ينافي الألوهية. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن العقل يعلن عجز قوانينه القياسية عن تكييف هذه الصفات الغيبية خارج حدود التوقيف، ويسكن للبيان القرآني الذي يجمع بين كمال الإثبات ونقاء التنزيه، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص السمع والبصر وعلاماتها لم تأتِ لتنحت معادلة مادية أو منطقية باردة، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بهيبة الرقابة الصارمة وعظمة الحضور والشهود الإلهي المحيط بحياته وباطنه".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي

زَوْجِهَا} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص صدّر الفعل بأداة التحقيق اليقينية {قَدْ} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة القرب المطلق، ولطف الاستجابة، واليقين التام بأن نجوى المظلوق والمضطر مسموعة ومستجابة في علياء الغيب" لتبث في وعيه جلال الأمان الرعائي؛ وشُحِن تركيب المعية في قوله: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} بـ "شحنة التأييد النوراني، والحفظ الفوقي، وعظمة التدبير الذي يحيط بالرسل" لكي لا يداخلهم الخوف الوجودي؛ وشُحِن تركيب الرقابة الشاملة في قوله: {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ} بـ "شحنة هيبة الرقابة الصارمة، وجلال الشهود الرباني المحيط بالبواطن والظواهر" لتنبيه الوعي البشري. هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالهيبة والاتصال المعنوي السعيد بالخالق، مبرأً من حشو المجسمة وجفاف المتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص السمع والبصر هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الحركة، والامتثال، والعمل الصالح، وتجويد الأداء الأخلاقي والعملي في واقع الحياة؛ طالما أنه يتحرك في الكون تحت شهود وبصر ورصد إلهي مباشر ومحيط بكل تفاصيل كسبه"؛ فالشحنة التعبيرية (هيبة الرقابة النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يرىٰ} جاء بصيغة تركيب الاستفهام الإنكاري التوبيخي ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية لضبط السلوك، وقطع دابر المعاصي والظلم والفساد السافر والخفي، والبعث نحو إنتاج الجودة الأخلاقية والعملية في واقع الأرض"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب اقتران السمع والبصر بالعمل البشري {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} المسور بصيغة فعل الأمر الصريح والجمعي {اعْمَلُوا} متبوعاً بتركيب الاستقبال والسين

المحققة {فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي الخمول والقعود، فـ**"تدفع المكلف دفعاً حاداً وحركياً لتشييد صرح البناء والقيام بالقسط، مستنداً لليقين بأن حركته مرصودة ومثبتة في عين الرعاية والشهود الرباني، طارحاً أوهام التجسيم العضوي للحشوية وجفاف التعطيل الكلامي"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل الفوقي، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص السمع والبصر هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة الرقابة وطمأنينة الرعاية المتلازمتين، وإخراج طبيعة النفس من الغفلة والهوى الركيك إلى حيز اليقظة الأخلاقية والاتساق التام مع الفطرة.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للشهود المهيب؛ فتركيب المعية الخاصة للأنبياء {أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} المتبوع بنفي الخوف والاضطراب {قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة السكينة، والأمان الروحي المستقر، وتطهير النفس من أمراض القلق والجبن والضعف الوجودي بجرعة التأييد الإلهي الكبرى"؛ وجاء إثبات الرصد البصير {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالاعتراف بالتبعات الأخلاقية والخشية الواعية من الرقابة الكونية والترفع عن رذائل الظلم والفساد"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي شتت وعي الأمة.

الْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (الْجِهَةُ وَعَلَاقَةُ اللَّهِ بِالسَّمَاءِ وَالْعَالَمِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد نصوص "العلو، والفوقية، والصعود، وعلاقة الذات بالسماء والعالم" المشهودة في نصوص التنزيل.

- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليؤسس ويثبت "جهة مكانيّة، وحيّزاً وجودياً، ومسافة هندسية أبعادية" تحصر الذات الإلهية فوق المخلوقات (ماهية وجودية لفظية حشوية)، أم جاء لينفي الرفعة والعلو المطلق ويدخل النفس في متاهات السلب والإنكار (ماهية تأويلية كلامية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي طرأ تاريخياً عندما عُزل اللفظ الإلهي عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"، وتحول ما هو رمز للسيادة المطلقة ومصدر التنزّل الروحي الفوقي إلى معركة فيزيائية وجغرافية حول الأماكن والحدود؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على ظاهر الألفاظ اللغوية المفردة وعزل آيات العلو والفوقية عن كليات الإحاطة؛ فيقرر أصحابه وجوب إثبات "جهة العلو" كحيز مكاني ومسافة حقيقية تحوي الذات الإلهية فوق العالم بالمعنى الهندسي للأبعاد (فوقية مكانية بذاته)، مقيساً الخالق سبحانه على الأجسام الكثيفة والملوك البشرية الذين يستوون على عروشهم حساً وحركة ومادة.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتصور جغرافي وبنيوي للذات مستقلاً بآحاد الألفاظ خارج سياق اطراد كليات التنزيه والغنى المطلق؛ مما أسقط الرب الصمد في قوانين المادة والمحاطية والمحدودية، ووقع حتماً في فخ التجسيم والتوجيه المكاني الساقط على الحوادث والمخلوقات.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (المعتزلة والجهمية وبعض المتكلمين) في التجريد والمنطق اليوناني رداً على المجسمة؛ فنفوا العلو المطلق والرفعة الروحية بالكامل، وأدخلوا المتلقي في تراكيب اصطلاحية جافة ومعقدة، فقالوا: (هو سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به ولا منفصل عنه)، وعطلوا دلالات الفوقية بآليات تمحيلية معجمية باردة أخرجت النص عن عفوية بيانه.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة اصطلاحية بشرية مستقلة ولدت كرد فعل جدلي ومذهبي؛ فجعل عقيدة العلو غامضة ومستعصية على الوعي الفطري البسيط للمسلمين، وافتقر لشرط الاتساق العرضي، ونزع من النص جلال فاعليته الوجدانية والروحية الحية الحافزة لتعظيم الخالق.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بعلو الله سبحانه وفوقيته وهيمنته المطلقة على خلقه كما وصف نفسه، وتنزيهه سبحانه تنزيهاً مطلقاً عن التحيّز، والحدود، والاتجاهات، والأبعاد الفيزيائية الحاصرة؛ فالله كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان مباين لخلقه، والقطع يتطلب إثبات العلو المطلق كما ورد والسكوت عما وراء حدود النص دون زيادة مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت النافي للحيز والمحاطية المكانية هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات الإحاطة الشاملة والقيومية وعموم الملكوت في التنزيل، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة الأنعام]: {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ

وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ إذ لو كانت الفوقية أو السماء تعني "جهة مادية حاصرة ومسافة هندسية" للذات العلية، لما جمع سبحانه النسبة الوجودية في آية واحدة {فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ}؛ فالآية تقطع دابر التحيّز الجغرافي أو المكاني، وتبين أن النسبة هنا هي نسبة ألوهية، وهيمنة، وتدبير، وعلم مطلق مستغرق لكل الوجود، والقرينة التركيبية توجب التوقيف والتسليم لعلو القهر والإحاطة كما ورد بلا تصرف مادي أو تعطيل كلامي.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري وللأبعاد الهندسية عن إدراك أو تكييف أو تصور العلاقة الوجودية بين الخالق والمكان خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود محكوم بقوالب المادة الكثيفة والأبعاد الثلاثية الحادثة، وبما أن المكان والجهات ظرف مخلوق ومحدود أوجده الله بعد أن لم يكن، فإن قوانين المكان والمسافة تسقط تماماً أمام الذات الأزلية اللامتناهية؛ والعقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه القياسية عن سبر كنه هذا التعالي الرباني؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والوقوف عند مسمى النص.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في إثبات العلو والرفعة دون تحيّز يتسق اتساقاً كلياً مع آيات السعة والمباينة والغنى المطلق للذات، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد الجغرافية الحشوية والنفيية الكلامية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد آيات السعة المطلقة ونفي الحد الكوني في التنزيل: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، وأصل الغنى الذاتي عن المكان:

{فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في أن "العلو" و"الفوقية" هما رتبة السيطرة والقهر والتدبير الشامل؛ كقوله تعالى في محكم [سورة الأنعام]: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ}، فنفاذ الأمر والمشيئة من مقام الأعلى (الأمر والملكوت) إلى الأدنى (الخلق والمادة) هو دلالة سياقية قطعية مبرأة من قياس المسافات؛ والبيان يطرد متناغماً مع قوله {إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ليفيد أن الله لا تحصره جهة دون جهة بل هو الواسع المحيط بعباده أينما كانوا، وتتصفى الروافد الجغرافية الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن "المكان والجهة" هما ظرفان محدودان مخلوقان، والخالق غني عن خلقه فثبت وجداناً استحالة أن يحل في مخلوقه أو تحصره الأبعاد الحادثة؛ وكل حاصر ومحاط هو محدود، والمحدود مفتقر ومحتاج إلى من حدّه وخلقه في ذلك الحيز، والاحتياج ينافي الألوهية والوجوب الذاتي. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يرفع يديه للسماء فطرياً تعظيماً لمصدر الأمر والوحي والرفعة الروحية والنور الغيبي، مع جزم الوعي وعجزه التام عن تصور ذات لا تحويها الاتجاهات؛ فيسكن للبلاغة القرآنية العظمى ويتسق معها في الجمع بين العلو المطلق والتنزيه الذاتي عن الحيز المادي، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص العلو والفوقية وعلاقة الله بالسماء لم تأتِ لتنحت جغرافيا مادية أو حيزاً هندسياً، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بعظمة السيادة المطلقة، والرفعة النورانية الروحية، وتعالي مصدر التشريع والقدرة الإلهية فوق عالم المادة والنقص".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص قرن الفوقية بتركيب السيطرة {الْقَاهِرُ} ليوصل

لطبيعة النفس "شحنة الملكوت المطلق، ونفاذ الإرادة، وخضوع ذرات الكون وسقوط القوى الأرضية أمام هيمنة الأعلى العظيم" لتبث في وعيه جلال الخضوع؛ وشُحِن تركيب قوله: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ} بـ "شحنة المهابة الجليلة، وتعالي مقام الأمر، وجعل السماء في وعي المتلقي مصدراً للقدرة الصارمة والوحي الإلهي الفوقي الحاسم" لكي يلتفت القلب إلى علياء الغيب؛ وشُحِن تركيب الصعود والعروج في قوله: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} بـ "شحنة الشوق الروحي، والتسامي النوراني للخلق الغيبي نحو مركز التدبير الإلهي السامي المبرأ من السفليات والنقائص المادية". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالرفعة المعنوية وتنزيه المقام الفوقي، مبرأً من حشو الجغرافيين وجفاف المتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص العلو والفوقية هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو التحرر من قيد الماديات، والارتفاع بالعمل والسلوك الأخلاقي حساً وحركة، والقيام بالقسط، ومواجهة طغيان السفليات والفساد في الأرض؛ طالما أنه يستقبل أمره وتشريعه وقوانينه من مصدر علوي مهيمن فوق كل السلاطين والقوى الأرضية"؛ فالشحنة التعبيرية (الرفعة النورانية النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ} جاء بصيغة تركيب الاستفهام التهويلي الحركي ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية لطلب النجاة بالعمل الصالح، وقطع عروق الأمان الزائف بالاستغراق في الشهوات والماديات الأرضية، والبعث نحو إنتاج الفاعلية والتقوى ومراقبة حركة الأرض"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب صعود الكلم الطيب والعمل {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} المسور بتركيب التقديم الحاصر {إِلَيْهِ يَصْعَدُ} وعطف

الفعل الحركي {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي البلادة والخمول، فـ**"تدفع المكلف دفعاً حاداً وحركياً لتصعيد جودة أقواله وتشييد صرح البناء والعمل الصالح الفاعل في الأرض ليكون مستحقاً للرفع والقبول الرباني الملكوتي العظيم، طارحاً أوهام التحيّز الجغرافي للحشوية وجفاف التعطيل الكلامي"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الراقي الفاعل، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص العلو والفوقية وعلاقة السماء بالعالم هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة الفوقية وطمأنينة التدبير العلوي الحكيم، وإخراج طبيعة النفس من الخنوع الجغرافي المادي والالتصاق بالتراب والهوى إلى حيز اليقظة الأخلاقية والارتقاء الروحي التام مع الفطرة.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للتكامل والتطلع نحو الأعلى الأسمى؛ فتركيب التنزيل من علياء العزة {تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} المتبوع بصفات الرفعة شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة التسامي الأخلاقي، والاعتزاز بالانتساب لمرجعية ربوية عليا تفوق سفليات المادة وصراعات الهوى، وتطهير النفس من أمراض الهوان والذل الوجودي بجرعة العزة الكبرى"؛ وجاء وصف الفوقية {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالاعتراف بقصورها وتواضعها الأخلاقي التام أمام جلال الأعلى الصمد والترفع عن رذائل الاستكبار والغرور البشري المادي"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق المعطل لروحانية الرسالة الخاتمة.

الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (الِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد نسبة فعل "الاستواء" الإلهي وعلامة "العرش" الغيبية المسندة للخالق في نصوص التنزيل.

- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليؤسس ويثبت قعوداً، أو جلوساً، أو ملامسة، أو استقراراً فيزيائياً حسياً ومادياً على سرير أو مكان يحمل الذات العلية (ماهية وجودية لفظية حشوية)، أم جاء لينكر حقيقة الفعل ويفككه معجمياً بردّه إلى الاستيلاء والقهر السياسي (ماهية تأويلية كلامية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي طرأ تاريخياً عندما عُزل اللفظ الإلهي عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"، وتحول ما هو أصل لإعلان مقام التدبير والهيمنة الشاملة للكون بعد خلقه إلى معركة فيزيائية وميكانيكية حول الحامل والمحمول وقوانين الجاذبية في الغيب؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على ظاهر اللفظ اللغوي المفرد للتركيب "استوى على" وعزل آيات الاستواء عن كليات الغنى المطلق ونفي الحاجة عن الذات؛ فيقرر أصحابه وجوب إثبات استواء حسي ومادي هو الجلوس، أو القعود، أو الاستقرار بذاته فوق العرش، مدّعين أن هذا هو "الظاهر" الذي أثبته النص، ومردفين ذلك بعبارة "بلا كيف"؛ مسقطين قوانين حركة الأجسام الكثيفة المحكومة بالزمان والمكان والجاذبية في الشاهد البشري على الغيب المطلق، ومجسمين الخالق سبحانه في صورة ملك بشري يجلس على سرير ملكه حساً ومادة.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتصور لبنية الأفعال الإلهية مستقلاً بآحاد الألفاظ خارج سياق اطراد كليات التنزيه؛ فصدم حتماً بأصل الصمدية

ونفي النقص والحاجة؛ مما جعل العرش المخلوق يبدو حساً وكأنه حاوٍ ومحمول وجسم يقعد عليه الخالق العظيم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (المعتزلة وجمهور المتكلمين) في التجريد اللغوي الصرف رداً على المجسمة؛ وانشغلوا بصناعة مستبدلات معجمية ومحذوفات لغوية افتراضية جافة، فقالوا إن "استوى" في لسان العرب تأتي بمعنى (استولى وملك وقهر) مستشهدين بأبيات شعرية عربية متأخرة (كبيت بشر بن عوانة: قد استوى بشرٌ على العراق)، وأنكروا حقيقة الفعل الإلهي الغيبي المضاف إلى العرش تحاشياً لإثبات المكان.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة لغوية ومنطقية مستقلة ولدت كرد فعل جدلي ومذهبي لشرعنة مناهج كلامية؛ فصرف حقيقة إثبات الفعل الإلهي المعجز المضاف للعرش وتحول بالقرآن كلياً إلى لغز معجمي يحتاج لاستبدال حروف وحلول قاموسية باردة، مما أخرج النص عن عفوية بيانه الذاتي، وجفف وحيّد الرسالة المعرفية والوجدانية الحية المحمولة في الخطاب الشريف.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود ‘‘البيان القرآني’’ كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان والاعتراف الجازم بأن الله تعالى "على العرش استوى" حقيقةً كما أخبر في كتابه، وأن العرش حقيقة وجودية غيبية عظيمة من مخلوقات الله؛ واطرد التنزيل في جعل الاستواء في البيان الذاتي هو "مقام تدبير الأمر الكوني والهيمنة المطلقة الشاملة بعد الخلق" بلسان عربي مبين، وتتصفى الروافد المادية الطارئة. وتطهير الساحة المعرفية كلياً من القعود الحسي للحشوية ومن الإنكار اللغوي للمتكلمين؛ فالقطع يتطلب الإيمان بمسمى النص وبحقيقة الفعل المضاف للعرش والسكوت عما وراء حدود التلقي السامع دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات الاستواء الواردة في سبعة مواضع متطابقة في التنزيل، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة طه]: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث أضاف الله سبحانه فعل الاستواء لنفسه وإلى عرشه الغيبي كأصل عقدي جازم يجب الإيمان بمسمّاه المعرفي الفوقي، والقرينة التركيبية تقطع دابر الحشو والإنكار وتوجب التوقيف والتسليم للفعل كما ورد بلا تصرف في العظيم.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إدراك، أو تكييف، أو تصور كيفية الاستواء أو حقيقته الوجودية خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود محكوم بنواميس المادة وقوانين الجاذبية والسرير المادي للشاهد، وبما أن الله سبحانه ذات غيبية مباينة للمادة، والعرش مخلوق غيبي لا نعلم ماهيته، فإن العقل يعلن عجز أدواته وتشريحه الحسي عن فهم أو تصور كيفية اتصال أو نسبة الخالق بالغيب؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والسكوت عما وراء حدود النص.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في إثبات الاستواء مع التنزيه يتسق اتساقاً كلياً مع آيات الغنى المطلق ونفي اللغوب والحاجة عن الذات، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد القعودية الحشوية والنفيية الكلامية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد قرن فعل الاستواء بالتدبير والتسخير الملكوتي في التنزيل: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}، وأصل نفي التعب واللغوب والحاجة: {وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في سبعة مواضع مكررة؛ ففي [سورة يونس]

{ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}، وفي [سورة الرعد] {وَاسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}، وفي [سورة الأعراف] {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ}؛ فإذا انتفى اللغوب (التعب) انتفت حتماً لغة وعقلاً وجداناً حاجة الجلوس أو الراحة المقيسة على الأجسام، واطرد التنزيل في جعل الاستواء في البيان الذاتي هو "مقام تدبير الأمر الكوني والهيمنة المطلقة الشاملة بعد الخلق" بلسان عربي مبين، وتتصفى الروافد المادية الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بغنى الخالق المطلق عن العالمين بيقين الفطرة، فكيف يفتقر الغني إلى مخلوق (العرش) ليقعد عليه أو يحمله؟ والقول بالحمل الحسي المادي يقتضي جعل المخلوق والسرير أقوى وأعظم من الخالق المحمول وهو محال وممتنع وجداناً وعقلاً. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن الوجدان يقبل حقيقة الفعل الغيبي العظيم كبيان للسيادة الشاملة دون إسقاط لأوهام الجاذبية والمادة الحيوية، ويعلن العقل عجز أحكامه عن الكيف، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص الاستواء على العرش لم تأتِ لتنحت معادلة مادية أو جلوساً فيزيائياً، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بعظمة السيادة الكونية، والقيومية الشاملة، وإحاطة الملكوت الإلهي بالوجود كله بعد خلقه".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص قرن الاستواء بنعت الرحمة الواسعة الشاملة {الرَّحْمَٰنُ} والعرش (أعظم المخلوقات رتبة وغيباً) ليوصل لطبيعة النفس "شحنة الملكوت

الأعظم، وإحاطة القيومية والرحمة بكل تفاصيل الأكوان، وسقوط كل دعاوى التنازع الوجودي أمام هيمنة الإله الفاعل المحيط" لتبث في وعيه جلال التعظيم؛ وشُحِن تركيب قوله: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} بـ "شحنة الأمان المعرفي، والسكينة الروحية، وجعل العرش في وعي المتلقي مركزاً ومقاماً لصدور التدبير الرباني المحكم العاصم للكون من الفوضى والانهيار الوجودي" لكي يلتفت الفؤاد بامتنان لعظمة الخالق؛ وشُحِن تركيب تسبيح الحافين في قوله: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ} بـ "شحنة الجلال العظيم، والنظام الغيبي الملكوتي الشامخ المباين تماماً لعالمنا الحسي الكثيف". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالهيبة والاعتراف بفيض القدرة والملك، مبرأً من حشو الجلوس الحشوي وجفاف المتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص الاستواء على العرش هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الاستسلام الواعي لتدبير الله، والانطلاق بحركته وعمله حساً وحركة لتنفيذ الشريعة، والقيام بالقسط، وبناء السلام والعدالة؛ طالما أن الكون محكوم ومنظم ومسدد بالكامل من مقام التدبير الأعلى والأحكم"؛ فالشحنة التعبيرية (القيومية والتدبير النظري) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية تراكيب آيات الاستواء، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} جاء بتركيب الحال الفعلي والمضارع المستمر {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية الواثقة لتطبيق النظام والعدل في حياته، وقطع دابر اليأس والاضطراب الوجودي والخوف من المجهول، والبعث نحو التزام التكليف بمسؤولية حركية كاملة لعلمه بأن التدبير الإلهي محيط بالكون"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب

اقتران الاستواء بتسخير الكون {وَاسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} المسور بتركيب الغاية والتعليل الحركي اليقيني للبشر {لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي البلادة، فـ**"تدفع المكلف دفعاً حاداً وحركياً لتجويد عمله وسلوكه الأخلاقي استعداداً لليقين باللقاء، والتحرك لامتثال الشريعة بقوة وصمود، طارحاً أوهام القعود والجلوس المادي للحشوية وجفاف الاستيلاء الكلامي المعزول"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل المسدد، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص الاستواء والعرش هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة القيومية وطمأنينة التدبير الإلهي الحكيم، وإخراج طبيعة النفس من القلق الوجودي والاضطراب أو البلادة التجسيمية إلى حيز اليقظة الأخلاقية والاتساق التام مع الفطرة.

- مخاطبة النفس الإنسانية: تركيب إلحاق الاستواء بتفصيل الآيات لليقين {يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة الاستقرار الأخلاقي، والراحة النفسية واليقين المستقر بأن الأكوان محكومة بنظام رباني يدعو للاطمئنان والتراحم، وتطهير النفس من أمراض الخوف والعبثية بجرعة التدبير الكبرى"؛ وجاء اقتران الاستواء بنعت الرحمة {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالانقياد لرحمة الخلق والرفق بالعباد والترفع عن رذائل القسوة والظلم الإنساني لعلمها بأن العرش محفوف بالرحمة الإلهية الكونية"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي شتت وعي الأمة وعطّل طاقة الرسالة.

الْمَسْأَلَةُ الْعَاشِرَةُ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: (صِفَتَا الْمَعِيَّةِ وَالْقُرْبِ الْإِلَهِيِّ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد نصوص "المعية والقرب" الإلهي المسندة للخالق وعلاقتها بالبشر في نصوص التنزيل.
- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليؤسس لعقيدة مداخلة ومخالطة مكانية فيزيائية وحلول للذات الإلهية العلية داخل الأمكنة والمقذوفات والجغرافيا الأرضية (ماهية وجودية حلولية حشوية)، أم جاء ليردهما كلياً لصفة علم جاف مجرد مسلوب التأثير والموقف (ماهية تأويلية كلامية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي طرأ تاريخياً عندما عُزل اللفظ الإلهي عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"، وتحول ما هو أصل لتفجير عاطفة الطمأنينة وإقامة هيبة الرقابة الذاتية إلى معركة فيزيائية حول المسافات الأرضية؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على ظاهر اللفظ اللغوي المفرد وعزل آيات المعية والقرب عن كليات التنزيه والمباينة المطلقة؛ فانقسم أصحابه إلى مسارين: تيار وقع في أوهام "الحلولية والاتحادية المادية" زاعماً أن الله قريب ومعنا بذاته حساً وحلولاً في جغرافيا الأمكنة، وتيار حشوي اضطرب وتناقض فعطّل وحرّف الظاهر البلاغي لآيات المعية لئلا تصدم آيات العلو والجهة والمسافات المادية التي فرضها عقله على الغيب؛ مسقطين قوانين المجاورة الجسدية الكثيفة للبشر على الغيب المطلق.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا تيار إنشاء عقيدة وتصور لبنية الأفعال والذات مستقلاً بآحاد الألفاظ خارج سياق اطراد كليات التنزيه؛ فصدم حتماً بأصل الصمدية ونفي النقص والحاجة؛ مما أسقط الوجود في قوانين المادة والممازجة الحادثة الحاصرة للمخلوقات، وشوه حقيقة الصلة النورانية بين العبد وربه.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (المعتزلة والأشاعرة والماتريدية) في التجريد رداً على الحلولية والحشوية؛ وانشغلوا بتقدير مضافات عزلية ومستبدلات معجمية جافة، فقالوا: (معيته وقربه يعنيان علمُه فقط، أو قربه برحمته وثوابه وسلطانه)، مجردين صفتي المعية والقرب من حقيقتهما الغيبية التمليكية والموقف الإلهي الحي في سياق التنزيل لشرعنة مناهج كلامية.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على تمحل كلامي رياضي بارد ومستقل؛ جفف النص ونزع منه جلاله المعرفي والوجداني الحي في سياق البيان القرآني الذاتي المباشر، محولاً المعية الإلهية النورانية الفاعلة المحركة للقلوب إلى مجرد قضايا علمية جافة وافتراضات تفسيرية ظنية للفرق أورثت التنازع المعرفي.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن الله تعالى قريب من خلقه ومعهم حقيقةً لا مجازاً، وهي معية وقرب حقيقيان غيبيان من مقتضيات قيوميته وإحاطته بالوجود مع ثبات مباينته وعلوه المطلق عن خلقه؛ وتطهير الساحة المعرفية كلياً من الحلول المادي للحشوية ومن التعطيل الجاف للمتكلمين؛ فالقطع يتطلب إثبات الصفة كما وردت والسكوت عما وراء حدود النص دون زيادة مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات المعية والقرب الكوني الشامل في سياقات التنزيل، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة الحديد]: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث أضاف الله سبحانه المعية لنفسه ولعباده في تركيب كوني شامل {أَيْنَمَا كُنتُمْ} متبوعاً فوراً بتركيب الأداء والشهود الإجرائي {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، والقرينة التركيبية تقطع دابر الحشو الحلولي والتعطيل الكلامي وتوجب التوقيف والتسليم للمعية والقرب كما وردا بلا تصرف في كنه الذات الإلهية العظمى.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري وللمسافات الفيزيائية عن إدراك، أو تكييف، أو تصور كيفية هذا القرب الغيبي وتنزيهه سبحانه عن لوازم الممازجة والحلول خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود محكوم بقوانين الأمتار والمسافات والحدود الحاصرة للمادة الكثيفة، وبما أن الله سبحانه ليس جسماً ولا مادة ولا تحويه الأبعاد، فإن قربه ومعيته صفتان غيبيتان خارجتان تماماً عن نواميس الهندسة الوجودية؛ والعقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه القياسية عن سبر كنه هذه القيومية؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والوقوف عند مسمى النص.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في إثبات المعية والقرب مع المباينة يتسق اتساقاً كلياً مع آيات العلو والقيومية والغنى المطلق للذات، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد الحلولية الحشوية والنفيية الكلامية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد ربط المعية والقرب بالإحاطة الرقابية الكلية والعلم بالبواطن والخواطر في

التنزيل: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}، وأصل نفي الممازجة الحادثة: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في انقسام المعية سياقاً وتراكيب لسان العرب إلى "معية عامة" لكل الخلق بالعلم والرقابة والشهود المحيط كما في آية الحديد وآية [سورة المجادلة]: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ... إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا}، و"معية خاصة" بالأنبياء والأولياء بالنصرة والتأييد والحفظ النوراني التام كقوله لموسى وهارون {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} وقارنها بقوله {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}. فلو كانت المعية حلولاً ذاتياً مادياً مكانيًا لما انقسمت ولما جاز التخصيص والتبدل، فثبت اطراد البيان بنفي شائبة الحلول وتصفية الروافد الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بمباينة الخالق للمخلوقات، والحلول في المادة الحادثة الكثيفة يقتضي التجزئة والوقوف تحت أحكام الحيز والحدود وهو محال وجداناً وعقلاً على واجب الوجود؛ وفي الوقت عينه، يجد الوجدان في لحظات الاضطرار والدعاء قرباً روحياً باهراً لا مسافة فيه ولا مكان. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن العقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه (كاللمس والمسافات الحاصرة للمادة) عن السريان على الغيب اللامادي المحيط، ويسكن للبيان القرآني الذي يجمع بين كمال إثبات الصلة ونقاء التنزيه، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص المعية والقرب وعلاماتها لم تأتِ لتنحت جغرافيا مادية أو مداخلة مكانية، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بهيبة الرقابة الشاملة الصارمة، وطمأنينة الأمان والرعاية الفوقية، وتأكيد الحضور المعرفي الإلهي اللامتناهي في وعي وباطن المكلف".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص استعمل أرفع صور البلاغة العربية الكلية لتقريب المسافة المعنوية المعرفية؛ فالوريد هو عماد حياة الجسد الكثيف، والخطاب الإلهي يحمل "شحنة وجدانية هائلة تفيد أن القيومية الإلهية ونفاذ علمه وقدرته بالعبد هي أقرب وأنفذ إليه من مجاري دمائه ذاتها" لتبث في وعيه جلال الشهود؛ وشُحِن تركيب المعية العامة في آية المجادلة: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} بـ "شحنة الرقابة الصارمة المحيطة بالسر والنجوى ونفي التخفي الوجودي عن عين الحكيم"؛ وشُحِن تركيب المعية الخاصة في قوله: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} بـ "شحنة الأمان النوراني، وبث السكينة، واليقين التام برعاية المحيط" لقطع القلق؛ وشُحِن تركيب الختام في آية الحديد: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} بـ "شحنة الإحاطة المعرفية المطلقة للذات العلية". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالهيبة والاتصال المعنوي السعيد، مبرأً من حشو الحلوليين وجفاف المتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص المعية والقرب هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الإنتاج، ومراقبة الجودة الأخلاقية لعمرو وفعله، وبث الشجاعة المطلقة في نفسه لمواجهة الباطل؛ طالما أنه يتحرك في الكون تحت لواء السند الإلهي المباشر ورصده المحيط"؛ فالشحنة التعبيرية (الأمان والرقابة النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية في آيات المعية، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} جاء مسوراً بتركيب الختام الإجرائي {بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "العمل البشري وتدقيقه وتنشيط حركيته الوجودية في

الأرض، وقطع التكاسل والخذلان"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع معية موسى وهارون {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} التي تحولت فوراً بفضل تركيب فعل الأمر {اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ} لطاقة تأثيرية عملية تنفي الخوف، فـ**"تدفع المكلف دفعاً حاداً وحركياً للذهاب ومواجهة الطاغية حركياً وعملياً، وتشييد صرح البناء والقيام بالقسط، مستنداً لليقين بأن حركته مرصودة ومثبتة في عين الرعاية والشهود الرباني، طارحاً أوهام الحلول المادي للحشوية وجفاف التعطيل الكلامي"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل الفوقي، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص المعية والقرب هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة الرقابة وطمأنينة الرعاية المتلازمتين، وإخراج طبيعة النفس من الغفلة والهوى الركيك إلى حيز اليقظة الأخلاقية والاتساق التام مع الفطرة.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للشهود المهيب والصلة؛ فتركيب {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} المسبوق ببيان العلم بالخواطر {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة التنبيه الأخلاقي لتطهير البواطن والنوايا والسرائر من أدناس الخطأ والفساد والظلم، وتعديل سلوك النفس بتذوق حلاوة الحضور الإلهي العاصم من الانحراف"؛ وجاء تركيب المعية الخاصة {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تطهيرها وتعديل سلوكها بالكامل بنفي الحزن والقلق والضعف الوجودي والترفع عن رذائل الجبن والخنوع البشري"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الشاهدة على النزاع التاريخي وعزْل وعي الأمة.

كِتَابُ النُّبُوَّةِ

الْمَسْأَلَةُ أُولَى مِنْ كِتَابِ النُّبُوَّةِ: (حَقِيقَةُ الْوَحْيِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد "الوحي" والاتصال المعرفي الغيبي بين عالم الأمر وعالم الوجود البشري المشهود في نصوص التنزيل.
- محل النزاع: كيف نتناول حقيقة الاتصال المعرفي الفوقي بين اللامادي (الملك/الروح الأمين) والمادي (الرسول البشر)؟ هل جاء الخطاب الإلهي ليوصل ويبسط "حقائق نفس–أمرية وتفصيلات كيانية وذاتية خاضعة لقوانين وتشريح عالم المادة" (ماهية وجودية لفظية حشوية)، أم جاء ليعبر عن حالة سيكولوجية داخلية وعبقرية وتخييل ذاتي بشرى (ماهية تأويلية فلسفية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ الإلهي عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي" وتحول ما هو منبع للتلقي المعصوم والنور الهادي للأمة إلى قوالب من الجدل الميكانيكي والفلسفي المعزول؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على آحاد نصوص التلقي وبعض الروايات التفسيرية والقصصية المأثورة عازلاً إياها عن تراكيبها البلاغية الكلية؛ فيحاول أصحابه إسقاط المشاهد الفيزيائية المادية الحادثة على لحظة التلقي، فيصنعون وصفاً مادياً هندسياً وتفصيلياً لشكل الملك وجسده وأجنحته، والارتعاد العضوي الحسي الخارجي للنبي، وسماع الصوت المادي المماثل حساً وحركة ومادة لفيزياء صوت البشر.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لبنية الغيب والاتصال الملكوتي مستقلاً بآحاد الكلمات والأخبار الروائية المأثورة (أخبار الآحاد الظنية)؛ فصدم حتماً بكليات الغيب والتنزيه، وأسقط الغيب المطلق في قوانين عالم المادة والكثافة، ووقع في فخ تشويه فكرة الاتصال المعرفي الفوقي برده للنواميس الفيزيائية المعتادة للشاهد البشري.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (الفيض الفلسفي والكلامي)

- المضمون: غرق هذا الاتجاه في عقلنة الوحي وتجريده منطقياً رداً على الماديين وبناءً على مقولات الفلسفة اليونانية؛ فذهب الفلاسفة إلى جعل النبوة والوحي مجرد "فيض" من العقل الفعال ينعكس على القوة المتخيلة الحادثة للنبي، محولين الوحي إلى حالة سيكولوجية باطنية داخلية من العبقرية الفذة والتخييل الذاتي البشري؛ وغاص المتكلمون في جدليات "الروح" والأصوات المنفصلة.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحات ومنظومات فلسفية اصطلاحية مستقلة ولدت كردود أفعال جدلية ومذهبية لمجاراة الخصوم؛ فأقحم العقل المحدود في تحديد وشرعنة "كيفية" غيب الله واتصاله برسله، ونزع من النبوة مصدرها الفوقي الخارجي المطلق، وأخرج النص عن عفوية بيانه الذاتي، وجفف وحيّد الرسالة المعرفية والعملية الحية المحمولة في الخطاب الشريف ليجعل النبوة كسباً بشرياً فلسفياً.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان والاعتراف الجازم بأن الوحي حقيقة خارجية موضوعية مطلقة، وإلقاء إلهي غيبي فوقي من عالم الأمر إلى قلب وفؤاد الرسول المصطفى بواسطة الروح الأمين ليكون بلاغاً وتشريعاً حقاً؛ وتطهير الساحة المعرفية كلياً من الميكانيكا

المادية للحشوية ومن التخييل السيكولوجي للفلاسفة؛ فالقطع يتطلب الإيمان بحقيقة الإلقاء والاتصال وعزلهما عن قوانين عالم الشهادة والفيزياء، والوقوف عند حدود التسمية والتلقي السامع دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت الحاصر لقنوات الاتصال هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات نزول القرآن بالوحي، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة الشورى]: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا...} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ حيث حصر قنوات الاتصال المعرفي الغيبي بين الخالق والبشر في ثلاثة أطر فوقية مباينة لنواميس المادة والحديث البشري المعتاد، وختمها بنعت العلو والحكمة {إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} ليدل دلالة ذاتية على تعالي هذا الاتصال عن مدركات العقول وحسابات البشر، والقرينة التركيبية تقطع دابر الحشو والمادية والتخيل السيكولوجي وتوجب التوقيف والتسليم للوحي كما ورد بلا تصرف في كنهه الإلهي العظيم.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إدراك أو تكييف أو تصور كيفية هذا الاتصال المعرفي أو سبر كنه وسائطه خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود محكوم بقوانين عالم المادة والكثافة، والوحي مظهر من أرفع مظاهر "الأمر الإلهي" الغيبي المباين لنواميس المادة؛ والعقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه القياسية عن سبر كنه هذه الفاعلية؛ وقد حسم القرآن هذا العجز الكلي بنص المحكم في الروح التي هي واسطة الوحي: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والوقوف عند حدود التلقي.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في كون الوحي إلْقاءً موضوعياً خارجياً يتسق اتساقاً كلياً مع آيات عجز العقول عن سبر عالم الأمر وعصمة التلقي، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد المادية الحشوية والعبقرية السيكولوجية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد أن محل التلقي في الوحي هو "الفؤاد والقلب" بمعناه المعرفي الروحي الغيبي لا الحواس المادية في التنزيل: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ}، وأصل نفي التخيل والوهم المادي: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في نزول الوحي على "القلب" حقيقة موضوعية {عَلَىٰ قَلْبِكَ}؛ ويتسق هذا ويطرد مع عجز العقول بنص المحكم عن إدراك كنه الروح أداة الوحي {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}؛ فمادام العقل عاجزاً عن فهم الروح الواسطة، اطرد البيان ذاته في وجوب اعتراف العقل بعجزه المطلق عن عقلنة كيفية اتصال الوحي بالأنبياء؛ فثبت اطراد البيان بنفي المادية الحشوية وبطلان الفيض الفلسفي، وتتصفى الروافد الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن عالم المادة ليس هو الوجود كله، وبما أن موجد الوجود متعالٍ عن المادة فإن وسيلة اتصاله بخلقه لا بد أن تكون فوق قوانين المادة أيضاً؛ والقول بالعبقرية السيكولوجية والفلسفية (إذ لو كانت النبوة كسباً لكانت مستحقة لكل ذكي مصفى النفس وقابلة للتكرار وهو ما ينفيه واقع انقطاع الوحي تاريخياً) باطل وجداناً وعقلاً. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن العقل يعلن عجز أحكامه عن تكييف الغيب النوراني الخارجي المصدر، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص الوحي والتلقي لم تأتِ لتنحت معادلة مادية أو فيضاً فلسفياً معزولاً، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بقدسية، ومصدرية، ويقين البلاغ النبوي الخارجي الخالص المتصل بالملكوت".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص استعمل أرفع تراكيب البلاغة والبيان الإلهي المعجز لتقريب مشهد القرب والاتصال النوراني الغيبي، مستعملاً تراكيب كُلية شُحنت بـ "شحنة التعظيم العلوية، والمهابة الملكوتية، والقوة النافذة للأمر" كتركيب {شَدِيدُ الْقُوَىٰ} و{بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ} لتبث في فؤاد المكلف مطلق العظمة؛ وجاء تركيب الإبهام التعبيري الجليل {فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ} ليوصل "شحنة وجدانية وعقلية شاسعة تفيد جلال وعظمة الموحى به وثقة التلقي اليقيني المعصوم" دون خوض في جزيئات المادة؛ وشُحِن تركيب صيانة الفؤاد في قوله: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ} بـ "شحنة اليقين المطلق ونفي أي شائبة من شوائب الوهم أو التخيل البشري". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالاعتراف بقدسية ومصدرية الوحي، مبرأً من حشو الحشوية المادي وجفاف الفلاسفة.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص حقيقة الوحي هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الاتّباع الصارم للشريعة، والقيام بالقسط، والتحرك بنصوص الوحي كقوانين علوية معصومة ملزمة الفاعلية والتطبيق في واقع الأرض والتاريخ دون تردد أو قعود؛ طالما أن النص حقيقة موضوعية معصومة من عالم الأمر الإلهي الفوقي"؛ فالشحنة التعبيرية

(يقين التلقي المعرفي) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية لآيات الباب، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ} المتبوع بتركيب {أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ} جاء بصيغة تركيب الاستفهام الإنكاري التوبيخي {أَفَتُمَارُونَهُ} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية للتسليم والاتّباع، وقطع دابر المماراة والجدل والتشكيك المادي المعطل للفعل، والبعث نحو تحويل النص إلى واقع تشريعي عملي حساً وحركة"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب حصر الرسالة بصفة التكليف في قوله: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} المسور بتركيب تعليل الغاية الحركية {لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي الخمول، ف**"تدفع المكلف دفعاً حاداً وحركياً للإنذار والحركة بالدين ومواجهة الفساد، مستنداً لليقين بأن الوحي نور خارجي معصوم واجب الحركة والتطبيق، طارحاً أوهام التموضع المادي للحشوية وجفاف الفيض الفلسفي"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الرسالي الفاعل، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص الوحي والاتصال هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة التلقي واليقين المطلق، وإخراج طبيعة النفس من حيز الغفلة والهوى البشري إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة والانسجام مع الفطرة.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً لجلال الوحي؛ فتركيب وصف الواسطة الملكوتية بـ الأمانة في قوله: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس

الواحدة "قمة الاستقرار الأخلاقي، والأمان المعرفي المستقر بأن الشريعة نُقلت بأمانة علوية مطلقة تضمن طهارة المضمون، وتطهير النفس من أمراض الشك والقلق بجرعة اليقين الكبرى"؛ وجاء إثبات استقامة الفؤاد {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالانقياد للاستقامة الأخلاقية والترفع عن رذائل الزيغ والطغيان السلوكي لعلمها بأن منبع الوحي مبرأ من الهوى والاضطراب"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي عطّل طاقة الرسالة وحركيتها الأخلاقية في التاريخ.

الْمَسْأَلَةُ الثانية مِنْ كِتَابِ النُّبُوَّةِ: (عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ)

أولاً: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة وماهية وحدود "العصمة والاعتصام" الجارية على الأنبياء والرسل في حركتهم التبليغية والذاتية المشهودة في نصوص التنزيل.
- محل النزاع :هل العصمة خاصية ميكانيكية جبرية مطلقة ترفع النبي عن بشريته ومسؤوليته الاختيارية والابتلائية في كل فعل جزئي وتمنع النسيان العارض، أم هي محض تخلية عابرة لا قانون فريضة لها (ماهية وجودية لفظية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن سياقه التعبيري وحُصرت العصمة في أسيجة عقلية جافة؛ فتحولت من "اعتصام اختياري وتقوى فائقة بالمنهج الكلي المعصوم بالوحي "إلى قضايا فلسفية تنفي عوارض الجبلّة والامتحان الذاتي والوقوع تحت طائلة الاستغفار وتصويب الوحي المباشر المسجل في القرآن؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون :يجمد هذا الاتجاه على صياغة تقسيمات اصطلاحية طارئة خارج حدود التنزيل (كالكبائر والصغائر)، فيقرر أصحابه جواز وقوع الأنبياء في الصغائر التي لا تخل بالمروءة، منطلقين من ظواهر آيات العتاب والاستغفار؛ لكنهم حنّطوا تلك المواقف في قوالب فقهية جافة، مجردين أفعال الأنبياء من فلسفتها الكبرى كـ "نماذج للامتحان والاختيار البشري الأعلى."

- وجه الاستقلالية وأزمته :حاول هذا التيار إنشاء بنية للعقيدة مستقلة ببعض نصوص التلاوم البشري خارج سياق اطراد آيات التزكية المطلقة للأنبياء؛ فصدم حتماً بالبيان القرآني الذي يأمر بالاقتداء المطلق بهداهم {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}؛ إذ لو جاز عليهم الخدش الأخلاقي التفصيلي المستقر لكان الله قد أمر باتباع الخلل، مما أوقع هذا المسار في اضطراب لفظي بارد.

.2القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون :غرق هذا الاتجاه في التجريد المنطقي والفلسفي، فادعى أصحابه العصمة التكوينية المطلقة للأنبياء (من الولادة إلى الوفاة، في الكبائر والصغائر، عمداً وسهواً ونسياناً، وفي كل فعل جزئي وحركة حياتية دنيوية)، زاعمين أن أي سهو جزئي يخدش وثوقية الرسالة، فنزعوا عن الأنبياء حقيقة الاختيار والابتلاء البشري.

- وجه الاستقلالية وأزمته :اعتمد هذا التيار على أطروحة عقلية ولدت كرد فعل جدلي ومذهبي؛ فأقحم المنطق القياسي في الغيب ومحا حقيقة "البشرية المشتركة"؛ فصدم حتماً بالمحكمات القرآنية التي سجلت مواقف الخوف، والنسيان العارض، والاستغفار المباشر للأنبياء؛ مما ألجأهم إلى تأويلات تعسفية متكلفة أخرجت النص عن عفوية بيانه الذاتي، وحيدت طاقة القدوة البشرية وحولتها إلى قدوة ملائكية مبرمجة.

ثالثاً: البحث المقاصدي

.1البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم :الوقوف التام والكامل عند حدود ''البيان القرآني'' كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن الأنبياء والرسل بشرٌ مصطفون، معصومون عصمة إجمالية وظيفية صارمة ومحفوفة بالرصد في باب بلاغ الرسالة لضمان سلامة الدين وعزته؛ وأن حركتهم الحياتية خاضعة لسنن الابتلاء والمسؤولية الاختيارية، وعصمتهم الأخلاقية هي "اعتصامهم الاختياري بالله "الناشئ عن أعلى درجات التقوى

والوعي ببرهان ربهم؛ مع الإقرار التام ببشريتهم الجارية عليها عوارض الجبلّة الإنسانية كالخوف الطبيعي والنسيان العارض غير المخل بالبلاغ، وتطهير الساحة كلياً من الغلو الكلامي ومن جفاف الحشوية.

- الدليل القطعي وثبوته :المستند اليقيني الصرف الثابت المانع للخطأ في التبليغ والموجب لسلامة المنهج الكلي هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات الحراسة الإلهية للوحي، وآيات حصر الاقتداء بالهدى الجامع، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في [سورة الجن] : }إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ{، وقوله تعالى في [سورة الأنعام]} :أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ{، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية :إثبات أن النص قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث جاء تركيب الحراسة الغيبية مشروطاً ومقيداً بغاية محددة وهي التبليغ بأداة التعليل والغاية }لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ{، مما يدل على أن العصمة القهرية الصارمة (الرصد) إنما تتركز إجمالاً في مساحة "الرسالة والتبليغ"، وجاء تركيب فعل الأمر الصريح والمطلق }اقْتَدِهْ {مضافاً ومحصوراً بـ "الهُدى} "فَبِهُدَاهُمُ {(ولم يقل فبهم في كل فعل جزئي)، ليدل دلالة ذاتية على سلامة مسلكهم العام والمنهج الكلي المعصوم بالاعتصام والتقوى العليا؛ إذ لو حمل هداهم الإجمالي المشترك خطأً لكان الأمر الإلهي آيلاً إلى اتباع الخطأ والمعصية وهو محال على الحكيم العليم؛ والقرينة التركيبية تقطع دابر الحشو والإنكار وتوجب التوقيف لعصمتهم التبليغية والمنهجية وتثبت مسؤليتهم البشرية الاختيارية الابتلائية.

- إعلان عجز العقل البشري :تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إيجاد وبناء حجة معرفية تلغي بشرية الأنبياء أو تفرض صياغة لاهوتية معصومة ميكانيكياً خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري قاصر عن درك كنه الاصطفاء، وبما أن بعثة الرسل وتدبير عصمتهم فضل من صفات الربوبية، فإن العقل يعلن عجز قوانينه القياسية عن نزع ميزة "الاختيار والابتلاء" عن الجسد البشري

المصطفى؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والالتزام بتوقيف النص وبلاغه المعصوم المانع للأعذار.

2.البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة :إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في عصمة الأنبياء يتسق اتساقاً كلياً مع آيات إثبات بشريتهم الكاملة ومواقف استغفارهم وتصويب الوحي لحركتهم، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد التحكمية الحشوية والوجوبية الكلامية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد) :الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو إعلان البشرية المشتركة الخاضعة للامتحان والاصطفاء بالوحي} :قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ {[إبراهيم: 11]، وقوله تعالى} :قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ {[الكهف: 110]. وأصل مواقف الابتلاء والاستغفار والتصويب الإلهي للأفعال البشرية الاختيارية} :يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ {[التحريم: 1]، وقول موسى} :قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ {[القصص: 16]، والأمر للنبي الخاتم} :وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ {[محمد: 19]. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في أن الأنبياء لم يُسلبوا الاختيار البشري؛ بل مُنعوا من السقوط الأخلاقي برصيد التقوى العالية ورؤية البرهان المعصوم كـ يوسف عليه السلام} :وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ {[يوسف: 24]، فبطل الغلو الكلامي الذي نفى السهو الطبيعي والاستغفار، وبطل جفاف الحشوية؛ واطرد النص ناصعاً.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد) :الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن إلهاً حكيماً لا يمكن وجداناً وعدلاً أن يجعل "القدوة والأسوة" كائناً مبرمجاً ميكانيكياً لا يملك خيار المعصية؛ إذ لو سُلبت الإرادة من الأنبياء لبطلت قيمة الصبر، والتضحية، والجهاد، والاستغفار، ولما صلحوا قدوة للبشر الخطائين؛ فالوجدان يسكن ويطمئن عندما يرى النبي بشراً معتصماً بالله باختياره وإرادته يصارع الابتلاء وينتصر بالتقوى. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري)

يتطابق تماماً مع القول العرضي البنيوي؛ لأن الفطرة تسلم لأحقية وأخلاقية النموذج البشري المصطفى المعتصم، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

4.البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي :إن نصوص عصمة الأنبياء واعتصامهم لم تأتِ لتنحت حالة من الذهول الجدلي البارد أو التقديس الحرفي الجامد لذوات الأنبياء، بل إن الخصائص التأثيرية والروح المعرفية للخطاب جاءت لتكون حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لـ "تحريك وعي الإنسان وتثبيت حركته الفعلية في الاستغفار، والتزام التقوى، والاعتصام بحبل الله" اقتداءً بمسلكهم العام.

- تفصيل الدلالة التأثيرية :بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب، نجد أن التركيب في قوله }فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ {شُحن بطاقة حركية هائلة؛ فإيقاع الأمر الصريح المقيد بـ "الهدى" الكلي يبث في روع المكلف شحنة "الاعتزاز بالمنهج والطمأنينة لسلامة المسلك الإجمالي"، مما يدفعه حركياً للاستنان بأصولهم الأخلاقية؛ وجاءت نصوص استغفار الأنبياء وعتاب الوحي لهم كقوله }وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ {لتشحن وجدان المكلف بـ "شحنة التواضع الوجودي، واليقظة الصارمة، وكسر كبرياء النفس البشرية"، ليرى أن النبي العظيم يستغفر وينيب، فيتحرك المكلف تلقائياً ومباشرة نحو توبة عملية مستمرة، مبرأً من جفاف المعتزلة وتواكل الغلاة.

5.البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي :العلة الغائية القصوى لنصوص الاعتصام والابتلاء البشري للأنبياء هي صياغة الثمرة الأخلاقية وتعديل نزوع المكلف؛ بتربيته على فكرة "الجهاد النفسي الذاتي والترفع الفعلي عن الرذائل باختياره"، وإخراج طبيعة النفس من حيز التواكل والوقوع في الغفلة بدعوى أن القدوات كائنات غيبية لا يمكن مجاراتها، إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة المبنية على إمكانية الاستقامة والاعتصام السلوكي الفعلي.

- مخاطبة النفس الإنسانية :يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً طبيعة النفس البشرية الواحدة الثابتة في جبلتها الفطرية السوية؛ وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً لقيمة المجاهدة والتصحيح؛ فتركيب وصف تمنع يوسف بالوعي والبرهان في قوله }وَلَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ {شُحن سياقياً ليوصل لنفس المكلف "قمة الاستقرار الأخلاقي، والتوازن النفسي واليقين بأن العصمة والنزاهة هي ثمرة الوعي الفائق والاعتصام الفعلي بالله وليست غطاءً جبرياً قسرياً"، وجاءت تراكيب العتاب القرآني لتخاطب وجدان النفس الواحدة بـ "تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالترفع عن رذائل الغفلة، والمسارعة للإنابة والاستغفار عند عوارض النقص الإنساني الطبيعي ."وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزّكى منسجم الوجدان والعمل، مبرأً من الجمود الماهوي للفرق الذي حنّط طاقة الرسالة وعطل مسيرة وعي الأمة.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ النُّبُوَّةِ: (حَقِيقَةُ الْمُعْجِزَةِ وَالْآيَةِ بَيْنَ خَرْقِ النَّوَامِيسِ وَالْبَلَاغَةِ الْمَعْرِفِيَّةِ لِلْقُرْآنِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد "الآية والبرهان الإعجازي" الدال على صدق البعثة المحفوظ المشهود في نصوص التنزيل.
- محل النزاع: هل إثبات النبوة الخاتمة وعالميتها مشروط ومبني على "خوارق العادات المادية والكونية" الحادثة الجزئية (ماهية وجودية لفظية روائية حشوية)، أم يُبنى على شروط فلسفية ومنطقية معقدة وضعت كقواعد اصطلاحية جافة (ماهية وجودية تأويلية كلامية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"؛ وتحول ما هو بصيرة علمية وهداية وجدانية مستمرة متمثلة في البلاغة المعرفية للقرآن الكريم إلى ساحة لجمع المرويات الخيالية وقصص خوارق العادات؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الروائي الحشوي المادي)

- المضمون: يحصر هذا الاتجاه إثبات النبوة الخاتمة في الخوارق المادية الحسية؛ فيقرر أصحابه القبول المطلق والجمود على ركام من مرويات الآحاد والقصص التاريخية التي تنسب للرسول ﷺ خوارق غريبة خارج النواميس (كنطق الغزال، وحنين الجذع، ونزول المطر بطلب جزئي، ونبع الماء من بين الأصابع حساً وحركة ومادة)، وجعل هذه القصص مساوية أو مقدمة على حجة القرآن الكلية؛ مدعين أن هذا هو تعظيم مقام النبوة بالأثر.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لبنية الحجة الإلهية مستقلاً بآحاد القصص التاريخية والمرويات الظنية الطارئة المعزولة؛ فصدم حتماً بالمنهج المعرفي الخاتم والتصريح القرآني الصريح بالامتناع والمنع الذاتي عن إرسال الآيات المادية الكونية لرسول الله ﷺ؛ مما أسقط مفهوم اليقين المعرفي في أطر قصصية وشعبية ظنية الصدور والدلالة فتحت باباً للطعن، وحصرت الإعجاز في قالب حسي مؤقت ينتهي بمجرد انقضاء زمن المشاهدة.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (جمهور المتأخرين من المتكلمين) في وضع شروط منطقية وفلسفية معقدة وصارمة لتعريف "المعجزة" (كاقترانها بالتحدي، ودعوى النبوة، وعدم المعارضة خرقاً للعادة)، رداً على الفلاسفة والمشككين من خارج الدائرة الإسلامية؛ وانشغلوا بعقلنة هذه الخوارق الكونية أو إثباتها بآليات كلامية جافة جعلت أصل الإيمان بالرسالة مبنياً على قضايا منطقية افتراضية ومجادلات اصطلاحية.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة ومنظومة اصطلاحية بشرية مستقلة ولدت كردود أفعال جدلية ومذهبية؛ فأقحم العقل في تحديد شروط الحجة الإلهية وأخرج النص عن عفوية بيانه وجلال حجته المعرفية الذاتية والسننية الكونية، محولاً آية القرآن إلى مجرد مادة لإثبات عجز الخصم لغوياً بدلاً من كونها طاقة هداية وتبيان.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن القرآن الكريم هو "الآية الكافية والمستقلة والمطلقة والنهائية والوحيدة" لإثبات نبوة الرسول الخاتم ﷺ، بوصفه وحياً معرفياً وبيانياً كلياً يخاطب العقل والوجدان؛ وتطهير الساحة كلياً من الخوارق المادية الحشوية ومن

الشروط الكلامية الجافة؛ فالقطع يتطلب حصر الحجة الخاتمة بديمومة النص القرآني، والوقوف عند حدود التسمية والتلقي السامع دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت القاطع لطلب الآيات المادية هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات إعلان الاكتفاء الذاتي بالكتاب حجة نهائية، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في [سورة العنكبوت]: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {أَأَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ حيث جاء الخطاب بصيغة الاستفهام الإنكاري الحاصر والمكتفي {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ} ليعلن حسم المسألة ذاتياً بأن إنزال "الكتاب المتلو" المستمر ديمومة {أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ} هو الآية التامة والكافية والنهائية التي تفوق وتغني عن كل الآيات المادية المقترحة؛ والقرينة التركيبية تقطع دابر الحشو المادي والشروط الكلامية وتوجب التوقيف والتسليم لحجة القرآن وحيداً بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن التحكم في النواميس الكونية أو تعليل كيفية خرقها أو اقتراح آيات خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود محصور بقوانين عالم الشهادة الحالية، وبما أن الآيات الكونية (كالعصا لموسى والناقة لصالح) كانت آيات حسية لزمانها وأقوامها بطلب إلهي غيبي معزول، فإن العقل يعلن عجز أدواته وقوانينه القياسية عن طلب الخوارق المادية في الرسالة الخاتمة التي نُقلت فيها الحجة نقلاً كلياً من "الحس المادي المحدود" إلى "العلم والمعرفة والبيان المطلق"؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي وطرح المرويات الظنية والاكتفاء بالمحكم القرآني.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في حصر الآية في الكتاب يتسق اتساقاً كلياً مع آيات منع الخوارق الكونية وبصيرة الفطرة، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد الروائية المادية والشروط الكلامية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو بيان منع إرسال الآيات الحسية المادية تعليلاً بسنته الغيبية الكلية في التنزيل: {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ}، وأصل السلوك اللغوي للفظ الآية كبصيرة علمية وهداية وجدانية: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في أن الله سبحانه يعلن ببيانه الذاتي منع إرسال الآيات المادية {وَمَا مَنَعَنَا}، ويخاطب الرسول ﷺ بلهجة شديدة قاطعة لطموح جلب آية مادية في [سورة الأنعام]: {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ... فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ}؛ فكيف يقبل المنهج العرضي مرويات آحادية تثبت خوارق مادية تصدم اطراد ومنع المحكم القرآني؟ فثبت بالاضطراد تصفية الروافد المادية الطارئة وحصر الآية في الكتاب {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ}، وتتصفى الروافد الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البرهان العقلي والوجداني الخالص بـ "تعالي المعرفة على المادة" وبديهة عقول المسلمين؛ فالعقل يعلم يقيناً أن المعجزة المادية هي حجة قاطعة فقط لمن "شاهدها وعاصرها" حساً، وتتحول عند غيابه عبر التاريخ إلى "خبر تاريخي" يحتمل الشك والتطرق، وبما أن الرسالة الخاتمة عالمية ممتدة لكل القرون، فإن حكمة الحكيم تقتضي أن تكون آيتها "معرفية بيانية مستمرة" يملك كل جيل أدوات فحصها وتذوق جلالها العقلي والوجداني؛ والوجدان يقر بأن خرق قانون فيزيائي إنما يثبت قوة تفوق ذلك القانون في تلك اللحظة، لكنه لا يثبت بالضرورة حقيقة أخلاقية أو تشريعية. الشاهد الوجداني يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن

"البيان القرآني" بما يحمله من هداية وعدالة ونظام معرفي متسق مع الفطرة يثبت ذاتياً وصاحبياً مصدره الإلهي الفوقي الخارجي، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص الاكتفاء بالكتاب ووصف الآية لم تأتِ لتنحت إعجازاً مادياً حسياً أو شرطاً منطقياً جافاً، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بخلود، وديمومة، وكفاية، وجلال الحجة البيانية القرآنية الفوقية المستقلة".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص جاء بصيغة الاستفهام الإنكاري المسور بتركيب الكفاية المطلقة {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ} والمقترن بصيغة الفعل المضارع المستمر المستدام {يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة الاستغناء المعرفي، والعزة بالحجة الخالدة المستمرة، ونفي الحاجة للوسائط المادية الحسية الزائلة" لتبث في وعيه جلال اليقين الدائم؛ وشُحِن تركيب تعليل إنزال الكتاب في قوله: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} بـ "شحنة اللطف الروحي، والذكرى العقلية الوجدانية الشاملة التي تغمر الفؤاد وتخاطب ذكاء المكلف وبصيرته" لتقريب جلال الرحمة الإلهية؛ وشُحِن تركيب نفي الآيات المادية في قوله: {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} بـ "شحنة الحسم السنني الكوني الصارم الذي يربط الفعل بمقاصده الكبرى". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالاعتراف بكفاية وديمومة الكتاب، مبرأً من حشو الماديين وجفاف المتكلمين الشروطيين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص حصر الآية في الكتاب هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الحركة بالقرآن، وتلاوته وتدبره حساً وحركة، والتحرك لتطبيق نظامه المعرفي والتشريعي في واقع الأرض والتاريخ دون انتظار لخوارق مادية أو اتكال على معجزات حسية زائلة؛ طالما أن الحجة المعصومة بين يديه مستمرة ودائمة"؛ فالشحنة التعبيرية (كفاية الكتاب النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {أَنَّا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ} جاء مسوراً بتركيب الفاعلية الدائمة والتحدي المعرفي ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية لنشر الكتاب، وقطع التعلل بطلب الخوارق المادية، والبعث نحو تحويل براهين القرآن إلى واقع حركي وعلمي وأخلاقي في مجتمع البشر"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب قطع طموح الآيات المادية {فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ... فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} المسور بأداة النهي الصارمة المسورة بنون التوكيد الثقيلة {فَلَا تَكُونَنَّ} ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي البلادة والخمول، فـ**"تدفع العبد دفعاً حاداً وحركياً للاكتفاء بالقرآن والتحرك به كقوة بيانية دافعة لتهديم عروش الباطل بالمعرفة والعلم والقيام بالقسط، طارحاً المرويات الظنية الطارئة للحشوية والشروط الاصطلاحية الجافة للمتكلمين"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل بالحق، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص الآية والكتاب هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة التلقي والمسؤولية العقلية الشاملة، وإخراج طبيعة النفس من البلادة

الحسية المادية والتعلق بالعروض المؤقتة إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة والانسجام مع الفطرة.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للحجة المعرفية الدائمة؛ فتركيب وصف كفاية الكتاب بالرحمة والذكرى في قوله: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة النقاء الأخلاقي والنعيم الروحي المستقر بأن حجة النبوة الخاتمة جاءت لترتقي بالوعي البشري وتخاطب عقله وتنبيه النفس إلى أن الغرض من القرآن هو بلوغ الذكرى العقلية والرحمة السلوكية والتراحم بين العباد"؛ وجاء النهي في {فَلَا تَكونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالترفع عن رذائل الجهل والتعلق بالماديات الحسية التباهية والوقوف الثابت عند حدود الحجة العلمية والبيانية المعصومة للقرآن"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزّكى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي حنّط طاقة الرسالة وحركيتها الأخلاقية في التاريخ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ النُّبُوَّةِ: (التَّفَاضُلُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَحَقِيقَةُ خَتْمِ النُّبُوَّةِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة واكتمال خط النبوات وأثره في وعي الإنسان ومسؤوليته في الأرض.
- محل النزاع :النقطة الحرجة برزت عندما عزل اللفظ القرآني الشاهد على اكتمال الرسالة عن مقصد الخطاب الحي وسياقه العملي، فتحول الختم من إعلان لتمام البنية المعرفية والتشريعية وصيانة وحدة الأمة، إلى ساحة صراع مادي ومفاخرات عصبية بين أتباع الأنبياء، أو فتح كثغرة للقول بنبوات مستترة أو استغناء كامل عن الغيب.

ثانيا: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1.القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الوقوف عند الحرفية والمادية)

- تفكيكه :وقفت هذه المدرسة عند اللفظ المفرد لكلمة الختم بوصفها مجرد قفل زمني وتاريخي عابر، وعزلتها عن البنية التشريعية الكلية للخطاب. وجعلت التفاضل بين الأنبياء خاضعاً لمقاييس مادية تقوم على المفاخرة الشعبية (كتفضيل أعضاء، أو مسافات جغرافية في العروج، وصور حسية)، مما صدم محكمات التنزيل التي منعت التفريق بين الأنبياء في أصل الرسالة، وحول الدين إلى صراع عصبيات ينتقص من النبوات السابقة لإثبات خاتمية النبي الخاتم.

2.القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (الإنكار والباطنية الفلسفية)

- تفكيكه :نشأ هذا المسار كرد فعل جدلي بارد؛ حيث حاولت الباطنية تأويل الختم على أنه ختم للظاهر دون الباطن لتمرير دعاوى نبوات مستترة أو تشريعات جديدة تحت مسميات أخرى. وفي المقابل، حولته الحداثة إلى قطيعة كاملة مع الغيب، مدعية أن

الختم يعني استغناء العقل البشري بالكلية عن الوحي. فحيّدت كلتا المدرستين الخطاب عن بيانه الذاتي، وجعلته لغزاً فلسفياً معزولاً عن طاقته الهداية.

ثالثا: البحث المقاصدي

.1البحث القطعي

- المضمون المعرفي المحكم :الإيمان الجازم بأن الرسول محمداً هو خاتم النبيين حقيقة ويقيناً زمناً ومعرفة وتَشريعاً. الرأي المستقر في ساحة التدين الخالص بلسان عربي مبين هو أن الختم يعني الإغلاق المعرفي والتشريعي المطلق للوحي، فلا نبي بعده يأتي بتشريع، ولا كتاب ينسخ شريعته.

- الدليل القطعي وثبوته :التواتر القطعي الحقيقي لآيات الحسم، وأمها قوله تعالى في سورة الأحزاب} :مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ{، وما تلاحم معها ثبوت قطعي من آية الإكمال في سورة المائدة} :الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي .{هذه النصوص تفيد العلم الضروري القاطع للأمة.

- الدلالة القطعية :تركيب الوصف النهائي في قوله }خَاتَمَ النَّبِيِّينَ {يفيد لغة وبلاغة ختم الجنس والنوع، فلا يتحمل وجوهاً تفسيرية متعددة، ولا يقبل التخصيص الجزئي. وآية }أَكْمَلْتُ {تعلن أن الدين بات بنياناً مكتملاً يمتنع عقلاً ونقلاً الزيادة عليه أو النقصان منه.

- إعلان عجز العقل البشري :التأسيس لعجز العقل التام والكامل عن ابتكار أو تصور قنوات غيبية جديدة للاتصال بالسماء بعد إعلان الشارع للختم. يجب الوقوف عند حدود التلقي السامع للنص التوقيفي، فالأمر غيبي ملكوتي ينتهي عند حدود التسمية والبيان النبوي.

.2البحث العرضي

- الخلاصة المعرفية المتسقة : نتيجة ختم النبوة تتلاحم بنيوياً مع حفظ القرآن في قوله تعالى} :إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ{؛ إذ لا يمكن عقلاً ختم النبوة مع ترك الرسالة للتحريف. هذا التلاحم يدفع التناقض ويؤكد أن بقاء النص معصوماً هو العلة لاستغناء البشرية عن بعثة رسل جدد.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد) :الجذر الكلي في التنزيل قائم على أن البشرية سارت في خط تصاعدي نحو الرشد والمسؤولية؛ والشاهد الاطرادي هو جعل الرسالة للعالمين كافة كقوله تعالى} :وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ{، مما يقطع حاجة التجزؤ الجغرافي أو التاريخي للنبوات، فيتناغم الوحي كله مبرأ من أي تعارض.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد) :تستجيب البدائه العقلية والفطرة السوية لفكرة الاكتمال؛ فالإنسان يجد في نفسه طمأنينة بأنه لم يعد متروكاً لدعاوى الدجل والإنكار. يتظاهر هنا الرسول الخارجي المحكم وهو القرآن، مع الرسول الداخلي السليم وهو العقل والفطرة، فتسقط دعاوى الباطنية لأن الوجدان يرفض الوصاية الغيبية البشرية بعد كمال الدين.

3.البحث التعبيري

- الرسالة التعبيرية :أراد النص إيصال روح الأمان المعرفي والاستقرار التشريعي؛ ليعلم الإنسان أن القواعد الكبرى للحق والعدل باتت ثابته لا تتبدل بمزاج زمن أو طغيان بشر.

- التفصيل الدلالي :عند تفكيك قوله تعالى} :مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ{، نجد كيف نفى النص الأبوة النسبية ليؤسس لأبوة رسالية عامة تتجسد في }وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ .{ تركيب الجملة مشحون بطاقة هائلة لتعظيم الذات الإلهية بقوله في ختامها} :وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا{؛ أي أن الختم ناتج عن علم محيط بحاجة البشرية. هذه الشحنة التعبيرية تخرج اللفظ من جمود القاموس الحشوي ومن برود المتكلمين، لتلتقي مع الفطرة في إجلال هذا الإغلاق الرباني العليم.

.4البحث التأثيري

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي :المصب النهائي للختم هو دفع الإنسان لتحمل المسؤولية الكاملة عن نفسه وعن حراكه في التاريخ والأرض، دون انتظار لمخلص غيبي جديد يقوم بالمهمة نيابة عنه.

- تفصيل الدلالة التأثيرية :يتحول النص فوراً من مقدمة نظرية إلى طاقة تأثيرية حركية صريحة. فالختم يقطع سبيل التواكل، ويشحذ الهمم بأمر ضمني حاسم للقيام بالقسط، وضبط الميزان السلوكي بالمليمتر. النص بهيبته يلغي واقع الاستسلام والخوف من الطغيان والفساد؛ لأن المرجعية العليا باتت محفوظة ومتاحة للجميع، مما يبعث المتلقي لبناء الجهوزية المعرفية وتحمل المسؤولية الوجودية التامة عن كسبه وعمله.

.5البحث التربوي

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي :تطهير باطن المكلف من أوهام الغفلة والهوى الركيك، وتصحيح نزوعه النفسي نحو التدين الأخلاقي الذاتي الصادق مبرأ من التدين الصوري.

- مخاطبة النفس الإنسانية :يتوجه النص بتراكيبه الفوقية ليخاطب جبلة النفس البشرية الثابتة؛ فيبث فيها الخشية الواعية بالرقابة الكونية عبر قوله تعالى} :وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا .{ يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكى، يمتلئ قلبه بالطمأنينة لأن النعمة قد أتمت عليه، والمنظومة الخاتمة تحفظ كينونته من التشتت والجمود الجاف.

الْمَسْأَلَةُ الخامسةُ مِنْ كِتَابِ النُّبُوَّةِ: (عِصْمَةُ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ)

أولاً: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة الحماية والتوقيف وعصمة كتب الله المنزلة قاطبةً (التوراة، الإنجيل، القرآن) وكلامه من التحريف والتبديل المادي في لسان التنزيل.

- محل النزاع :هل تقبل كتب الله السابقة التحريف والتبديل المادي المستقر في الواقع (ماهية كلامية تجزيئية فرقت بين الكتب فأهانت قدسية الوحي السابق)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن أصل "العصمة الذاتية لكلام الله المنبثقة من عزته"، فتحولت الآيات الواصفة لمخازي المحرفين ومحاولاتهم الفاشلة إلى مستند لادعاء ضياع كتب الله السابقة، في حين أن حقيقة التوقيف تقتضي امتناع تبديل كلام الله تكويناً، ووجوب جمع وتوجيه وتأويل كل اختلاف ظاهري في الواقع القائم؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون :يجمد هذا الاتجاه على ظواهر الآيات الواصفة لـ "التحريف" عازلاً إياها عن أصول عظمة كلام الله وعصمته الذاتية؛ فيقرر أصحابه أن التوراة والإنجيل قد حُرّفت مادياً بالكامل وضاعت أصولها، منبرين لإثبات التناقض والتبديل المستقر في الواقع التاريخي للنسخ المعاصرة، متأثرين بخصومات جدلية عطلت أصل صيانة الوحي الإلهي وعصمته في الأرض عبر التاريخ.

- وجه الاستقلالية وأزمته :حاول هذا التيار بناء عقيدة مستقلة عزل فيها حفظ الوحي عن كمال حكمة الإله وعزته الحامية؛ فصدم حتماً بالمحكمات القرآنية التي أمرت بمحاكمة أهل الكتاب إلى كتبهم المعاصرة للنبي }وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ{،

ولو كانت ممحوة ومحرفة مادياً بالكامل لاستحال وجداناً وتشريعاً الأمر بمحاكمتهم إليها، مما أوقع هذا التيار في تناقض معرفي جاف وحيّد طاقة الحجة القائمة بالكتب.

.2القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (الجدل المنطقي الاستسلامي)

- المضمون :غرق هذا الاتجاه في إيجاد مسوغات عقلية وجدلية تبرر ضياع وعزل العصمة عن الكتب السابقة، فادعوا أن البشر حوّلوا وبدلوا الكلمات المكتوبة في النسخ دون أدنى مانع تكويني، مستسلمين ومستكينين للواقع التاريخي والاضطراب الظاهري للنسخ، وجعلوا حماية النص وصيانته صفة طارئة خاصة بالقرآن الكريم وحده دون سائر كلام الله المنزل من غيبه.

- وجه الاستقلالية وأزمته :اعتمد هذا التيار على محاكمة الغيب الإلهي بقوانين الشاهد المادي وقصور الحفظ البشري؛ فأخرج نصوص التحريف عن سياقها الذاتي (الذي يسجل المحاولات والمكر البشري الفاشل)، ونزع صفة القداسة والامتناع عن كلام الله السابق، محولاً قضية عصمة الوحي وصيانته إلى تفرقة تحكمية باردة بين كلام وكلام.

ثالثاً: البحث المقاصدي

.1البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم :الوقوف التام والكامل عند حدود ‘‘البيان القرآني’’ كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن كلام الله وكتبه المنزلة قاطبةً ممتنعة عن التحريف والتبديل المادي المستقر امتناعاً تكوينياً مطلقاً وعصمتها ذاتية ثابتة بعهد وجعل رباني حكيم ممتد من عزة ذاته؛ وأن كل آيات الباب إنما تسجل محاولات عابرة وفاشلة للمحرفين لم تنجح ولم تستقر في أصل الوحي؛ مع الالتزام القاطع بتأويل وتوجيه وفك أي اختلاف ظاهري في الواقع الموجود، وتطهير الساحة كلياً من جفاف التحكم والتفريق الكلامي للفرق.

- الدليل القطعي وثبوته :المستند اليقيني الصرف الثابت المانع لتبديل كلام الله والموجب لعصمة وبقاء كتبه السابقة من التحريف المادي المستقر هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات الحظر والامتناع التكويني والتشريعي، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة الأنعام]} :لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {[الأنعام: 115]، وقوله تعالى في محكم [سورة الكهف]} :وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا {[الكهف: 27]. ويبرز الدليل القطعي الشاهد على حضور الكتب وعصمتها في زمن البعثة الخاتمة قوله تعالى في محكم [سورة المائدة] آمراً بالمحاكمة إليها ومحذراً من تركها : }وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ {[المائدة: 43]، وقوله جل وعلا : }وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ {[المائدة: 47]، مطلِقاً الوصف الحاسم على مَن أعرض عنها} :وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ {[المائدة: 44]، و**{فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** [المائدة: 45]، و**{فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}** [المائدة: 47]. وهذه نصوص قطعية الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية :إثبات أن هذه النصوص قطعية الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ ويتضح ذلك من جهتين:

1. جهة الامتناع والعزة :جاءت (لا) النافية للجنس الداخلة على النكرة في قوله }لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ {لتفيد العموم والامتناع المطلق تكويناً وتشريعاً، مضافاً إلى "كلماته" الشاملة لكل ما أنزل من غيبه؛ وختم الآية الكبرى لعزته وحكمته في سورة النساء بـ }وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا {[النساء: 165] يمتد ذاتياً ليدل على أن عزته ومنعته سبحانه قائمة ومحيطة بكتبه وبكل ما أنزل، فتمتنع كلماته وكتبه بعزة ذاته العلية عن أن ينالها طوفان المحو أو التبديل المادي المستقر.

2. جهة الوجود والحجية :جاء تركيب الاستفهام الإنكاري التعجبي في قوله }وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ {مستخدماً ظرف المكان }وَعِندَهُمُ {ومؤكداً بالجملة الاسمية والحالية }فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ{، ليدل دلالة

قاطعة لا تقبل التأويل على أن التوراة المعاصرة لزمن البعثة حاضرة، قائمة، سالمة، وتحوي حكم الله الحق؛ وجاء فعل الأمر الصريح }وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ {بلام الأمر ليوصم مَن يعتزل هذه الكتب أو يزعم ضياعها الكلي بأشنع أشكال الوعيد الوجودي؛ إذ رتب التنزيل أحكام الكفر والظلم والفسق على مَن ترك الحكم بما أنزل الله فيها. ولو كانت هذه الكتب ممحوة أو محرفة مادياً بالكامل لاستحال وجداناً وتشريعاً وصم الإنسانية بالكفر والفسق على ترك كتاب ضائع أو مبدل؛ فالقرينة التركيبية تحصر آيات "التحريف" في مساحة الجناية السلوكية والتأويلية ومحاولات اللّي العابرة الفاشلة التي لم تنجح ولم تستقر كقوله} :يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ {[آل عمران: 78]، وتقطع دابر الحشو والتعطيل المذهبي.

- إعلان عجز العقل البشري :تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إيجاد مبرر لاهوتي يجيز تدمير أو تحريف كلام الله المنزل، أو بناء أحكام جزائية مستقلة بناءً على نسخ مضطربة الواقع خارج حدود التوجيه والتأويل التوقيفي المعصوم". وبما أن عصمة وصيانة كلمات الله تدبير غيبي مطلق مرتبط بصفات الحكمة والربوبية والعزة، فإن العقل يعلن عجز أدواته المادية التاريخية عن الطعن في سلامة وعصمة الوحي؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والتسليم لامتناع التبديل.

2.البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة :إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في عصمة كتب الله يتسق اتساقاً كلياً مع آيات الأمر بالإيمان بكافة الكتب دون تفريق، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد التحكمية الحشوية والوجوبية الكلامية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد) :الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو إعلان امتناع التبديل وعصمة كلام الله في التنزيل} :وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ

اللَّهِ {[التوبة: 111]، وأصل اطراد نفي القدرة البشرية على طمس كلمات الله وتبديلها} :يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا {[الفتح: 15]. الشاهد القرآني يثبت أن محاولات التحريف كانت محصورة في "اللّي" و"الكتمان" و"التحريف بين أيديهم" دون القدرة على إعدام النسخ الإلهية المستقرة؛ ويتسق هذا ويطرد مع قوله }لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ{ ، فبطلت الأطروحات التجزيئية التي أهانت وعزلت العصمة عن الكتب السابقة بدعوى ضياعها المادي، واطرد النص ناصعاً وتصفت الروافد.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد) :الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن إلهاً حكيماً عزيزاً لا يمكن وجداناً وعدلاً أن يترك وحيه المنزل لرحمة العبث البشري الطامس له بالكلية؛ فلو ضاعت التوراة والإنجيل مادياً لضاع النور والهدى الموصوفان بهما قرآنياً بحكم التلازم المعرفي؛ فالوجدان يسكن ويطمئن عندما يربط بين عزة الله وعصمة كتبه كافة. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يتطابق تماماً مع القول العرضي؛ لأن الفطرة ترفض انتصار العبث الإنساني على كلام الرب، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

4.البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي :إن نصوص عصمة كتب الله وامتناع تحريف كلماته لم تأتِ لتنحت حالة من الذهول المعرفي البارد، بل إن الخصائص التأثيرية والروح المعرفية للخطاب جاءت لتكون حاملاً حركياً يشحن وعي الأمة بضرورة "التحرك الفعلي لجمع، ودراسة، وتأويل وتوجيه الاختلافات الواقعية الظاهرة في الكتب" بروح الوحدة والجمع لا بروح الطعن والتعطيل والتفريق.

- تفصيل الدلالة التأثيرية :بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب، نجد أن التركيب في قوله }لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ {شُحن طاقة حركية وعقلية هائلة؛ فنفي التبديل المطلق يبث في روع المكلف شحنة "الأمان الوجودي والموثوقية المطلقة بمصدر الهداية الإلهي التاريخي"، مما يدفعه حركياً للبحث والجمع والتوجيه العلمي لكل ما يظهر من اختلاف في الواقع القائم، بينما أورث تركيب تسجيل محاولات التحريف

الفاشلة شحنة "الحذر الصارع" واليقظة العالية لمواجهة أي محاولة معاصرة للّي الألسن وتزييف معاني النص المحكم، مبرأً من جفاف المعتزلة وتجزيء الأشاعرة.

5.البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي :العلة الغائية القصوى لنصوص عصمة الكتب وامتناع التبديل هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية لتعديل سلوك المكلف؛ بتربيته على قمة الاستقرار النفسي والتوازن الأخلاقي القائم على ثبات المرجعية الإلهية المحمية في الأرض عبر التاريخ، وإخراج طبيعة النفس من حيز الشك والحيرة والاضطراب إلى حيز اليقين والانسجام التام مع النور الإلهي المستمر.

- مخاطبة النفس الإنسانية :يتوجه الخطاب الإلهي ليخاطب حاصراً طبيعة النفس البشرية الواحدة الثابتة في جبلتها الفطرية السوية؛ وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وفطرياً لقيمة الثبات المطلق؛ فتركيب النفي الحاسم للتبديل المعزز بعزة الله شحن سياقياً ليوصل لنفس المكلف "اليقين المستقر بأن ركائز الهدى الإلهي في الأرض ركائز معصومة ومحمية ذاتياً من طوفان الهوى البشري"، وجاء فضح محاولات التحريف الفاشلة ليخاطب وجدان النفس بـ "تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالترفع التام عن رذائل التلاعب بالنصوص، والوقوف الثابت عند حدود الأمانة العلمية والمسؤولية الأخلاقية الشاملة ."وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي للفرق الذي عطل حركية الرسالة.

كِتَابُ الْإِمَامَةِ

الْمَسْأَلَةُ أُولَى مِنْ كِتَابِ الْإِمَامَةِ: (حَقِيقَةُ الْإِمَامَةِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد منصب "الإمامة" الإلهي وعلامة المرجعية المعرفية بعد انقطاع الوحي، والفرْز الوجودي بينها وبين "السلطة السياسية والزمنية" (الخلافة التاريخية الإدارية) المشهودة في نصوص التنزيل والبيان النبوي المتواتر.

- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي والنبوي ليؤسس وينشئ "منصباً دنيوياً مصلحياً محضاً غايته حراسة الثغور السياسية وجباية الأموال وإدارة الحكم" يُترك لاختيار العوام والمنافسات السياسية (ماهية وجودية لفظية تاريخية)، أم جاء ليكون مجرد فرع فقهي جاف خاوٍ من الحجية المعرفية والإحاطة بالكتاب (ماهية تأويلية كلامية خصومية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ الإلهي والتواتر النبوي عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"؛ وتحول ما هو "جعلٌ وعهدٌ رباني معصوم" لحفظ النص وتبيينه وصيانة صمام الأمان المعرفي للأمة إلى صراع سلطوي تاريخي على كراسي الحكم والإدارة الزمنية؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الخلافة التاريخية الزمنية)

- المضمون: يختزل هذا الاتجاه مفهوم الإمامة الإلهي العظيم ويحشره كلياً في "إدارة الحكم الإداري، وجباية الأموال، وتدبير الجيوش والسياسة"؛ فيقرر أصحابه أنها منصب دنيوي مصلحي بحت يُترك لاختيار البشر ووفق آليات الانتخاب أو القهر والغلبة، مستندين في تشكيل عقيدتهم للواقع التاريخي والسياسي الفعلي الذي جرى بعد وفاة النبي ﷺ

وشروح الفقهاء المتأخرين؛ عازلين القيادة المعرفية النورانية لأهل البيت عليهم السلام عن مسار الأمة.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتصور للولاية والقيادة الدينية مستقلاً بالحدث التاريخي البشري الزائل وجعله حاكماً ومفسراً للنصوص؛ فصدم حتماً بكليات القرآن التي جعلت الإمامة عهداً وجعلاً إلهياً منزهاً؛ مما سلب الدين صمام أمانه البياني المعصوم، وأسقط المقامات الربانية الهدائية في قوالب الصراع السلطوي المادي، وحول الدين الخاتم لمنظومة سياسية خاضعة للأهواء المتغيرة للفرقاء.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه في التمحل المنطقي رداً على أدلة الشيعة المعرفية والنقلية؛ فقرروا جعل الإمامة من "فروع الدين" لا أصوله المعرفية، وانشغلوا بـ "تأويل" الأحاديث التبيينية المتواترة (كحديث الغدير والثقلين والمنزلة) بصرف وتفكيك تراكيبها؛ فقالوا إن لفظ "المولى" في يوم الغدير يحتمل عشرين معنى معجمياً كالناصر والمحب، وطالما تطرق إليه الاحتمال اللغوي بطل الاستدلال به على الإمامة؛ لتبرير السلوك السياسي التاريخي للسلف.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة عقلية ومصلحية مستقلة ولدت كرد فعل جدلي ومذهبي؛ فإخضع الخطاب النبوي والبلاغي المعجز للتشريح القاموسي البارد خارج سياقات العظمة والأولوية بالأنفس، فجفف وحيّد حقيقة جلال المنصب الإلهي، وعزله عن وراثة علم الكتاب، وحوله لمعادلات منطقية جافة لشرعنة الشورى البشرية العفوية المأزومة بالصراع التاريخي.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود ''البيان القرآني'' المتطابق مع "النص النبوي المتواتر قطعياً"؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن الإمامة منصب إلهي روحي ومعرفي، وجعلٌ رباني معصوم يمثل المرجعية العليا لبيان الكتاب وحفظ الشريعة بعد انقطاع الوحي؛ وهي مباينة ومفصولة تماماً عن مفهوم "السلطة السياسية الزمنية" (الخلافة الإدارية)، فالسلطة قد تؤول للإمام الشرعي المصطفى وقد تُغتصب منه حساً وبفعل القهر البشري، لكن إمامته المعرفية والهداياتية تظل قائمة ومستمرة بيقين الجعل الإلهي المتواتر؛ وتطهير الساحة كلياً من الاختزال السياسي للحشوية ومن التمييع الجدلي للمتكلمين؛ فالقطع يتطلب التلقي والتسليم للعهد الإلهي، والوقوف عند حدود التسمية والتلقي السامع دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت من محكم التنزيل هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات الجعل والعهد الرباني، ومن أمهات الآيات قوله تعالى في محكم [سورة البقرة]: {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}؛ ويقترن هذا ويتظاهر قطعياً وثبوتاً مع البلاغ النبوي المتواتر تواتراً حقيقياً يفيد العلم الضروري للأمة يوم غدير خم: (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ) وحقيقة حديث الثقلين المتواتر: (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ).

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث صدّر الله سبحانه المنصب بلفظ {إِنِّي جَاعِلُكَ} والجعل هنا اسم فاعل مفيد للاستمرار والإنشاء الإلهي المحض الذي لا دخل للبشر فيه، وجاء العهد متأخراً عن رتبة النبوة لإبراهيم عليه السلام، وختم بـ {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} فوصف الإمامة بأنها "عهد الله"، والعهد الإلهي يمتنع لغة وعقلاً وتوقيفاً أن يخضع لأهواء الشورى البشرية أو يناله من تلبس بالشرك أو الظلم يوماً ما؛ ويتطابق هذا دلالة مع حديث الثقلين في النهي عن مفارقة العترة للقرآن {لَنْ يَفْتَرِقَا}، وموجب الامتثال المطلق يثبت التعيين والتوقيف المعرفي للإمامة بيقين المحكم والمتواتر الحقيقي المفيد للعلم الضروري.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن اختيار، أو تعيين، أو ترشيح صاحب منصب الإمامة الإلهية المعرفية المعصومة خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن قاصر النظر، تتقاذفه الأهواء، وتحكمه المصالح والبيئة السياسية والجغرافية، وبما أن الإمامة عهد إلهي وتدبير غيبي مرتبط بحفظ الشريعة وبيان مجملات الكتاب المكنون، فإن العقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه الانتخابية عن سبر كنه هذا الاصطفاء الرباني الغيبي؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والالتزام بتوقيف النص النبوي والقرآني المعصوم المتواتر.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في كون الإمامة منصباً هداياتياً معرفياً مباثناً للسلطة الزمنية يتسق اتساقاً كلياً مع آيات الاصطفاء بالعلم والشهادة الكونية، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد التاريخية الطارئة والتمحلات الكلامية الخصومية.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو حصر وظيفة الإمامة بعالم الأمر والهداية النورانية في التنزيل: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا}، وأصل فحص الاصطفاء الرباني المرتكز على العلم لا المادة والمال والسياسة: {قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في قصص الأنبياء والأوصياء؛ فكم من إمام وجعْل إلهي معصوم لم يملك سلطة سياسية، ولا جيوشاً، ولا خلافة إدارية (كطالوت المستضعف مالياً وسياسياً قبل الملك، وأوصياء بني إسرائيل المستضعفين)، فالاصطفاء قائم ومطرد على "بسطة العلم" {وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ} لا على السعة المالية أو الغلبة العسكرية؛ ويتسق هذا ويطرد مع اقتران إكمال الدين كله ببلاغ ولاية وإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الغدير بنص المحكم في [سورة المائدة]: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} المسبوق بأمر البلاغ الحاسم وحماية منصب الرسالة {بَلِّغْ

مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ}. فالبيان يطرد حتماً بفرز الروافد التاريخية والسياسية الزائلة وحصر المنصب في طهارته العلمية والبيانية.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة جداً في عقول وفطرة المسلمين بأن "القرآن الكريم" الحمال للأوجه لغوياً وتركيبياً {مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ... وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} والممتد لكل الأجيال والقرون، يستحيل وجداناً وفطرة وحكمة أن يُترك للناس بعد غياب النبي دون "مرجعية معصومة مطهرة" تعينها القدرة الإلهية لتكون حاسمة للتنازع وتبيين المجمل، وأن حماية الدين بآلية الانتخاب السياسي المتغير الحبلى بالصراعات والأهواء البشرية هي مجازفة تعصف بوحدة المضمون التشريعي (وهو ما وقع حساً وتاريخياً بالخلافة السياسية). الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً لولاية وإمامة أهل البيت؛ لأن الفطرة تسلم بأن من يقود سفينة الأمة وسط أمواج الفتن والتشظي اللغوي لا بد أن يكون امتداداً للنبوة في العلم والتسديد، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص الإمامة، والولاية، والعهد لم تأتِ لتنحت معادلة إدارية سياسية جافة أو سلطة زمنية عابرة، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بوجود صمام أمان روحي وعلمي معصوم يربط الأمة بالسماء ويحفظ نقاء التشريع الخاتم".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص قرن الإمامة بتركيب الاتصال بعالم الغيب والأمر {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة الطمأنينة المطلقة، والارتباط الوثيق بالتسديد الإلهي، واليقين بأن القيادة المعرفية موصولة بفيض النور الرباني العاصم من الخطأ" لتبث في وعيه جلال الانقياد؛ وشُحِن تركيب بلاغ الغدير المحكم في قوله: {بَلِّغْ

مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} بـ "شحنة الخطورة العظمى، والتهويل الملكوتي الجليل الذي يجعل الدين كله في كفة وبلاغ الإمامة والولاية لعلي عليه السلام في كفة موازية ومتممة للرسالة" لتهز وجدان الأمة؛ وشُحِن تركيب التلازم في حديث الثقلين المتواتر قطعاً: {وإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ} بـ "شحنة الملازمة الوجودية السرمدية بين القرآن والعترة الحافظ لوحدة المضمون". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة الوحي لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالتعظيم والولاء للمرجعية المطهرة، مبرأً من حشو الفقهاء السياسيين وجفاف المتكلمين الخصوميين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص الإمامة والولاية لأهل البيت هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الالتفاف والالتزام العملي الصارم بأمرهم، والتلقي المعرفي والفقهي عنهم حساً وحركة، والتحرك تحت رايتهم العلمية لتنفيذ قيم العدل والقسط، ومواجهة الانحراف السلوكي والظلم السياسي في الأرض؛ طالما أن منصب القيادة المعرفية قد عين إلهياً ليكون حارساً لحركة الأمة في التاريخ"؛ فالشحنة التعبيرية (صمام الأمان والولاية النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية لآيات الباب، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} المتبوع بتركيب الضمان العصمي العظيم {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} جاء بصيغة فعل الأمر الحاسم والملزم الشديد {بَلِّغْ} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة أرشدت النبي ﷺ وتحرك بها حركياً وعملياً في حشد غدير خم، فـ**"جمَع الأمة في حر الهجير، وخطب فيهم رافعاً يد علي بن أبي طالب أمام الجموع حساً وحركة، ليتحول البلاغ الفوقي إلى حدث تاريخي وجودي يلزم المكلفين بالبيعة العملية والطاعة والولاء الحركي التام لأمير

المؤمنين"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب النهي والتحذير النبوي الصارم المتواتر قطعاً في حديث الثقلين: (فلا تقدموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتعطبوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) المسور بصيغ النهي والتحذير الحركية المقترنة بعقوبة الهلاك والعطب الوجودي {فَتَهْلَكُوا} {فَتَعْطَبُوا}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تقمع الهوى السياسي وتفجر الفاعلية، فـ"تدفع المكلف دفعاً حاداً وحركياً للأخذ والتعلم والانقياد السلوكي التام لأهل البيت عليهم السلام، والتحرك بنصوصهم لتهديم عروش الباطل وإقامة ميزان الحق، طارحاً أطروحات الخلافة التاريخية الزمنية للحشوية وتمحلات التمييع اللغوي للمتكلمين الخصوميين"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل المسدد بالسفينة، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص الإمامة والاصطفاء الهدائي هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة الانقياد للمرجعية المطهرة وطمأنينة النقاء المعرفي، وإخراج طبيعة النفس من أتون التنازع والأهواء السياسية والمفاخرات القبلية الجاهلية إلى حيز اليقظة الأخلاقية والانسجام التام مع الفطرة.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للقيادة الربانية المعصومة؛ فتركيب وصف الإمامة بالعهد المانع للظلم في قوله: {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة التنزيه الأخلاقي الشامل، وتنبيه النفس إلى أن رتبة الإمامة والقيادة الدينية مقام قدسي طاهر يمتنع تكوينياً وتشريعياً أن يناله من تلبس بالظلم أو الشرك يوماً ما، فيتعدل سلوك المكلف بالانحياز الأخلاقي الكلي لخط النقاء والأمان الروحي"؛ وجاء وصف الدخول في ولايتهم بالاستمساك بالعروة الوثقى لانفصام لها {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا}

ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تطهيرها وتعديل سلوكها بالكامل بالانعتاق من قيد الطواغيت والقوى المادية الحاكمة بالظلم، والاستمساك الحبل الروحي والهدائي المعصوم الممتد من السماء والمتمثل في عترة أهل البيت عليهم السلام لتبلغ النفس سُبل السلام والسكينة الباطنية المستقرة"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي شتت وعي الأمة وعطّل طاقة الرسالة وحركيتها التاريخية.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِمَامَةِ: (النَّصُّ وَالتَّعْيِينُ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد "النص والتعيين الجلي" لإمامة عترة أهل البيت عليهم السلام والولاية العامة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المشهودة في محكم التنزيل ومتواتر السُنّة.

- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي والنبوي المتواتر قطعاً ليقيم دلالة هامشية أو جزئية تحتمل التراخي العرفي أو صرف المعاني إلى مجرد المحبة والنصرة العادية (ماهية وجودية تأويلية كلامية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي انقدح تاريخياً عندما تم عزل اللفظ والتركيب البلاغي ليوم الغدير عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الحاصر والتحريكي الحركي"، وتحويل ما هو بلاغ إلهي نهائي مسور بأدوات الحصر والأولوية بالنفس إلى مجرد حدث عابر أو لغز قاموسي خاضع للاحتمالات اللغوية المجردة للفرق؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على تسويغ الواقع التاريخي الذي جرى حساً بعد وفاة النبي ﷺ وجعله حكماً وقاعدة لتفسير النصوص؛ فيقرر أصحابه أن النبي ﷺ لم يعين أحداً ولم ينص على إمام من بعده نصاً جلياً، وأن الأحاديث المتواترة (كحديث الغدير) هي قضايا شخصية وجزئية نزلت فقط لحل خلافات فرعية وقعت في اليمن بين الصحابة قبل حجة الوداع، أو لتطييب النفوس عاطفياً.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لبنية الولاية والأمة مستقلاً بآحاد تفاصيل الروايات التاريخية والقصصية الظنية الصدور والدلالة؛ فصدم حتماً بالاطراد المعرفي لآيات الحصر البلاغي والقرائن السياقية؛ مما أسقط الخطاب النبوي العظيم في محاصرة الحدث التاريخي الجزئي المحدود، وعزل الوعي البشري عن إدراك عظمة التكليف الإلهي الختمي المقترن بإكمال الدين.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (التمميع الكلامي الخصومي)

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (متكلمو المعتزلة والأشاعرة والماتريدية) في تفكيك وتشريح المفردات اللغوية وعزلها بالكلية عن تراكيبها البلاغية وسياقاتها النورانية الحاشدة رداً على أدلة التعيين؛ فقرروا أن لفظ "المولى" في لسان العرب لفظ مشترك يحتمل أكثر من عشرين معنى (كالناصر، والمحب، وابن العم، والمعتِق، والجار)، وبما أن اللفظ المفرَد يحتمل معاني متعددة، فإن الاحتمال يتطرق إلى النص، وطالما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال على منصب الإمامة والقيادة المعرفية.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة معجمية مجردة ومنظومة منطقية مستقلة ولدت كرد فعل صراعي ومذهبي لشرعنة الشورى السياسية البشرية؛ فأخضع النص البليغ المجمع الشروط للتشريح القاموسي البارد، مجرداً الخطاب النبوي العظيم المعجز من سياقه الحاصر وقرائنه العلوية الصارمة الدالة على الأولوية بالنفس؛ فبنى منظومة تأويلية جافة مستقلة عطلت دلالة التعيين وحوّلت الوحي إلى مجرد مساحات احتمالية ظنية للفرق.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود ‘‘البيان القرآني’’ المتطابق مع "النص النبوي المتواتر قطعياً"؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن إمامة أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام ثبتت بنص وتعيين إلهي حاسم لا يملك البشر حق نقضه أو تغييره بالهوى السياسي؛ وأن التراكيب البلاغية والسياقية تفيد وجوب الامتثال الكلي والأولوية المطلقة بالمقام والقيادة المعرفية؛ وتطهير الساحة كلياً من الجمود التاريخي للحشوية ومن التمييع التأويلي للمتكلمين؛ فالقطع يتطلب التلقي والتسليم للنص والولاية، والوقوف عند حدود التسمية والتلقي السامع دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت المانع للشك هو البيان القرآني الذاتي والحاصر للولاية في تركيب سياقي محكم في [سورة المائدة]: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}، متبوعاً بالبلاغ النبوي المتواتر تواتراً حقيقياً مقطوعاً بصدوره بيقين يفيد العلم الضروري للأمة بغدير خم: (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ).

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في آية الولاية هو قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث صدر الله سبحانه التركيب بأداة الحصر {إِنَّمَا} المفيدة لقصر وقصر الولاية الحقيقية، وجاء بلفظ {وَلِيُّكُمُ} مفرداً ليجمع ولاية الله ورسوله وعلي عليه السلام (المتواتر نزولاً وجمعاً وتصدقاً بالخاتم في ركوعه) في رتبة وسياق تركيبي واحد؛ وتطابق هذا دلالة قطعياً مع البلاغ النبوي في الغدير الذي صدّر المعنى بتركيب استفهامي تقريري قاطع: (ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه)؛ فقرن النبي موالاته بأولويته المطلقة بالنفس والتشريع، فثبت النص والتعيين بيقين التركيب البلاغي الكلي المستقل وتوجب التوقيف والتسليم للتعيين كما ورد بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إسقاط أو صرف الدلالة البلاغية لنصوص التعيين الإلهي بناءً على الاحتمالات القاموسية المجردة خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود، وإخضاع النص البليغ المسور بقرائن العظمة والأولوية بالأنفس لقواعد التشريح المعجمي المفرد هو خروج عن السلوك اللغوي للعرب؛ والعقل يعلن عجز أدواته وقوانينه

القياسية التاريخية عن نقض الجعل الإلهي الخاتم المتصل بعلم الله المحيط؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والالتزام بتوقيف النص والتعيين المأثور يقينياً.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في ثبوت النص والتعيين يتسق اتساقاً كلياً مع آيات وجوب الطاعة المطلقة وقرائن التلازم المعرفي الدائم، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد الجمودية والتميعات الكلامية الخصومية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد آيات وجوب الطاعة المطلقة المعصومة الملازمة لطاعة الرسول في التنزيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ}، وأصل صيانة البلاغ من الهوى العائلي أو المصلحة البشرية الكسبية: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في التأسيس للتعيين؛ فـ "أولي الأمر" عُطفوا على طاعة الرسول بنفس فعل الطاعة {وَأَطِيعُوا} دون تكرار للفظ الفعل ليدل التناغم التركيبي بلسان العرب على أن طاعتهم هي عين طاعة الرسول المعصومة، وبما أن إطاعة غير المعصوم أو المعين بالهوى البشري ممتنعة قرآناً لئلا يلزم الأمر بالخطأ، اطرد القرآن في التعيين الإلهي لمرجعيات الحق المتمثلة في أهل البيت عليهم السلام؛ ويتسق هذا ويطرد مع برهان تلازم الثقلين والامتناع عن الافتراق {إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ}؛ فالتلازم المطلق يثبت معصومية وتعيين هذه المرجعية ديمومة للقرآن نفسه، وتتصفى الروافد التميعية الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن إلهاً حكيماً ونبياً رحيماً بالمؤمنين حريصاً عليهم {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم} لا يمكن وجداناً وفطرة وحكمة أن يترك الأمة الوليدة دون تعيين وإشارة صريحة جليّة إلى القائد المعرفي المعصوم الذي يقود سفينتها وسط أمواج الفتن؛ والعرب لا تجمع الناس في حر الهجير وفي وادٍ قفر لتخبرهم بمعانٍ

مرجوحة كالمحبة العادية، بل لتثبيت عهد وجعل إلهي خطير. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً لنص الغدير والتعيين الإلهي لأنه يمثل ذروة الحكمة والرعاية الفوقية المتسقة مع الفطرة، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين (المحكم القرآني والوعي الفطري السليم) وسقوط أطروحات الإهمال أو الشورى السياسية العفوية.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص التعيين وولاية الغدير لم تأتِ لتنحت معادلة احتمالية معجمية أو لغزاً قاموسياً بارداً، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بحتمية، وأولوية، ووجوب الطاعة والانقياد الكلي للمرجع المعين المعصوم المقرون بالأولوية بالنفس".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في البلاغ النبوي: (ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه) شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص استعمل تركيب التقرير الاستفهامي {أَلَسْتُ أَوْلَىٰ} المقترن بالأنفس {مِنْ أَنفُسِهِمْ} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة السيادة المطلقة، وحق الطاعة والامتثال الفوقي الذي يفوق سلطة النفس على ذاتها" لتبث في وعيه جلال الأولوية، وجاء تركيب الربط الفوري الفصلي بـ فاء التعقيب والقرينة العلوية {فَهَٰذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ} ليشحن اللفظ بـ "شحنة نقل الأولوية والسيادة والقيادة المعرفية والتشريعية كلياً لعلي عليه السلام بنفس رتبة ومقام الأولوية النبوية" لقطع حيرة الأمة؛ وشُحِن تركيب الحصر في آية الولاية: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ} بـ "شحنة الحصر الوجودي الصارم الذي يربط طاعة المعين المعصوم بطاعة الذات الإلهية العلية مباشرة". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة الوحي لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالانقياد الصارم لنص التعيين، مبرأً من حشو الجمود التاريخي وجفاف التميع الكلامي للمتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي والنبوي في نصوص النص والتعيين هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو إعلان البيعة العملية، والالتزام الصارم بالخط المعرفي والتشريعي لأمير المؤمنين، والتحرك تحت إمرته العلمية لبناء الدين حساً وحركة ومواجهة الانحراف التاريخي؛ طالما أن النص حقيقة موضوعية معصومة واجبة الحركية والتطبيق"؛ فالشحنة التعبيرية (الأولوية والولاية النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة في واقع التاريخ والأرض.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية تراكيب بلاغ الغدير المتواتر، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب قرن الولاية بالأولية بالنفس {مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ} المتبوع بتركيب الدعاء الحركي الصارم الحاسم: (اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله) جاء بصيغة تركيب الدعاء المقترن بأفعال النصرة والخذلان {وَانْصُرْ} {وَاخْذُلْ} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية للنصرة والولاء الحركي العملي، وقطع التعلل النفسي بالحياد أو القعود السياسي، والبعث نحو الدعم الصارم لخط الإمامة المعين حساً وحركة في واقع الحياة"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب الحصر في آية الولاية {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي البلادة والخمول، فـ**"تدفع العبد دفعاً حاداً وحركياً لإعلان الموقف العملي والانتماء السلوكي لولاية علي عليه السلام والترفع عن طواغيت المادة، طارحاً الأوهام الجمودية للحشوية وتمحلات التميع الكلامي القاموسي للمتكلمين الخصوميين"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل المسدد بالنص، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص النص والتعيين هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة التلقي للتعيين وطمأنينة الاستمساك بالحق، وإخراج طبيعة النفس

من حيز التنازع والاضطراب والأهواء المذهبية إلى حيز اليقظة الأخلاقية والاتساق الكامل مع الفطرة السوية.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي والنبوي في تراكيب لسان التنزيل والبلا غ ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للنص والتعيين المعصوم؛ فتركيب الأمر النبوي بالبلا غ الشامل لجميع الحاضرين والغائبين: (فليبلغ الشاهد الغائب) شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة المسؤولية الأخلاقية، والنعيم الروحي المستقر بأن عهد الولاية حقيقة كبرى يجب أن تشيع في وعي الأجيال، وتطهير النفس من أمراض الكتمان والتردد بجرعة اليقين الكبرى"؛ وجاء إثبات الأولوية بالنفس {أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالانقياد والتواضع الأخلاقي التام أمام جلال المرجع المعين المعصوم والترفع عن رذائل الأنانية والاستكبار الفكري لعلمها بأن طاعة علي عليه السلام هي طهارة للنفس وصمام أمان لنجاتها الأخلاقية الوجودية"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي والنبوي المعجز، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي شتت وعي الأمة الإسلامية.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِمَامَةِ: (عِصْمَةُ الْأَئِمَّةِ وَالْأَوْصِيَاءِ)

أولاً: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة وماهية وحدود "العصمة والاعتصام" الجارية على الأئمة والأوصياء في حركتهم البيانية والإدارية المشهودة في نصوص التنزيل وسياق النبوة الخاتمة.
- محل النزاع :هل يملك الأئمة والأوصياء عصمة تكوينية تفصيلية مطلقة (من السهو والنسيان وفي كل فعل جزئي وحركة حياتية أو قرار سياسي) تماثل أو تفوق عصمة الأنبياء (ماهية الغلو الكلامي للفرق)، أم أن حركتهم الإنسانية في الحياة منفصلة كلياً عن الدين (ماهية الجفاء الحشوي)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن وظيفة الإمامة والوصاية؛ فتحولت من "وراثة واصطفاء علمي وأخلاقي قائم على الاعتصام السلوكي بالقرآن والمنهج الكلي المعصوم " إلى صفة غيبية قسرية تنفي عوارض الجبلّة البشرية والمسؤولية الاختيارية الابتلائية التي جرت على الأنبياء أنفسهم؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الجمود والجفاء الحشوي)

- المضمون :يجمد هذا الاتجاه على مساواة الأئمة والأوصياء بعموم الناس في رتبة التلقي والأهلية العلمية، عازلاً حركتهم عن سياق الاصطفاء والتوريث العلمي الإلهي؛ فيقرر أصحابه عدم وجود أي ميزة مرجعية أو حماية سلوكية للأوصياء، جاعلين قراراتهم وتبيينهم للدين مجرد اجتهادات عادية قابلة للتناقض والاضطراب التاريخي كأي آحاد من الأمة.
- وجه الاستقلالية وأزمته :حاول هذا التيار إنشاء تصور مستقلاً بآيات التساوي البشري العام خارج سياق اطراد آيات الوراثة الخاصة للكتاب والاصطفاء العلمي؛ فصدم حتماً

بالمحكمات القرآنية التي أوجبت وجود قيادة هادية للأمة بعد النبوة ترشد بالمنهج المعصوم وتتحرك بيقين وصبر، مما أسقط منصب الإمامة في قوالب العشوائية التاريخية وحيد مرجعية البيان المعصوم الموروث عن وعي الأمة.

.2القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (الغلو الكلامي المذهبي)

- المضمون :غرق هذا الاتجاه في التجريد المنطقي والمذهبي رداً على الجفاة؛ فادعى أصحابه العصمة التكوينية المطلقة للأئمة والأوصياء الشاملة للسهو والنسيان والجزئيات الدنيوية، وزعموا أن أفعالهم مبرمجة بغطاء غيبي مسبق يحجب الاختيار البشري، مقايسين إياهم برتبة الأنبياء في الحراسة الميكانيكية التفصيلية بل ومضخمين لصفاتهم التكوينية.

- وجه الاستقلالية وأزمته :اعتمد هذا التيار على أطروحة عقلية ولدت كرد فعل جدلي ومذهبي؛ فأقحم المنطق القياسي خارج حدود النص؛ فصدم حتماً بالمحكمات القرآنية التي حصرت الحراسة الغيبية الصارمة (الرصد) لعلة تبليغ الرسالة التأسيسية الفوقية، والقرآن أعلن كمال الدين وانقطاع الرسالة؛ مما ألجأهم لتأويلات متكلفة أخرجت الإمام عن بشريته ومسؤوليته الابتلائية وحيدت طاقة الأسوة العملية المعتصمة باختيارها.

ثالثاً: البحث المقاصدي

.1البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم :الوقوف التام والكامل عند حدود ''البيان القرآني'' كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن الأئمة والأوصياء بشرٌ مصطفون علمياً وأخلاقياً، تجري عليهم عوارض الجبلّة الإنسانية وسنن الابتلاء والمسؤولية الاختيارية الابتلائية كاملاً في حركتهم الحياتية والإدارية؛ وأن عصمتهم لا تخرج عن حقيقة "الاعتصام السلوكي الفائق ببرنامج الهدى القرآني الموروث "نتيجة رسوخ علمهم ويقينهم؛ مع انتفاء الحراسة الغيبية الميكانيكية الصارمة (الرصد) لانتفاء علتها الوظيفية (تلقي رسالة جديدة)، وتطهير الساحة كلياً من الغلو المذهبي ومن جفاف الحشوية.

- الدليل القطعي وثبوته :المستند اليقيني الصرف الثابت المانع للخطأ الإجمالي في مسلك الأوصياء، والحاصر لعصمتهم في مساحة الاعتصام بالهدى هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات علة الرصد وآيات حصر مرجعية الاقتداء بالهدى لا بالأشخاص، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في [سورة الجن]} :إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ{، وقوله تعالى في [سورة الأنعام]} :أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ{، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية :إثبات أن النص قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية؛ ويتضح من جهتين:

1. انتفاء علة الرصد :جاء تركيب الحراسة الغيبية الصارمة مشروطاً ومقيداً بالرسالة حصراً بأداة الغاية والتعليل }لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ{، وبما أن الأئمة والأوصياء ليسوا رسلاً ولا يوحى إليهم بتأسيس شريعة جديدة، فإن علة الحراسة الميكانيكية الغيبية المانعة للسهو العارض تنتفي في حقهم لانتفاء علتها الوظيفية.

2. حصر العصمة والتسديد في الهدى الموروث :إن نص }فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ {قطعي الدلالة في حصر الاقتداء بـ "الهدى الكلي"، فإذا كان النبي مصدر التلقي لا يُقتدى به في جزئياته الإنسانية المحضة بل في الهدى الكلي المعصوم بالتسديد والتصحيح، فإن الأوصياء من باب أولى لا يملكون عصمة تفصيلية في حركاتهم وسكناتهم اليومية ولا في قراراتهم الإدارية والسياسية، بل مسلكهم العام محمٍ ومعصوم باعتصامهم بالمرجعية العليا للنص المحكم الأصلي (القرآن)؛ والقرينة التركيبية تقطع دابر الحشو والإنكار وتوجب التوقيف لعصمتهم القائمة على الاعتصام والاصطفاء العلمي وتثبت مسؤليتهم البشرية الاختيارية الابتلائية.

- إعلان عجز العقل البشري :تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إيجاد وبناء حجة معرفية تمنح الأئمة خصائص لاهوتية معصومة

ميكانيكياً خارج حدود النص التوقيفي السامع، أو محاكمة مقاماتهم بقوانين القياس البارد". الإمامة فضل واصطفاء علمي مرتبط باليقين والصبر، والعقل يعلن عجز أدواته عن فرض حتميات تكوينية تخرج الأوصياء عن بشريتهم؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والالتزام بتوقيف النص وبلاغه المعصوم المانع للأعذار.

2.البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة :إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في عصمة الأئمة يتسق اتساقاً كلياً مع آيات الوراثة الاصطفائية للكتاب وآيات شروط الإمامة القائمة على الصبر واليقين البشري، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد التحكمية الحشوية والوجوبية الكلامية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد) :الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو إعلان آلية الإمامة والقيادة بالهدى والاعتصام البشري في التنزيل} :وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ {[السجدة: 24]، وأصل سُنّة التوريث العلمي الخاص للكتاب} :ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا {[فاطر: 32]. الشاهد القرآني يثبت أن شرط الإمامة والاصطفاء معلق بـ (الصبر واليقين التام بالآيات)، وهي صفات كسبية سلوكية تبلغ ذروة "الاعتصام"، وليست صفات تكوينية جبرية تسلبهم الطبيعة الإنسانية؛ ويتسق هذا ويطرد مع نفي العصمة التفصيلية عن الأنبياء في جزئيات حركاتهم الدنيوية؛ فبطل الغلو المذهبي وبطل جفاف الحشوية؛ واطرد النص ناصعاً.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد) :الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن الأوصياء الذين يواجهون الفتن السياسية والانحرافات الكبرى للأمة لا بد أن يملكوا رصيداً فائقاً من العلم والتقوى (الاعتصام) يعصم خط سيرهم العام من الانزلاق وراء الهوى، ليكونوا حجة بيانية قائمة؛ والوجدان يسكن ويطمئن عندما يرى قرارات الأوصياء التاريخية نابعة من مجاهدة ابتلائية واختيارية حرة يثابون عليها، وليست حركات مبرمجة غيبياً تسلبهم روعة التضحية والصبر. الشاهد

الوجداني يتطابق تماماً مع القول العرضي البنيوي؛ لأن الفطرة تسلم لأحقية وأخلاقية نموذج الوصي البشرى المعتصم بالقرآن، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

4.البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي :إن نصوص وراثة الكتاب وإمامة الهدى لم تأتِ لتنحت حالة من الجدل المذهبي البارد أو التقديس الحرفي الجامد لأشخاص الأوصياء، بل إن الخصائص التأثيرية والروح المعرفية للخطاب جاءت لتكون حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لـ "تحريك وعي الإنسان وتثبيت حركته الفعلية نحو بلوغ مراتب الصبر واليقين، والاعتصام بالقرآن لقطع النزاع والفرقة" اقتداءً بمسلكهم العام.

- تفصيل الدلالة التأثيرية :بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب، نجد أن التركيب في قوله }يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا {شُحن بطاقة حركية هائلة؛ فربط الهداية بالصبر واليقين يبث في روع المكلف شحنة "التحفيز العالي والمجاهدة السلوكية الفردية والجمعية"، مما يدفعه حركياً للاستنان بأصولهم العلمية والأخلاقية؛ وجاء تركيب }اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا {متبوعاً بتقسيم رتب الأمة في حمل الكتاب ليشحن وجدان المكلف بـ "شحنة المسؤولية الأخلاقية وحراسة النص المعصوم الموروث"، ليرى أن حفظ الدين بعد النبوة قائم على التزام الأمة بمرجعية الأوصياء المصطفين علماً وتقوى، فيتحقق البناء الحركي مبرأً من جفاف الحشوية وتواكل الغلاة.

5.البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي :العلة الغائية القصوى لنصوص اعتصام الأوصياء وابتلائهم البشري هي صياغة الثمرة الأخلاقية وتعديل نزوع المكلف؛ بتربيته على فكرة "الامتثال للمرجعية البيانية العليا القائمة على التقوى الفائقة والعلم براسخ القرآن"، وإخراج طبيعة النفس من حيز التواكل والوقوع في الغفلة أو الحيرة المعرفية بدعوى غياب النبي الخاتم، إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة المبنية على التمسك بحبل الله والاعتصام السلوكي الفعلي بالقرآن والسنّة المحكمة المعصومة بياناً.

- مخاطبة النفس الإنسانية :يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً طبيعة النفس البشرية الواحدة الثابتة في جبلتها الفطرية السوية؛ وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً لقيمة العدل والتوازن؛ فتركيب وصف أئمة الهدى بالصبر واليقين شُحن سياقياً ليوصل لنفس المكلف "قمة الاستقرار الأخلاقي، والتوازن النفسي واليقين بأن القيادة الدينية والبيانية هي ثمرة الاعتصام الفعلي بالله والالتزام بالقرآن وليست حصانة لاهوتية قهرية تحجب الطبيعة البشرية"، وجاءت تراكيب التحذير من الفرقة واتباع الهوى لتخاطب وجدان النفس الواحدة بـ "تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالترفع عن رذائل الجهل والتشتت المذهبي، والوقوف الثابت عند حدود الأمانة العلمية والمسؤولية الأخلاقية الشاملة للالتزام بالهدى الموروث ."وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي للفرق الذي عطل حركية الرسالة وحنّط طاقة الأمة في التاريخ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِمَامَةِ: (الْمَرْجِعِيَّةُ الْمَعْرِفِيَّةُ لِلْأَئِمَّةِ وَحَقِيقَةُ عِلْمِ الْإِمَامِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد طبيعة ومنشأ "المعرفة والعلم" الذي يملكه الإمام، وأثر مرجعيته التعليمية المنصوص عليها في التنزيل ومتواتر السُنّة.
- محل النزاع: ما هي طبيعة علم الإمام الحارس للشريعة؟ هل جاء الخطاب الإلهي ليعلن ثبوت "علم غيب ذاتي مطلق ومستقل وشامل لذرات الكون وما وراء المادة دون وسائط" (ماهية وجودية لفظية غالية)، أم جاء ليجرده من كل تميز ويجعل علمه مجرد "اجتهاد بشري كسبي محض خاضع للظن والخطأ كبقية الفقهاء" (ماهية وجودية تأويلية خصومية)، أم أن النقطة الحرجة تكمن في أن النص جاء ليؤسس ويشحن حقيقة "الوراثة المعرفية اللدنية المعصومة لغيب الكتاب والبيان النبوي بالجعل الرباني"، وانحرف الفكر بها عندما عُزل السياق البلاغي عن جوهره الرسالي والتحريكي الأخلاقي للعمل؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يذهب هذا الاتجاه بعلم الإمام إلى مساحات لاهوتية ذاتية غالية ومفرطة استناداً إلى مرويات تاريخية وأخبار آحاد حشوية طارئة؛ فيقرر أصحابه أن الإمام يعلم الغيب ذاتياً واستقلالاً، ويعلم كل جزيئات الوجود، وحركات ذرات المادة، وكل ما يحدث في ملكوت الغيب والشهادة أزلاً وأبداً بذاته دون حاجة لتمليك أو تلقٍ معرفي من منبع النبوة والكتاب.
- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لبنية علم الإمام مستقلاً بآحاد الروايات والقصص الطارئة المغالية؛ فصدم حتماً بالمحكمات القرآنية القاطعة التي

حصرت علم الغيب الذاتي المستقل بالله وحده {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}؛ مما أسقط الفارق العقدي المعرفي البنيوي بين الخالق والمخلوق، وحوّل الأئمة إلى كائنات خارج نطاق البشرية المصطفاة الموصوفة بالتكليف.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (متكلمو الفرق) في تجريد الإمام من أي تميز معرفي أو وراثة إلهية لدنية رداً على الغلاة وصيانة للمنظومات المذهبية التاريخية؛ فزعموا أن علم الأئمة عليهم السلام هو علم اجتهادي كسبي محض خاضع لآليات الظن، والقياس، والخطأ كبقية العلماء والفقهاء عبر التاريخ، وأنه لا فارق علمياً بينهم وبين غيرهم إلا في رتب الحفظ والذكاء؛ وانشغلوا بصرف الأحاديث المتواترة (كحديث الثقلين) وبتر التراكيب القرآنية الدالة على توريث علم الكتاب بالاصطفاء.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة فقهية بشرية عادية ومنظومة منطقية مستقلة ولدت كرد فعل صراعي؛ فأنكر وعطل دلالات نصوص التميز العلمي بآليات تأويلية متكلفة أخرجت النص عن عفوية بيانه الذاتي، وحوّل منصب الإمامة المعرفي إلى وظيفة فقهية عادية خاضعة للتنازع البشري، مجرداً القرآن من حارسه المأمون ومفسره المسدد.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يملكون "مرجعية معرفية لدنية معصومة" منشؤها وراثة علم الكتاب كلياً، وتلقي البيان النبوي الصافي بالجعل والاصطفاء الإلهي؛ فهم لا يعلمون الغيب استقلالاً أو ذاتياً، بل علمهم هو "علمٌ بما عُلِّموا ووُرِّثوا من غيب الكتاب والوحي التبييني" بفضل الإرادة

والتسديد الرباني؛ وتطهير الساحة كلياً من ادعاءات الغلاة ومن إنكارية المتكلمين؛ فالقطع يتطلب إثبات وراثتهم لعلم الكتاب كلياً والسكوت عما وراء حدود النص دون زيادة مادية لاهوتية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت القاطع لوراثة علم الكتاب وعظمة شهادتهم المعرفية هو التواتر القطعي الحقيقي لمحكم النص في آخر [سورة الرعد]: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث قرن الله سبحانه شهادته العظمى {كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا} بشهادة شخص عظيم موصوف بتركيب موحد صريح: {وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}، والقرينة التركيبية السياقية تفيد أن من يملك "علم الكتاب" كلياً وإحاطة تامة بـ غيوبه وتشريعاته (وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيته المعصومون بيقين التنزيل والتواتر التفسيري) هو المؤهل المعرفي المقرون بالشهادة الإلهية على صدق الرسالة؛ ومثل هذا العلم الشامل والمهيمن يمتنع لغوياً وعقلاً وتوقيفاً أن يكون كسبياً جزئياً خاضعاً للخطأ والظن البشري، فثبت التوقيف المعرفي لعلمهم بيقين المحكم.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إدراك أو تكييف أو تصور كنه وكيفية هذه الوراثة المعرفية اللدنية وعلاقتها بعلم الكتاب خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري مخلوق محدود قاصر محكوم بآليات الكسب البشري المعتاد والتفتيش الفقهي، وبما أن إيراث علم الكتاب كلياً فعل اصطفاء وجعل رباني فوقي بمرتبة عالم الأمر، فإن العقل يعلن عجز أدواته وقوانينه القياسية عن سبر كنه هذا الوعاء المعرفي؛ فالقَطْع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والوقوف بالنفس عند عتبة التسليم لنص التنزيل الشاهد بعلمهم.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في كون علم الإمام إعلاماً تمليكياً لدناً بالكتاب يتسق اتساقاً كلياً مع آيات الاصطفاء بالتوريث والنهي النبوي المتواتر عن تعليمهم، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة روافد الغلو اللاهوتي والإنكار الفقهي الجافي الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو حصر فتح الغيب تمليكاً واصطفاءً لحفظ الرسالة في التنزيل: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ}، وأصل سُنّة توريث معارف الكتاب للفئة المصطفاة: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في قصص الأنبياء والأوصياء الشاهدة على عظمة علم الكتاب؛ كقصة وصي سليمان (آصف بن برخيا) في محكم [سورة النمل]: {قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}، فإذا كان من يملك "جزءاً" من علم الكتاب {عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ} استطاع خرق نواميس المادة والإتيان بالعرش الشاسع في لمح البصر ببركة العلم اللدني، اطرد التنزيل ذاتياً وبلاغياً في أن من يملك علم الكتاب "كُلّاً" وتركيباً كلياً {وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} كأئمة أهل البيت هو الأرفع رتبة والأكمل إحاطة بغيب الشريعة، متعالياً عن الكسب البشري المأزوم بالخطأ ومنزهاً عن علم الغيب الذاتي المستقل المحصور بالله {إِلَّا اللَّهُ}، فيثبت اطراد البيان وتصفية الروافد الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن القرآن الكريم بما يحويه من أسرار وتشريعات محيطة بالتاريخ الإنساني، لا يمكن عقلنة إحاطته التامة وبيانه المعصوم عبر أدوات "الاجتهاد البشري الكسبي" القاصر؛ فالفطرة تجزم بأن المرجع المعين لا بد أن يكون مسدداً بعلم لدني يتلقاه وراثةً عن منبع النبوة ليكون حجة حقيقية، وهو ما يطابق النهي النبوي المتواتر قطعاً والمفيد للعلم الضروري: (ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم)؛ فالنهي المطلق عن تعليمهم {لَا تُعَلِّمُوهُمْ} وإثبات أعلميتهم المطلقة يمتنع عقلاً وجداناً سريانه على من يملك علماً كسبياً عادياً يحتاج فيه لفقهاء البشر. الشاهد الوجداني (البرهان

الفطري) يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن الوجدان يعلم أن علمهم تمليك لدني متصل بعلم الكتاب، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين وسقوط أوهام الغلاة والجفاة.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص وراثة الكتاب وعلم الإمام لم تأتِ لتنحت ادعاءً لاهوتياً أو اجتهاداً فقهياً جافاً، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بجلال، وعظمة، وهيبة المرجعية العلمية المصطفاة المالكة لمفاتيح تبيين التنزيل".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص قرن شهادة الخالق بتركيب {وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة المهابة العلمية الجليلة، وعظمة الإحاطة المعرفية المطلقة بآيات الله، واليقين بأن العترة هم خزان العلم الإلهي المعصوم" لتبث في وعيه جلال التلقي الآمن عنهم؛ وشُحِن تركيب التوريث في قوله: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا} بـ "شحنة الجعل الرباني، والاصطفاء العلمي الفوقي العاصم من الخطأ والجهل" لقطع حيرة الأمة؛ وشُحِن تركيب النهي النبوي {لَا تُعَلِّمُوهُمْ} بـ "شحنة التبجيل المعرفي المطلق والاعتراف بالفوقية العلمية اللدنية لأهل البيت عليهم السلام". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة الوحي لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالانقياد لمرجعيتهم المعرفية المعصومة، مبرأً من غلو الغلاة الحشوية وجفاف الإنكار الكلامي للمتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي والنبوي في نصوص علم الكتاب ومرجعية الأئمة هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك

الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو التلقي المعرفي والفقهي الحصري عنهم، والتحرك بتشريعاتهم وبياناتهم المعصومة حساً وحركة لبناء صرح العدل والقيام بالقسط ومحاربة الانحراف الفكري في الأرض؛ طالما أن المرجعية العلمية قد حُسمت ربانياً وامتلكت علم الكتاب كلياً"؛ فالشحنة التعبيرية (المرجعية المعرفية وعلم الكتاب النظري) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة في واقع التاريخ.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية لآيات الباب، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب قرن شهادتهم المعرفية بشهادة الله لصدق الرسالة {قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا... وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} يفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية للاستناد لعلمهم في مواجهة جحود الكافرين والمشككين، وقطع التعلل بالحيرة الفكرية، والبعث نحو الأخذ العملي الصارم ببياناتهم القرآنية المعصومة حساً وحركة في واقع الحياة"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب النهي والتحذير النبوي الصارم المتواتر قطعاً: (ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) المسور بصيغة النهي الحركي القاطع {لَا تُعَلِّمُوهُمْ} المقترن ببيان الأعلمية المطلقة؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي البلادة والخذلان، فـ**"تدفع العبد دفعاً حاداً وحركياً للأخذ والتعلم من منبعهم اللدني المعصوم والترفع عن رذائل التلقي عن المرجعيات الظنية المأزومة بالخطأ، طارحاً الأوهام اللاهوتية للغلاة الحشوية والإنكارية الكلامية الجافية للمتكلمين الخصوميين"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل المسدد بعلم الكتاب، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص المرجعية العلمية وعلم الكتاب هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة التلقي عن خزان علم الكتاب وطمأنينة اليقين المعرفي، وإخراج طبيعة النفس من حيز التنازع والظنون والأهواء المذهبية إلى حيز اليقظة الأخلاقية والاتساق الكامل مع الفطرة السوية.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي والنبوي في تراكيب لسان التنزيل والبلاغ ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للمرجعية العلمية المعصومة؛ فتركيب التوريث بالاصطفاء في قوله: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة الاستقرار الأخلاقي، والنعيم الروحي المستقر بأن حراس الشريعة مصطفون ومسددون بعلم الكتاب كلياً، وتطهير النفس من أمراض الشك والحيرة المعرفية بجرعة العلم اللدني الكبرى"؛ وجاء تنبيه الأعلمية في قوله ﷺ: (ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالتواضع الأخلاقي التام والتسليم العلمي المعرفي أمام جلال علم أهل البيت عليهم السلام والترفع عن رذائل الاستكبار والادعاء الفكري لعلمها بأن علم العترة هو النور العاصم لنفسها وهدايتها الأخلاقية الوجودية"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي والنبوي المعجز، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي شتت وعي الأمة الأكاديمية وعطّل طاقة الرسالة وحركيتها الأخلاقية في التاريخ.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِمَامَةِ: (غَيْبَةُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد "الغيبة" للإمام الأخير من العترة الطاهرة، وعلامة "الانتظار" كقانون تاريخي وسنة استخلاف مشهودة في نصوص التنزيل ومتواتر السُنّة النبوية.

- محل النزاع: كيف نفهم غيبة الإمام وحقيقة ترقبه؟ هل جاء الخطاب الإلهي والبيان النبوي ليصنع ترقباً عامياً مبنياً على أخبار آحاد وقصص أسطورية خرافية تعطل الفاعلية الوجودية بانتظار الخوارق المادية الموازية (ماهية وجودية لفظية حشوية)، أم جاء ليوصف كـ نتاج لضغط سياسي ونفي عشوائي ينكر حتمية الظهور ودولة العدل الختمية (ماهية وجودية تأويلية حداثية وجافة)، أم أن النقطة الحرجة تكمن في أن النص جاء ليؤسس ويشحن حقيقة "غيبة الحفظ والامتحان وسُنّة الاستخلاف التاريخية الحركية" لبناء الإنسان المؤهل للمشروع الكوني، وانحرف الفكر بها عندما عُزل السياق البلاغي عن جوهره الرسالي والتحريكي الأخلاقي؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الخرافة والجمود الروائي الحشوي)

- المضمون: يغرق هذا الاتجاه المسألة في ركام هائل من القصص، والملاحم، وعلامات ظهور أسطورية غريبة مأخوذة من أخبار آحاد ومرويات تاريخية ظنية الصدور والدلالة؛ فيقرر أصحابه تحديد أزمان، وأوقات، وحسابات فيزيائية مادية (كالتخرص بالصيحات الفيزيائية المادية والشخصيات الخيالية)، محولين "الانتظار" من حالة وعي حركي إلى حالة عجز واستسلام وتكاسل بشري تام قعوداً بانتظار الخوارق والمعجزات الحسية التي ستصلح الكون بلا جهد إنساني.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لبنية الغيب الأُخروي والتاريخي مستقلاً بآحاد تلك الروايات والقصص الطارئة المعزولة؛ فصدم حتماً بالاطراد

السنني الحركي للقرآن المحكوم بقوانين السببية والجهاد الإرادي؛ مما عطل طاقات الأمة، وشوّه جلال السُنّة الإلهية في التمكين، وحوّل الغيبة إلى أسطورة شعبية تفرز الخمول المعرفي والسلوكي.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (الإنكار الكلامي والحداثي الجافي)

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (تيارات كلامية قديمة ومناهج حداثية معاصرة) في إنكار أصل وجود الإمام وغيبته رداً على خرافات الحشوية الرواة وصيانة للأطروحات المادية المعاصرة؛ فزعموا أن فكرة المهدي والغيبة هي مجرد نتاج للضغط السياسي والاضطهاد التاريخي، أو أمنية نفسية طوباوية عابرة ولدت من رحم الانكسار الشيعي التاريخي لتعويض الفشل في تسلم السلطة الزمنية بعد استشهاد الأئمة الأحد عشر الماضين.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة مادية جافة ومنظومة وضعية مستقلة ولدت كرد فعل على الخرافات؛ فبتر النص وعزل الوعد الإلهي المطلق عن سننه التاريخية الحتمية في نصرة المستضعفين وحتمية التمكين الختمي للعدالة في الوجود، منكراً التواتر النبوي الواضح والقاطع في حتمية وجود وظهور الإمام الخاتم من العترة الطاهرة لشرعنة مناهج مادية معزولة عن غيب التنزيل.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن الإمام الأخير من عترة أهل البيت عليهم السلام (الموعود به متواتراً) هو غيب من غيوب الله المحفوظة تحت ستار الحكمة الربانية لتطبيق سنة التمكين النهائي للدين والعدل في الأرض؛ وأن "الانتظار" المعرفي القطعي ليس قعوداً ولا تخرصاً بالأزمان، بل هو سلوك حركي وبناء معرفي وعلمي وأخلاقي تام للمكلف ليكون مستحقاً ومؤهلاً للمساهمة في مشروع العدالة الإلهية الكونية بلسان القرآن؛ وتطهير الساحة كلياً من خرافات الحشوية ومن إنكارية الحداثيين؛ فالقطع يتطلب

الإيمان بحتمية وراثته الكونية والسكوت عما وراء حدود التوقيف دون زيادة حشوية أسطورية ولا نقصان مادي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت القاطع لوعود الاستخلاف الإلهي الحتمي الشامل للأرض هو التواتر القطعي الحقيقي لمحكم التنزيل، ومن أمهات الآيات قوله تعالى في محكم [سورة النور]: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا}، وقوله في محكم [سورة الأنبياء]: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}، وهي نصوص قطعية الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في آية الاستخلاف هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ حيث أطلق الله سبحانه وعداً تكوينياً لازماً {وَعَدَ اللَّهُ} وجاءت الأفعال مسورة بنون التوكيد الثقيلة لتأكيد الحتمية الوجودية للوراثة والاستخلاف والتمكين الكلي الشامل للأرض {لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ} {وَلَيُمَكِّنَنَّ} {وَلَيُبَدِّلَنَّهُم} بلسان العرب المعياري؛ وبما أن هذا التمكين الكلي والدين المرتضى المهيمن الشامل لكل الأرض ونفي الخوف كلياً لم يتحقق حساً وتاريخياً بشكل كامل ومستقر في زمن النبوة ولا الإمامة الظاهرة، فإن صِدق وعد الله وحكمته المطلقة يقتضيان حتماً وجود يوم موعود يتحقق فيه هذا الاستخلاف بمرجعية الإمام الخاتم المسدد، والقرينة التركيبية السننية توجب التوقيف والتسليم لحتمية الظهور والحفظ البرزخي كما ورد بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن معرفة توقيت الظهور، أو تكييف كيفية الغيبة والحفظ الملكوتي خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري مخلوق محدود محصور بقوانين أدواته الحسية المادية المتغيرة، وبما أن حفظ الإمام وهندسة أزمان غيبته شأن ملكوتي مضاف لقوانين عالم الأمر الإلهي الفوقي، فإن العقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه القياسية عن اقتراح

الأوقات أو استعجال موعد الظهور؛ فالقَطْع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والوقوف بالنفس عند العمل والوعي وترك الغيب لصاحب الغيب الشامل {عَالِمُ الْغَيْبِ}.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في غيبة وحتمية ظهور الإمام المهدي يتسق اتساقاً كلياً مع آيات السُنن التاريخية لوراثة المستضعفين وحرمة العبثية وتلازم الثقلين، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة روافد الخرافة الروائية والإنكارية الحداثية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد إرادة التمكين للمستضعفين وجعلهم أئمة في التنزيل: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}، وأصل سُنّة حفظ حجج الله وغيبات الأوصياء عبر التاريخ: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في أن الغيبة هي سُنّة إلهية جارية جرت في الأنبياء والأوصياء عبر التاريخ لحكمة غيبية (كغيبة موسى أربعين ليلة، وغيبة يوسف، وغيبة أهل الكهف قروناً ممتدة خارج نواميس المادة المعتادة لحكمة سننية)؛ فإذا كان الخالق حفظ فتية قروناً، اطرد التنزيل ذاتياً في إمكانية وجواز حفظ الإمام الخاتم المعصوم في حجب الغيب الرباني لليوم الموعود؛ ويتسق هذا بنيوياً بالاتساق الكلي مع برهان تواتر تلازم الثقلين {لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ}؛ فالأرض لا تخلو من حجة معصوم يطابق القرآن وجوداً، وبما أن الأئمة الأحد عشر الماضين قد استشهدوا حساً وتاريخياً، فلو عُدم الإمام الإثني عشر لكان الثقلان قد افترقا حتماً وهو تكذيب للمطلق النبوي المعصوم، فثبت اطراد البيان وتصفية الروافد الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البرهان العقلي والوجداني الخالص بـ "حرمة العبثية في الخلق" وبديهة عقول المسلمين؛ فالفطرة والمشهد الفلسفي وتاريخ المصلحين يجزمون بأن المسيرة البشرية المتألمة على هذه الأرض لا يمكن عقلاً وعدلاً وحكمة أن تنتهي بالدمار الشامل والظلم المطلق وسيادة الغابة المادية، بل لا بد

لهذه الحركات التاريخية الكونية من نقطة تكامل، وسلام، وعدالة مطلقة شاسعة تغمر الأرض رداً لحق المظلومين والمستضعفين عبر العصور. الشاهد الوجداني يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن الوجدان يسكن للوعد القرآني بحتمية هذا الخلاص المعرفي بمرجعية عترة أهل البيت، ويعلن العقل عجز أدواته الحسية عن استعجال الموعد، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص السنن، والوعد، والاستخلاف، والوراثة لم تأتِ لتنحت علامات أسطورية خرافية أو إنكاراً مادياً جافاً، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان باليقين المطلق، والأمل العظيم، وحتمية انتصار خط الحق والعدالة الإلهية في نهاية مسار التاريخ البشري".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص صدّر البيان بصيغة تركيب الإرادة الإلهية المستمرة {وَنُرِيدُ} المقترن بالمن والفضل {أَن نَّمُنَّ} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة الأمل اللامتناهي، وكرامة المستضعفين، واليقين بأن قوة السماء منساقة لدعم خط الحق المظلوم حساً وحركة" لتبث في وعيه جلال الصمود؛ وشُحِن تركيب الوعد المؤكد في آية النور: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} المسور بنونات التوكيد الثقيلة المتلاحقة {لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ} {وَلَيُمَكِّنَنَّ} {وَلَيُبَدِّلَنَّهُم} ليشحن اللفظ بـ "شحنة الحتمية الوجودية الصارمة، وبث أعلى درجات السكينة والثقة بوعد الخالق التي تكسر معالم اليأس والانكسار النفسي والتاريخي" لكي يلتفت القلب بعزة إلى غيب الختام؛ وشُحِن تركيب رأس الفضائل في مطلع البقرة: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} بـ "شحنة الارتفاع المعرفي بالوعي الإنساني فوق المشاهدة الحسية الضيقة إلى رحاب التصديق بالغيب الإلهي السنني المعصوم". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة الوحي لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان

وعقل المكلف باليقين والبهجة النورانية الختمية، مبرأً من خرافات الرواة الحشوية وجفاف الإنكار المادي للحداثيين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي والنبوي في نصوص الغيبة والوراثة هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الحركة والعمل، ورفض واقع الظلم، والبعث بنشاط وحركية كاملة لبناء جهوزيته المعرفية وتشييد دعائم القوة والعلم والعدل في المجتمع؛ فالانتظار هنا هو إعداد حركي تام وصناعة للإنسان المؤهل الفاعل للمساهمة في دولة العدالة الكونية الخاتمة، وليس قعوداً وتكاسلاً"؛ فالشحنة التعبيرية (اليقين والأمل النظري) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة في التاريخ والأرض.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب الوعد والتمكين {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ} جاء مشروطاً ومسوراً بتركيب الشرط الحركي البشري الصريح والصادر بصيغة الفعل الجمعي العملي: {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية للعمل وبناء عناصر الصلاح، وقطع التعلل والخرافة والترقب السلبي العامي المعطل للفعل، والبعث نحو إعداد الذات والمجتمع علمياً وأخلاقياً حساً وحركة"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب قانون الوراثة الكلي {أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} المسور بتركيب الحصر والتوكيد البلاغي {أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا} المقترن بوصف العبودية الصالحة؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي الخنوع، فـ**"تدفع العبد دفعاً حاداً وحركياً للمواجهة ورفض واقع الاستسلام الفسادي والتحرك لإصلاح الكون بقوة وصمود، طارحاً الأساطير الخرافية المعطلة للحشوية والإنكارية المادية الجافة للحداثيين والكلاميين"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان المنتظر الفاعل الحركي، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّعْلِيمِيّ / التَّرْبَوِيُّ (العلة الغائية والتنبيه والتعديل الأخلاقي)

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص الغيبة والتمكين والانتظار هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة الاختبار في الغيبة وطمأنينة الوعد بالعدل، وإخراج طبيعة النفس من حيز التكاسل واليأس أو البلادة الخرافية إلى حيز اليقظة الأخلاقية والاتساق الكامل مع السنن الفطرية والكونية.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي والنبوي في تراكيب لسان التنزيل والبلاغ ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً لقوانين التاريخ؛ فتركيب وصف غاية التمكين بعبادة الخالق ونفي الشرك في ختام آية النور: {يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة النقاء الأخلاقي والتوحيد الخالص المستقر بأن الغرض الأسمى من دولة العدل الختمية هو تطهير وعي البشر من عبودية الطواغيت والماديات وتعديل سلوك النفس بالخضوع المطلق لله وحده، وتطهير النفس من أمراض الانكسار بجرعة التمكين الكبرى"؛ وجاء تركيب جعلهم أئمة في {وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالتحرك لتأهيل جبلتها وأخلاقها وعلومها لتكون مستحقة لوراثة الأرض والترفع عن رذائل المستكبرين وطغيان المادة في الوجود"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي والنبوي المعجز، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي شتت وعي الأمة الأكاديمية وعطّل طاقة الرسالة وحركيتها الأخلاقية في التاريخ.

الْمَسْأَلَةُ الاولى مِنْ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: (طَبِيعَةُ الْإِيمَانِ بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ التَّحْرِيكِيِّ وَالْجُمُودِ الْمَاهَوِيِّ)

أولاً: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة وماهية سريان "الزيادة والنقصان" في حقيقة الإيمان كما نطق بها لسان التنزيل.
- محل النزاع :هل الإيمان كتلة معرفية وجودية مصمتة جامدة لا تقبل التجزئة أو التفاضل (ماهية الخوارج والمرجئة)، أم هو فعل مشيئة عابرة، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن "سياقه التحريكي والعملي"؛ فتحول ما جاء شحناً لوجدان النفس وتعميقاً لليقين مع كل آية وعمل صالح، إلى خصومة منطقية حول "هل ينقص الإيمان أم يزول بالكلية"؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الجمود المرجئي الجاف) :يجمد هذا الاتجاه على رتبة "التصديق الباطن"، فيقرر أصحابه أن الإيمان حقيقة واحدة ثابتة لا تزيد ولا تنقص، مستقلاً ببعض نصوص التسمية الأولى؛ فصدم حتماً بالآيات المحكمة التي ربطت زيادة الإيمان بتوالي آيات الوحي والتزام العمل الأخلاقي {زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}، مما حنّط طاقة الاندفاع السلوكي.
2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (الوعيد التكفيري للخوارج) :غرق هذا الاتجاه في التجريد، فجعل الإيمان وحدة ميكانيكية متلازمة، إذا نقصت جزئية منها

بالمعصية زال الكل وتلاشى الإيمان، محاكماً حركة البشر الابتلائية بقوانين جافة عطلت مفاهيم الاستغفار والترقي الإيماني.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم :الإيمان حقيقة حركية حية تقبل الزيادة والنقص والترقي بموجب العلم والعمل والتقوى؛ وتطهير الساحة من جمود الجفاة وغلو الوعيديين.
- الدليل القطعي وثبوته :قوله تعالى في محكم [سورة الأنفال]} :إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا {]الأنفال: 2.[
- الدلالة القطعية :تركيب جملة الشرط الجزائية وجعل زيادة الإيمان نتيجة مباشرة لتلقي آيات الله وسماعها يفيد بالضرورة القطعية أن الإيمان ليس مفهوماً ذهنياً ساكناً بل طاقة متجددة تشتد وتضعف بحسب الوعي والعمل.
- إعلان عجز العقل البشري :عجز العقل عن قياس الرتب الروحية بقوانين المنطق الصوري المادي.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ :يتسق هذا مع آيات هداية المهتدين وزيادتها} :وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ {[محمد: 17]. الوجدان يطمئن لأن الإنسان يجد في نفسه انشراحاً وإقبالاً مع الطاعة وانقباضاً مع الغفلة.

3. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ :يشحن وعي الأمة بالترسخ الدائم والمسارعة الأخلاقية في العمل لئلا ينضب رصيد الإيمان الفعلي.

4. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ :تربية النفس على التطلع الدائم للمقامات العليا من اليقين والتخلص من رذائل الاستكانة والتواكل.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: (عِصْمَةُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ الِاعْتِصَامِ الْجَمَاعِيِّ بِالْحَبْلِ وَالْمَسْؤُولِيَّةِ الِاخْتِيَارِيَّةِ)

أولاً: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة وماهية وحدود "العصمة والاعتصام" الجارية على مجموع الأمة والمؤمنين في حركتهم التاريخية والسلوكية كما نطق بها لسان التنزيل.
- محل النزاع :هل يملك المؤمنون كأفراد أو كمجموع حصانة وعصمة تمنع انحرافهم التفصيلي (ماهية غلو كلامي أخرج الأمة عن واقعها)، أم أن حركتهم التاريخية مستباحة كلياً للضلال العشوائي دون صمام أمان إلهي (ماهية جفاء تاريخي)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن مقصد "الاعتصام الجماعي بحبل الله"؛ فتحول ما هو "حماية وسلامة لإجمالي مسيرة الأمة التمسكية بالذكر "إلى مساحة للخصومات الجدلية حول حجية الإجماع الصوري أو تجريد الأفراد من عوارض الخطأ والابتلاء البشري؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الجمود الأصولي الجاف)

- المضمون :يجمد هذا الاتجاه على تحويل مفهوم عصمة الأمة إلى أداة ميكانيكية لشرعنة "الإجماع الفقهي الصوري" كقضية منطقية باردة، عازلاً المفهوم عن طاقة الحركة والمسؤولية الأخلاقية؛ فيقرر أصحابه أن مجرد اتفاق مجموعة من العلماء في عصر ما يكتسب حصانة غيبية مطلقة تماثل الوحي، مجردين الأمة من واجب النقد والمراجعة الدائمة والامتثال الفعلي للمحكمات.

- وجه الاستقلالية وأزمته :حاول هذا التيار إنشاء بنية حجية مستقلة خارج سياق اطراد آيات المحاكمة الدائمة لاهواء البشر؛ فصدم حتماً بالواقع التاريخي وبالمحكمات القرآنية التي تنبه المؤمنين دائماً من التراجع أو الفشل كقوله} :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ{ ، مما أسقط حركية الأمة في قوالب التقديس البارد للأشخاص وحيّد طاقة الرقابة القرآنية.

.2القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (الجدل الكلامي الإحباطي)

- المضمون :غرق هذا الاتجاه في التجريد رداً على الخصوم، فنفى عن أمة المؤمنين أي صفة من صفات الحفظ أو العصمة الإجمالية، زاعماً أن الأمة يمكن أن تجتمع بكليتها وتاريخها على الضلال المطلق وطمس الحق دون بقاء طائفة أو مجموع ظاهر على الحق، مسلماً حركة التاريخ البشري لعشوائية الهوى المطلق دون مركزية عاصمة.

- وجه الاستقلالية وأزمته :اعتمد هذا التيار على أطروحة ولدت كرد فعل جدلي ومذهبي؛ فأقحم المنطق السلبي محاكماً مشيئة الله في حفظ الرسالة؛ فصدم حتماً بالمحكمات القرآنية التي جعلت هذه الأمة شاهدة على الناس وجعلت حفظ الذكر ممتداً لحفظ حملته؛ مما ألجأهم لتأويلات تعسفية جففت وحيدت طاقة الأمل وحركية الشهادة القائمة في نصوص البعث والهداية.

ثالثاً: البحث المقاصدي

.1البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم :الوقوف التام والكامل عند حدود ‘‘البيان القرآني’’ كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن عصمة المؤمنين هي "عصمة إجمالية للمجموع والخط العام للأمة من الضلال الكلي"، وهي تعبير عن "اعتصامهم الجماعي الاختياري بحبل الله "(القرآن والهدى الموروث)؛ مع الإقرار الكامل بسريان سنن الابتلاء

والخطأ والنسيان على الأفراد والجزئيات؛ وتطهير الساحة كلياً من الغلو الأصولي ومن جفاف التعطيل التاريخي للفرق.

- الدليل القطعي وثبوته :المستند اليقيني الصرف الثابت المانع لضلال الأمة الكلي والموجب لسلامة خط سيرها الإجمالي هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات الأمر بالاعتصام الجماعي وبقاء وسطية الشهادة، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة آل عمران]} :وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا {[آل عمران: 103]، وقوله سبحانه في ذات السياق} :وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {[آل عمران: 101]، وقوله تعالى مؤصلاً لشهادة المجموع في [سورة البقرة]} :وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ {[البقرة: 143]. وهي نصوص قطعية الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية :إثبات أن النص قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية؛ ويتضح من جهتين:

1. تركيب الأمر الحاصر بالجمع :جاء فعل الأمر الصريح }وَاعْتَصِمُوا {مقيداً بالحال الجماعي القاطع }جَمِيعًا {ومتبوعاً بالنهي الحاسم }وَلَا تَفَرَّقُوا{، ليدل دلالة ذاتية قاطعة على أن العصمة والحماية للأمة معلقة ومكيفة بمدى تلاحمها واعتصامها بـ "حبل الله" (القرآن المعصوم بعزة الله)، فالعصمة ههنا مشروطة بالتمسك بالمرجعية الثابتة، وليست منحة تكوينية ميكانيكية تجيز للأمة تشريع ما تريده خارج النص.

2. حتمية الهداية بالاعتصام :جاء تركيب الشرط والجزاء مؤكداً بـ (قد) في قوله }وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ {ليعلن فلسفة العصمة القرآنية؛ فهي "هداية واعتصام اختياري" يبذله المؤمنون فيحميهم الله بموجبه من الانزلاق، ووصف الأمة بـ }أُمَّةً وَسَطًا {لغاية }لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ {يقتضي قطعاً وبداهة سلامة خط سير الأمة الإجمالي عبر التاريخ؛ إذ لو ضلت الأمة بكليتها واجتمعت على ضياع الحق لسقطت أهليتها للشهادة على البشر، وهو محال في سنن

الحكيم؛ والقرينة التركيبية تقطع دابر الحشو وتثبت المسؤولية الاختيارية الابتلائية للمؤمنين.

- إعلان عجز العقل البشري :تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إيجاد وبناء حجة معرفية تمنح جماعة أو فرقة حصانة مطلقة خارج حدود الاعتصام بالنص التوقيفي السامع". العقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه عن تأصيل عصمة ذاتية للبشر خارج قوة النص المحكم؛ فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والالتزام بتوقيف النص وبلاغه المعصوم المانع للأعذار.

2.البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة :إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في عصمة المؤمنين يتسق اتساقاً كلياً مع آيات عصمة الكتب وعصمة الأنبياء والأوصياء، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد التحكمية الحشوية والوجوبية الكلامية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد) :الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل الحاكم هو اطراد نصوص الأمر بالرد عند التنازع إلى المرجعيات المعصومة سلفاً في التنزيل} :فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ {[النساء: 59]. الشاهد القرآني يثبت أن المؤمنين كأفراد يعرض لهم "التنازع والخطأ" بموجب بشريتهم، ولكن صمام الأمان (عصمتهم) يتحقق بوجود آلية "الرد" إلى كلام الله المعصوم وما أبلغ الرسول والأوصياء؛ ويتسق هذا ويطرد مع قوله }وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا{ ؛ فبطل الغلو الذي جعل المؤمنين معصومين بلا نص، وبطل الجفاء الإحباطي الذي ادعى ضياع الأمة كلياً، واطرد النص ناصعاً وتصفت الروافد.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد) :الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن إلهاً حكيماً عزيزاً حفظ كتبه وأرسل رسله لا يمكن وجداناً وعدلاً أن يترك أمة الوعي الخاتمة تائهة في مجاهل التاريخ دون أن يزرع فيها بذور الاستقامة الجماعية وبقاء طائفة متمسكة بالحق تقيم به الحجة؛ فالوجدان

يسكن ويطمئن عندما يرى أن عصمة الأمة هي ثمرة كفاحها واعتصامها بحبل ربها وثباتها في الابتلاء. الشاهد الوجداني يتطابق تماماً مع القول العرضي البنيوي؛ لأن الفطرة تسلم لأحقية وأخلاقية نموذج الجماعة المؤمنة المعتصمة بالحق، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

4.البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي :إن نصوص اعتصام المؤمنين ووسطيتهم لم تأتِ لتنحت حالة من الفخر الأجوف أو التواكل البارد بدعوى "أننا الأمة المعصومة"، بل إن الخصائص التأثيرية والروح المعرفية للخطاب جاءت لتكون حاملاً حركياً يشحن وعي المؤمنين بـ "ضرورة التحرك الفعلي الجماعي لحراسة الميزان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتثبيت ركائز العدل والقسط في الأرض" كأدوات حية وشهداء على الإنسانية.
- تفصيل الدلالة التأثيرية :بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب، نجد أن التركيب في قوله }وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا {شُحن طاقة حركية هائلة؛ فالأمر بالاعتصام المرتبط بلفظ "الحبل" يبث في روع الأمة شحنة "التلاحم والإنقاذ الوجودي من السقوط في هاوية التفرق"، مما يدفع المؤمنين حركياً لتجاوز الخلافات الجزئية والالتفاف حول المحكمات الكلية المعصومة، بينما أورث تركيب }لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ {شحنة "الجلال والمسؤولية الكونية الصارمة"، ليرى المكلف أن صيانة دينه وعصمة أمته معلقة بجهده وثباته وحركته الدعوية والاصلاحية المستمرة، مبرأً من جفاف المعتزلة وتواكل الغلاة.

5.البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي :العلة الغائية القصوى لنصوص عصمة المؤمنين واعتصامهم الجماعي هي صياغة الثمرة الأخلاقية وتعديل نزوع المكلف؛ بتربيته على فكرة "الذوبان في الجسد الواحد المؤمن والترفع عن الأنانية والفردية المهلكة"، وإخراج طبيعة النفس من حيز التنازع والتشرذم إلى حيز التآلف الروحي والتزكية الجماعية والانسجام التام مع الفطرة السوية التي تأنس بالحق المشترك.

- مخاطبة النفس الإنسانية :يتوجه الخطاب الإلهي ليخاطب حاصراً طبيعة النفس البشرية الواحدة الثابتة في جبلتها الفطرية السوية؛ وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً لقيمة الاتحاد والأمان؛ فتركيب وصف الاعتصام بالحبل شُحن سياقياً ليوصل لنفس المكلف "قمة الاستقرار النفسي والتوازن الأخلاقي بأن قوته وعصمته وسلوكه المستقيم محمي بوجوده داخل أمة متمسكة بالحق الثابت الثري الممتد من عزة الله"، وجاء التحذير من مصير الأمم التي تفرقت بعد ما جاءهم البينات ليخاطب وجدان النفس بـ "تنبيهها وتعديل سلوكها بالترفع التام عن رذائل البغي والأهواء الفردية، والوقوف الثابت عند حدود الحرمة والمسؤولية الأخلاقية الشاملة للوحدة البيانية"، وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي، مبرأة من الجمود الماهوي للفرق الذي عطل حركية الأمة وحنّط طاقتها في التاريخ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: (عَلَاقَةُ الْعَمَلِ بِالْإِيمَانِ بَيْنَ الِاشْتِرَاطِ الْعُضْوِيِّ وَالْعَزْلِ الْمُرْجِئِيِّ)

أولاً: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة العلاقة البنيوية بين "العمل الأخلاقي والسلوكي" وبين "أصل الإيمان المعرفي."
- محل النزاع :هل العمل جزء عضوي وركن ركين تلازمي في ماهية الإيمان يزول بزواله (الخوارج والمعتزلة)، أم هو عنصر تجميلي خارجي معزول كلياً لا يضر تركه بسلامة الإيمان (المرجئة)، أم أن النقطة الحرجة تاريخياً برزت عندما عُزل الاقتران القرآني الدائم بين {آمَنُوا} و{عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} عن بعده الحركي التكليفي، وتحول إلى معادلة منطقية باردة تبحث في تجريد المعرفة عن السلوك؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الماهوي اللفظي (العزل المرجئي) :يقرر أصحاب هذا الاتجاه أن الإيمان هو مجرد المعرفة والتصديق، وأن العبد لو ترك الواجبات قاطبة وارتكب الموبقات يبقى مؤمناً كامل الإيمان، متأثرين بجدليات جففت طاقة التكليف في الأمة.
2. القول الاستقلالي الماهوي التأويلي (الاشتراط الجبري للمعتزلة والخوارج) :جعلوا العمل شرطاً صحياً مطلقاً، فقرروا أن تارك العمل أو مرتكب الكبيرة خارج عن الإيمان تكويناً، مخرجين نصوص الوعيد عن عفوية سياقها التحذيري لتجريد العبد من أي صلة برحمة ربه ومغفرته.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم :الإيمان والعمل الصالح صنوان لا يفترقان حركياً وتنفيذياً؛ فالعمل هو المظهر الوجودي والترجمة الصادقة لليقين الباطن بعهد وفضل وجعل رباني، مع بقاء أصل النجاة بالتوحيد.
- الدليل القطعي وثبوته :اطراد التنزيل القاطع في اقتران الشرطين، كقوله تعالى في [سورة العصر]} :إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] {العصر: 3.[
- الدلالة القطعية :مجيء واو العطف التلازمية في البناء التركيبي للآيات يقطع دابر أي محاولة لعزل السلوك عن المعرفة، ويعلن أن نجاة الإنسان من الخسران المطلق معلقة بالتحرك الفعلي بالصالحات.
- إعلان عجز العقل البشري :عجز العقل عن تفكيك نقطة الالتقاء الدقيقة بين الإرادة المعرفية الباطنة والحركة الجسدية الظاهرة خارج التسليم التوقيفي.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ :يتسق مع قوله} :مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً {[النحل: 97]. الوجدان يرفض تماماً فكرة وجود مؤمن حقيقي مستقر الإيمان يمارس الظلم والفساد دون وازع داخلي.
3. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ :شحن وعي الأمة بإنتاج العدالة والقسط في الأرض وعدم الاكتفاء بالتصديق السلبي العاجز.
4. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ :تزكية النفس وتطهير السلوك بجعل العمل الصالح حراسةً روحية ودرعاً واقياً من رذائل النفاق والتواكل.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: (حُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ)

أولاً: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة وماهية الوصف والمآل الجزائي لـ "العاصي مرتكب الكبيرة" من أهل القبلة في لسان التنزيل.
- محل النزاع :هل يخرج العاصي بالكلية من الملة فيصير كافراً مخلداً في النار (الخوارج)، أم يُسلب عنه اسم الإيمان والكفر فيوضع في "المنزلة بين المنزلتين" (المعتزلة)، أم أن موطن النزاع تاريخياً برز عندما حُوّلت آيات العتاب والإنذار بالسيئات من سياقها الابتلائي والإصلاحي المفتوح على التوبة والمغفرة، إلى أداة لتمزيق البنية الاجتماعية للأمة وإصدار صكوك التكفير والخلود الغيبي؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الماهوي اللفظي (الغلو التكفيري للخوارج) :جمدوا على نصوص الوعيد والسيئات مطلقاً، فحكموا بكفر مرتكب الذنب واستباحة دمه وخلوده التكويني في النار، متجاهلين تماماً محكمات العفو والمغفرة والاعتصام بعهد الإيمان.
2. القول الاستقلالي الماهوي التأويلي (المنزلة بين المنزلتين للمعتزلة) :اخترعوا حكماً وتسمية منطقية مجردة للتملص من الخصوم، فنفوا عنه اسم الإيمان والكفر في الدنيا مع إيجاب خلوده في النار في الآخرة، محاكمين مآلات الغيب بقواعد جدلية باردة.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:
   - المضمون المعرفي المحكم :العاصي من أهل القبلة يبقى في دائرة الأخوة الإيمانية العامة بموجب أصل توحيده واعتصامه، والذنب عمل بشري ابتلائي يخضع للمحاسبة والمشيئة الإلهية والمغفرة ولا يوجب الخروج المطلق من الدين؛ وتطهير الساحة من إرهاب التكفير.

- الدليل القطعي وثبوته :قوله تعالى في محكم [سورة الحجرات] في حق الطائفتين المقتتلتين (والاقتتال كبيرة)} :وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا{، ثم قوله} :إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ] {الحجرات: 9-10].

- الدلالة القطعية :تسمية التنزيل للطائفتين المقتتلتين بـ }الْمُؤْمِنِينَ {وترتيب أصل }إِخْوَةٌ {و**{أَخَوَيْكُمْ}** عليهما مع قيام ذنب القتل الصريح، هي دلالة تركيبية قطعية تحصر مرتكب الكبيرة في دائرة الإيمان البشري المبتلى، وتبطِل دعاوى التكفير والخلود بالذنوب الفرعية.

- إعلان عجز العقل البشري :عجز العقل عن تحديد الموازين الدقيقة للعدالة الإلهية في خلط السيئات بالحسنات خارج حدود النص السامع.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ :يطرد هذا مع محكم قوله} :إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ {[النساء: 48]. الوجدان الفطري السليم يأبى مساواة الموحد المقصر بالملحد الجاحد في المآل الأبدي.

3. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ :يشحن الأمة بروح التضامن وحرمة الدماء والإصلاح الداخلي بدلاً من التمزق والاقصاء.

4. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ :فتح باب الإنابة والتوبة الدائمة أمام المذنبين لانتشالهم من رذيلة اليأس والقنوط المعطل للحركة.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: (الْكُفْرُ بَيْنَ الْجُحُودِ الْعَقَدِيِّ وَالْكُفْرِ السُّلُوكِيِّ الْعَمَلِيِّ)

أولاً: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة وماهية إطلاق لفظ "الكفر" وسياقاته المفهومية والجزائية في نصوص التنزيل.
- محل النزاع :هل كل لفظ كفر ورد في القرآن يفيد الخروج من الملة والخلود الأبدي في النار (ماهية الجمود الحشوي والتكفيري)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما سُحبت الألفاظ من تراكيبها السياقية وعُزلت لغة القرآن التعبيرية؛ فتحول "كفر النعمة السلوكي" و"الكفر العملي الفرعي" (مثل ترك بعض الأحكام أو تضييع القسط) إلى أداة مذهبية مساوية للكفر العقائدي والجحود بالذات الإلهية؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الماهوي اللفظي (التعميم التكفيري الجاف) :جمد على اللفظ المفرد (كفر) أينما ورد، فيسقط أحكام الجحود الأكبر المخرج من الدين على مواقف نزلت في كفران النعم أو المخالفات العملية، منتجاً فكراً يقصي المجتمعات خارج حدود الملة.
2. القول الاستقلالي الماهوي التأويلي (التمييع والتعطيل المرجئي) :غرق في عزل الألفاظ، فادعى أن الكفر لا يكون إلا بتكذيب القلب فقط، مستبعداً أن يكون هناك سلوك أو فعل عملي ظاهر يمثل في ذاته ردة وجحوداً حقيقياً لرسالة الله، مما أمات روح الحذر والتعظيم لحدود الحرمات.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:
   - المضمون المعرفي المحكم :البيان القرآني يفرق بدقة وجلال بين الكفر العقائدي (الجحود للرسالة والوحي) والموجب للخلود، وبين الكفر العملي والسلوكي

(ككفران النعم أو ترك القسط الأخلاقي التشريعي) الذي هو معصية كبرى خاضعة للابتلاء؛ وتطهير الساحة من الخلط والتعطيل.

- الدليل القطعي وثبوته :قوله تعالى في محكم [سورة النحل]} :وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] {النحل: 112.[
- الدلالة القطعية :التركيب في قوله }فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ {جاء مقيداً ومضافاً بوضوح إلى "الأنعم" والسلوك العملي الصانع للمخالفة الاستهلاكية والأخلاقية }بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ{، ولم يتحدث عن جحود بوجود الله أو الرسالة، مما يدل دلالة قطعية حاصرة على أن لفظ الكفر يُطلق في القرآن على الانحراف السلوكي والعملي دون خروج من الملة والعقيدة.
- إعلان عجز العقل البشري :عجز العقل البشري عن إحاطة فرز الألفاظ المستقلة دون الاستناد الحصري للسياق القرآني العربي المبين.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ :يتسق مع قوله تعالى في آية الحج} :وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ {[آل عمران: 97] النازلة في ترك العمل بالشعيرة مع القدرة. الوجدان يستوعب تماماً التفرقة بين من يرفض رباً ومن يقصر في شكر نعمة هذا الرب.
3. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ :تحريك طاقة الحذر والمسؤولية الجماعية في حماية النعم وبسط ميزان القسط لئلا تصاب الأمة بكفر النعم الموجب للهلاك الدنيوي.
4. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ :صياغة الضمير التزكوي للمكلف ليكون مستدام الشكر، حذراً من المظاهر السلوكية والعملية التي تقربه من رذائل الجحود والبطر والتنصل الأخلاقي.

الْمَسْأَلَةُ أُولَى مِنْ كِتَابِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ: (حَقِيقَةُ بِدَايَةِ الْخَلْقِ وَأَصْلِ نَشْأَةِ الْكَوْنِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد "بدء الوجود ونشأة الكون" وعلامة الفعل الإنشائي الإلهي للأكوان المشهودة في نصوص التنزيل.
- محل النزاع: هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليؤسس لتوقيت زمني مادي وجداول تفصيلية ميكانيكية لأيام الخلق وجزئيات المادة قبل وجود الشمس والقمر تقاس بحسابات البشر (ماهية وجودية لفظية حشوية)، أم جاء ليذوب المشيئة في أزلية المادة الصماء أو الصدفة العمياء للكون (ماهية وجودية مادية وفلسفية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"؛ وتحول ما هو إعلان لعظمة الخالق وإثبات لوحدة الأصل الكوني المنظم الحافز للتقوى إلى ساحة لجمع الأساطير الروائية والجدليات المادية؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الجمود الحشوي التقويمي): يجمد هذا الاتجاه على آحاد روايات وأخبار تاريخية ظنية الصدور والدلالة (كمأثورات أخبار الآحاد في خلق التربة يوم السبت والنور يوم الأربعاء والشجر يوم الاثنين)، ويحاول صياغة تقويم زمني بشرى ميكانيكي حسي لعملية الخلق الأولي؛ مسقطين الأبعاد الهندسية والزمان الحادث للبشر على الفعل الإلهي الغيبي المطلق قبل تولد الزمان والمكان؛ مما أوقع وعي الأمة في تصادم حاد مع حركة السنن والكون المشاهدة.
2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (المنطق الفلسفي والمادي الأزلي): غرق هذا الاتجاه في العقلنة رداً على الحشوية؛ فانقسموا إلى مسارين: تيار الفلسفة المشائية القديمة

الذي ذهب للقول بـ "الصدور الأزلي والفيض الاضطراري" والعقول العشرة نافياً حرية المشيئة الإلهية؛ وتيار المادية الحديثة الذي اختزل بداية الخلق في صدفة مادية محضة محكومة بآليات عشوائية عمياء تنفي الصانع؛ فأقحم العقل المحدود في سبر أزلية ما قبل المادة، ونزع حقيقة الجعل الفوقي، وحوّل الكون إلى كائن واجب الوجود بذاته معزولاً عن طاقته المقاصدية العلوية.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ: : الوقوف التام عند حدود "البيان القرآني الذاتي"؛ والإيمان الجازم واليقيني بأن الكون مخلوق ومربوب لله تعالى، خلقه وأوجده من العدم بمشيئته وأمره الفوقي، وأن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقهما بسُنّة إلهية جارية؛ وتطهير الساحة كلياً من الجداول الحشوية ومن أزلية الماديين؛ فالقطع يتطلب إثبات الإنشاء الرباني والسكوت عما وراء حدود النص التوقيفي السامع دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي. والمستند اليقيني الصرف الثابت هو التواتر القطعي لآيات الخلق كقوله تعالى في محكم [سورة الأنبياء]: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة. والنص قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث وصف البداية بتركيب {كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} وهو تعبير بلاغي كلي يفيد الوحدة المعرفية الأصلية للمادة الوجودية قبل تمايزها بأمر الله، وجاءت الآية الأخرى في [سورة الكهف] لتنفي نفياً حاسماً إشهاد أو إحاطة أي بصر أو عقل بشري بلحظة الخلق الأولي بتركيب حاصر: {مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، فثبتت البداية بالجعل الإلهي وتوجب التوقيف والتسليم للبدء كما ورد بلا تصرف. ونقرر القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إدراك أو تكييف أو تصور كيفية البدء الوجودي خارج حدود النص"؛ فالإنسان محدود محكوم بقوالب المادة، وإحاطة المحدود بلحظة تولد الزمان والمكان محال عقلاً، فالقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي والالتزام بالمحكم القرآني.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في الخلق بالأمر يتسق اتساقاً كلياً مع آيات نسبية الأيام الربوبية والوحدانية الكونية، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد التقويمية الحشوية والأزلية الفلسفية. والجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل هو آيات الأيام الغيبية المباينة لأيامنا الشمسية الحادثة في التنزيل: {وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}، وأصل برهان نفي الشريك والصدفة: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في أن الخلق جرى في "ستة أيام" وهي أيام ربوبية غيبية من عالم الأمر مباينة للزمن الأرضي، مما يبطل كلياً جداول الحشوية المادية؛ ويتسق هذا ويطرد مع إحكام النظام الكوني ونفي الفوضى العشوائية {لَفَسَدَتَا}، فثبت اطراد البيان وتصفت الروافد. والأصل الوجداني هو البديهة العقلية الراسخة في عقول وفطرة المسلمين بأن كل متغير ومتحرك ومتحول (كالكون) لا بد له عقلاً ولغة وفلسفة من موجد أول أزلي غني مباين له في ذاته، وأن المادة الصماء يستحيل أن تنشئ الحياة والنظام الواعي صدفة. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن العقل يعلن عجز أدواته وقوانينه الفيزيائية الأرضية عن سبر مادة ما قبل تولد الأبعاد، فيسكن لقرأنية الإنشاء، ويتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ : إن نصوص بدء الخلق ونشأة الكون لم تأتِ لتنحت معادلة تقويمية مادية أو فيضاً آلياً، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بجلال، وعظمة، ووحدة المشيئة الإلهية المهيمنة على نظام الوجود". وبتفكيك النصوص لغوياً وبلاغياً وفق لسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فاللفظ أُخرج من الدلالة الفيزيائية المجردة وجاء يحمل "شحنة المهابة الكونية الشاملة، واليقين بأن الوجود كله صادر عن تدبير واحد وإرادة فاصِلة حاسمة" لتبث في وعيه جلال القدرة؛ وشُحِن تركيب نفي الإشهاد {مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} بـ "شحنة التعالي التام، وحجبية الغيب الأولي

المانع لتخرصات العقول البشرية وقصورها أمام ملكوت الخالق" لتقريب جلال الربوبية؛ وشُحِن تركيب الإنشاء والماء {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} بـ "شحنة اللطف الإلهي، والصلة النورانية المنسجمة بين عناصر الوجود وتدفق الحياة بأمر الحكيم". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالخضوع والتعظيم لموجد الأكوان، مبرأً من حشو الحشوية وجفاف الماديين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص نشأة الكون هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو السير في الأرض، والنظر المعرفي في سنن الخلق، والتحرك لاستثمار عناصر الوجود وبناء الحياة وتشييد القسط؛ طالما أن الكون بناء منظم ومسخر ومفتوق بأمر إلهي فاعل يرفض الفوضى والعبث"؛ فالشحنة التعبيرية (وحدة الأصل والنظام النظري) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة في واقع التاريخ والأرض. وبتحليل بنية التراكيب اللغوية، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا} المتبوع بتركيب {فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} جاء بصيغة تركيب الاستفهام الإنكاري الحافز للبصر والوعي {أَوَلَمْ يَرَ} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية للتفكر والبحث العلمي والعملي في قوانين الكون، وقطع التعلل بالجهل، والبعث نحو عمارة الأرض بالعدل والعلم حساً وحركة"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع برهان الأحدية الحاسم: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} المسور بأدوات النفي والاستفهام الحاصرة لقسمة العقل؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تقمع الخنوع والعبثية، فـ**"تدفع المكلف دفعاً حاداً وحركياً للمسؤولية التامة والاعتراف بالصانع، والتحرك لامتثال الشريعة الحركية بقوة وفاعلية، طارحاً الأوهام التقويمية للحشوية والصدفية العشوائية للماديين"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الباحث الفاعل، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص نشأة الكون وبدء الخلق هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه

وظاهره بهيبة الربوبية وطمأنينة النظام الإلهي المحكم، وإخراج طبيعة النفس من حيز الغفلة والاضطراب الوجودي أو البلادة المادية إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة والانسجام مع الفطرة. ويتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للنظام المتقن العظيم؛ فتركيب وصف غاية التكوين بنفي العبث في قوله في محكم [سورة آل عمران]: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة الاستقرار الأخلاقي، والنعيم الروحي المستقر بأن الأكوان محكومة بحكمة ربانية تدعو للاطمئنان والتراحم، وتطهير النفس من أمراض القلق والعبثية بجرعة النظام الكبرى"؛ وجاء النهي عن الكبر والادعاء في {مَّا أَشْهَدتُّهُمْ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالاعتراف بقصورها وتواضعها المعرفي والتزام التواضع الأخلاقي والترفع عن رذائل الغرور والاستكبار الفكري في تفسير غيب النشأة الكونية"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي المعجز، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق الذي عطّل طاقة الرسالة وحركيتها الأخلاقية في التاريخ وعزل مسيرة وعي الأمة.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ: (خَلْقُ آدَمَ وَزَوْجَتِهِ: حَقِيقَةُ الْمَادَّةِ الْأُولَى وَسُنَنِيَّةُ النَّشْأَةِ النُّطْفِيَّةِ﴾

أولاً: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة وماهية ومقصد آلية "الخلق المادي البشري الأول والنشأة الجسدية لآدم وزوجه" في نصوص التنزيل المحكمة.
- محل النزاع :كيف وجد جسد آدم عليه السلام وبدأت بنية خلقه العضوي الأولى؟
- الاتجاه الأول :القول بنظرية "القالب والتمثال الفخاري التجسيمي"، أي خلقه الميكانيكي الخارجي المباشر كبالغ راسخ خارج الأرحام والسنن التطورية العادية (ماهية وجودية لفظية حشوية عطلت السننية) .(
- الاتجاه الثاني :صرف ألفاظ الخلق وتأويل المكونات الترابية إلى أبعاد رمزية مجازية جافة، تخرج النص عن واقعه الطبيعي القرآني المصدق (ماهية تجريدية كلامية وبتر سياقي) .p) 12).
- الاتجاه الثالث (المنهجية المقاصدية العرضية) :إن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي تاريخياً برزت عندما عُزل اللفظ القرآني الخاص بخلق آدم عن "عمومات السننية الجارية، والوحدة البنيوية الحاكمة للتنزيل(؛ وتحول الإيجاد البدئي الطاهر من كونه خاضعاً لقوانين الماء، والنطفة، والتدرج الجنيني الرحمي الطبيعي لـ (جنس الإنسان)، إلى سيناريوهات ميكانيكية تجسيمية شوهت حقيقة التقدير والتسوية الإلهية الجارية في الشاهد والشهود

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية وأزمتها

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (وهم القالب والمشهد الفخاري المجسد)

- المضمون :يجمد هذا الاتجاه على المأثورات التاريخية والقصص الإسرائيلية الطارئة، متوهماً أن ذكر الطين والصلصال في القرآن يعني بالضرورة صناعة تمثال فيزيائي مصمت طُبخ وصُنع بآلية معزولة، ثم نُفخ فيه فجأة فصار حياً طفلاً أو صبياً بالغاً عاقلاً خارج القوانين البيولوجية للحياة

- وجه الاستقلالية وأزمته :حاول إنشاء عقيدة مستقلاً بروايات الآحاد المتوارثة وتسالم الأوائل دون مستند قرآني محكم(؛ فصدم حتماً بالوجدان، والعرف، والعلم، وآيات التنزيل القطعية الدالة على حتمية النمو والتدرج البشري من نطفة .(كما عطل هذا التيار القدرة الإلهية الخالصة بحبسها في مشهد فيزيائي تشبيهي شوه سنن الخلق المطردة في الشاهد.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (الإنكار والتجريد الكلامي)

- المضمون :غرق هذا الاتجاه المعاصر والحداثي في التجريد رداً على خرافة التجسيم الحشوية؛ فصرفوا دلالات "التراب والطين" عن حقيقتها العضوية الكيميائية، منكرين أن يكون لجسد آدم ارتباط حقيقي مباشر بمواد الأرض الخاضعة للتبديل والسنن التطورية.

- وجه الاستقلالية وأزمته :ولد كرد فعل عقلاني غير منضبط؛ فبتر النص القرآني وصرف التراكيب الصريحة المعبرة عن مادية المنشأ، فإقحم العقل في التخرص بلا أصل تشريعي، محولاً سنّة خلق آدم إلى مجرد نظريات فلسفية معزولة عن هداية التنزيل الذاتية ومصدقيتها الواقعية التجريبية.

ثالثاً: التأسيس المقاصدي البنيوي الجديد

1. البَحْثُ القَطْعِيُّ (الدليل الاستقرائي والتصديقي للسننية النطفية)

- المضمون المعرفي المحكم وعموم خطابات الخلق:

- الوقوف الكامل عند حدود "البيان القرآني الكلي"؛ والإيمان والانعقاد الجازم بأن آدم عليه السلام مشمول حتماً وبشكل مطلق بـ**"عمومات خطابات خلق الإنسان"** الجارية في التنزيل (الخلق من نطفة، ماء، أرحام، تدرج جنيني وطبيعي)، ولا مخصص قطعي يخرجه من هذه السلسلة السنني.(
- تطهير الساحة المعرفية كلياً من وهم "القالب الفخاري التجسيمي اللامرحلي البالغ) " ؛ فالقطع يتطلب إثبات أن آدم وجد ونبت سنياً وتدرج حيوياً وبيولوجياً عبر القوانين المطردة التي خلق الله بها جنس البشر وعرضها في محكم بيانه)

- الدليل القطعي وثبوته (الاستقراء التنزيري المحكم): المستند اليقيني الصرف الثابت الخالص لعقيدة خلق آدم هو "الدليل الاستقرائي التصديقي لعموم الآيات .("وعماد هذا التأصيل الحاصر آيات أربع قطعية الثبوت بالتواتر المطلق المفيدة للعلم الضروري:

1. عمومية المنشأ النطفي الحتمي لـ (جنس الإنسان) :قوله تعالى} :خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ {(النحل: 4)، وقوله مكرراً ومحسساً للمكلف} :أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) {يس: ف (الإنسان) هنا لفظ عام مستغرق للجنس لا يقبل التخصيص اللفظي بالأوهام)

2. حتمية التدرج والطفولة والنمو الطبيعي :قوله تعالى} :هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) {غافر: 67) (.(هذه السلسلة التكوينية (تراب نطفة علقة طفل) حاكمة على كل مكلف وبشر، وآدم رأس السلسلة مشمول بها حتماً؛ إذ لا توجد آية واحدة تصرح بأنه ولد بالغاً عاقلاً طارئاً خارج الأرحام.(

3. برهان المماثلة العيسوية الآدمية :قوله تعالى المحكم} :إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) {آل عمران: عيسى عليه السلام خلق من غير أب، ولكنه لم يخلق كتمثال فخاري، بل تكون وتدرج كـ"نطفة طبيعية وجنين في رحم أمه مريم) " . وبما أن التماثل مطلق ومحكم }كَمَثَلِ آدَمَ { (، فآدم عليه السلام خُلق وتدرج حتماً بنمو نطفة طبيعية

وجنين في محضن بيولوجي سنني، والمسكوت عنه غيباً هو آلية التلقيح البدئية والمنشأ الإعجازي من غير أبوين.

- الدلالة القطعية وفقه الآيات البنيوي:

- حقيقة التراب والطين والصلصال :إثبات أن هذه الألفاظ القرآنية لا تعني صناعة مجسم ميكانيكي، بل تعني أن أصل ومبدأ المواد والعناصر اللاعضوية والكيميائية الحيوية المكونة لجسد الإنسان تعود في مغذياتها وجذرها البعيد لتراب الأرض وطينها، وهي المادة الأساسية التي تتحول عبر النبت والغذاء وعناصر الوالدين إلى منّي ونطفة سائلة حية

- مفهوم التسوية ونفخ الروح (الجانب الغيبي في الوجود الطبيعي) :تركيب قوله : }فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي {هو حكاية غيبية تشرح البعد الملكوتي الكامن في عمق الوجود الطبيعي البيولوجي الجاري

  - التسوية :هي الاكتمال الدماغي، والنبضي، والفيزيولوجي المتدرج للجنين والطفل في محضنه السنني حتى مرحلة الصبا

  - نفخ الروح :ليس ضخ هواء في تمثال، بل هو تشغيل الوعي، وعمل الدماغ الواعي، والتكليف، والمسؤولية الأخلاقية والهدائية بعد أن استقر الجسد ونما سنياً من الطفولة والصبا .فذكر آدم هنا هو "لسان الأهم والنمذجة المعرفية الكلية "التي تشرح ماهية الإنسان وجانبيه (المكون الأرضي الطيني، والمكون الملكوتي الروحي).(

- زوجة آدم (وحدة المنشأ التكويني) :ينبني على هذا القطع أن زوجة آدم خُلقت ونبتت من ذات طبيعته، وجنسه البشري، ورحم مادته السننية التدرجية الطاهرة الحاضنة} :(خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) {الأعراف: 189(؛ ف "مِنْهَا" تفيد وحدة الماهية والجنس الفطري

السنوي الملائم(، وتصفي الأوهام الحشوية لقصة الضلع الأعوج الفيزيائي المادي.

- إعلان عجز العقل البشري :العقل يعلن عجز أدواته وقوانينه الحالية عن تشريح كيفية التلقيح الإعجازي الأول للنطفة البدئية لآدم دون أبوين؛ لأنها من أسرار "عالم الأمر"، ويلتزم العقل بالسكوت والوقوف عند حدود ما طرحه النص التوقيفي من عموم السنن وعموم الخلق بالماء والنطف

رابعاً: بناء الأبحاث المقاصدية الأخرى على هذا التأسيس القطعي السنني

1.البَحْثُ الْعَرْضِيُّ (اطراد السننية وتكامل الغيب بالشاهد)

- الخلاصة المعرفية المتسقة :ينبني هذا البحث عرضاً على قطع السننية؛ فالمعرفة القرآنية وحدة منسجمة لا تضرب القوانين الطبيعية اليقينية؛ والقول الفصل في خضوع آدم لقوانين النطفة والأرحام والتدرج الجنيني يتسق كلياً مع آيات التنزيه الكلية واستقرار السنن الربانية المشهودة في واقع الخلق الحاضر

- عرضه على الشاهد والوجدان :نحن نرى في الشاهد اطراد الوراثة، والنمو النطفي، والتطور الجنيني الطفولي (؛ والعقل والوجدان يعلمان يقيناً أن الخالق الذي أجرى القوانين في الشاهد هو الذي خلق الغيب المستور؛ فيُعرض المشهود اليقيني على آيات البدء التوقيفية لتتطابق الأدلة وتصفي تماماً الروايات الإسرائيلية والخرافات التجسيمية لـ "النموذج الفخاري الميكانيكي المنبت عن السنن .(

2.البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ (شحنات الإيجاد والكرامة الإنسانية)

- الرسالة التعبيرية الكلية :لم تأتِ الآيات لترسم سيناريو ميكانيكياً جامداً، بل جاءت لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن عقل وجدان المكلف بالاعتراف بعظمة الإيجاد والكرامة الإنسانية.

- التفصيل الدلالي المبني على القطع السنني النطفي:
  - شُحن الخطاب بتركيب }خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ {ليوصل شحنة "التواضع، والتنبه لضعف المنشأ البيولوجي السائل المائي المطرد في السنن لقطع دابر الكبر والخصومة " .(
  - وشُحن بذكر }خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ {ليوصل شحنة "الارتباط العضوي والفيزيائي الحقيقي بعناصر الأرض الكيميائية المتواجدة في طينها والتي تغذي وجوده الحركي " .(
  - وشُحن بتركيب }وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي {ليوصل شحنة "التكريم القدسي الأعلى، وبناء وعي المكلف بامتلاكه سر العقل، والإدراك، والحرية الأخلاقية التكليفية التي ترفعه فوق البهيمية الصماء.(

3.البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ (تحويل السننية والكرامة إلى طاقة حركية)

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي :ينبني التأثير حركياً وعملياً على طهارة وعادية المنشأ الآدمي؛ فالغاية الوجودية هي دفع المتلقي الإنساني نحو الحركة الفعلية لبناء التراحم والصلة، طالما أن آدم مشمول بعموم الخلق والأرحام والنمو الطبيعي .(الشحنة النظرية (وحدة المنشأ النطفي البشري الممتد) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تدفع المكلف دفعاً حاداً لإقامة القسط، وتشييد صرح المساواة، ومحاربة الرذيلة والظلم
- تفصيل الدلالة التأثيرية :تركيب الأمر بالتقوى المتبوع بالتفصيل السنني يفجر طاقة عملية ترشد المكلف لقطع البغي والتمييز العرقي والطبقي؛ لأن رأس السلسلة البشرية (آدم) لم يكن كائناً فيزيائياً شاذاً منبتاً، بل إنساناً مر بذات التدرج والطفولة والصبا والضعف النطفي والمنشأ الترابي الأرضي المشترك الجاري على كافة المكلفين في واقع التاريخ والأرض .(

4.البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ (التزكية والتعديل السلوكي تحت الرقابة الحاصرة)

- الغاية التزكوية وتطهير الباطن :العلة الغائية القصوى هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة الرقابة، وإخراج طبيعة النفس من الاستكبار العرقي، أو التعالي الطبقي، أو البلادة التناسلية المادية الكثيفة، إلى حيز اليقظة الأخلاقية والاتساق التام مع الفطرة السوية لوعيها أن الجميع نبت من نطفة وتراب برعاية وجعل رباني طاهر

- مخاطبة وجدان النفس وتعديل سلوكها :يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب جبلة النفس البشرية؛ فتركيب التحذير المقترن بالرقابة في قوله} :إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا {المسور بالحصر التأكيدي يورث النفس قمة الاستقرار الأخلاقي والخشية الواعية الشاملة بأن وشائج المنشأ البشري السنني الموحد مرصودة بعين الرقابة الصارمة، مما يعدل السلوك بالترفع عن القطيعة والظلم والعدوان.

- وجاء إسناد التسوية ونفخ الروح للتكليف الواعي ليعيد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الوجدان والعمل، مبرأً من الجمود الماهوي الجاف للفرق المعطلة لحركية الرسالة الهدائية الشاملة في التاريخ

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ: ﴿بِدَايَةُ النَّسْلِ وَالتَّكَاثُرِ الْبَشَرِيِّ الأَوَّلِ: الاتِّسَاقُ الْبِيُولُوجِيُّ وَبُرْهَانُ الِامْتِدَادِ وَالِانْقِرَاضِ السُّنَنِيِّ﴾

أولاً: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة وماهية ومقصد آلية "التكاثر البشري الأول ونشأة الذرية" من النفس الواحدة وزوجها المشهودة في نصوص التنزيل.
- محل النزاع :كيف بدأ النسل والتكاثر البشري الأول بعد خلق آدم وزوجه؟
- الاتجاه الأول :القول بشريعة مادية ظرفية جوّزت قسراً "زواج الإخوة بالبطون المختلفة" كمعاملة فيزيائية ترابية (أن يتزوج هابيل توأمة قابيل حساً وفق قصص الموروث)، وهي (ماهية وجودية لفظية حشوية صدمت التنزيه المطلق للتشريع الإلهي).
- الاتجاه الثاني :القول بتعدد الأوادم المستقلين والبشر المنفصلين لقطع هذا الإشكال المادي، وهي (ماهية وجودية تأويلية تفكيكية بترت صراحة النص وعطلت فكرة اصطفاء ورأس السلسلة الآدمية).
- الاتجاه الثالث (المنهجية المقاصدية العرضية –) :إن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برزت تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي، والوحدة البنيوية الحاكمة لعمومات التنزيل التكريمية والتنزيهية"؛ وتحول ما هو فعل جعل وإنشاء وبثّ رباني طاهر غيبي متصل بعالم الأمر والكرامة الفطرية والسننية الحيوية الجارية، إلى سيناريوهات قصصية شوهت طهارة النسل البشري الأول.

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية وأزمتها

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الجمود الروائي الحشوي الخرافي)

- المضمون :يجمد هذا الاتجاه على التفسير الحسي المادي لآلية التناسل البشري، متلقياً ركاماً هائلاً من المأثورات التاريخية والقصص الإسرائيلية الطارئة والظنية؛ فيقرر أصحابه أن الضرورة المادية والبيولوجية في الأرض جوّزت في شريعة البدء زواج الأخ الشقيق بأخته حساً وحركة ومادة (بشرط اختلاف بطون الولادة)، مفصلين سيناريوهات زواج هابيل وقابيل وتنازعهما الجنسي والمادي على النساء التوائم، معتبرين هذا من عوارض البدء الفيزيائي للبشر.

- وجه الاستقلالية وأزمته :حاول إنشاء عقيدة وتحديد لآلية النشأة البشرية الأولى مستقلاً بروايات تاريخية وآحاد من القصص التفسيرية الطارئة المعزولة؛ فصدم حتماً بالكرامة الفطرية الموحدة والتنزيه المطلق للذات الإلهية عن التشريع للقبائح والمحارم؛ مما أسقط البداية الإنسانية المكرمة في وعي العوام في أطر من التشويه الأخلاقي الذي تأنفه حتى جبلّة الحيوانات السوية، ومحجماً القدرة الإلهية الخالصة في حدود التلاقح المادي الأرضي المعهود في الشاهد.

2.القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (الإنكار والافتراض الكلامي والجفاف المادي)

- المضمون :غرق هذا الاتجاه (بعض المفسرين المعاصرين والتيارات الحداثية والكلامية) في الافتراض العقلي رداً على خرافة زواج الإخوة الحشوية وتفادياً لإشكال محارم البدء؛ فقرروا إنكار حقيقة "وحدة الأصل البشري من نفس واحدة" وصرف دلالتها البلاغية الكلية، فافترضوا وجود "بشر كُثر وأوادم متعددين" خُلقوا من طين الأرض في جغرافيا شاسعة ومتزامنة مع آدم وتناسلوا فيما بينهم كجماعات بشرية مستقلة مستقرة تلاقحت تلاقحاً طبيعياً عادياً.

- وجه الاستقلالية وأزمته :اعتمد على أطروحة افتراضية سوسيولوجية ومادية مستقلة ولدت كرد فعل على أزمة الموروث الروائي؛ فبتر النص وصرف التراكيب القرآنية الصريحة والدالة قطعاً على انفراد النفس الواحدة وزوجها في بث البشرية {مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} عن بيانها الذاتي العفوي (؛ فأقحم العقل في التخرص والرجام بالغيب بلا أصل تشريعي أو نقلي يقيني، محولاً سنّة البدء إلى مجرد نظريات في الأنثروبولوجيا المادية الجافة.

ثالثاً: التأسيس المقاصدي البنيوي الجديد

1. البَحْثُ القَطْعِيُّ (الدليل الاستقرائي والتصديقي لبرهان الامتداد والانقراض السنني)

- المضمون المعرفي المحكم وعموم خطابات الخلق والتكاثر:

  - الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان والانعقاد الجازم بأن البشرية جمعاء الحالية تناسلت وتفرعت من "نفس واحدة" هي آدم وزوجه حقيقة لا مجازاً، ببركة الإرادة والجعل والإنشاء الإلهي الخلاق الطاهر؛ وتطهير الساحة المعرفية كلياً من خرافة زواج الإخوة ومن أوهام الأوادم المتعددين المستقلين.

  - يتطلب القطع إثبات وحدة الأصل الطاهر والوقوف عند حدود التسمية والتلقي السامع للنص دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته (الاستقراء التنزيري المحكم): المستند اليقيني الصرف الثابت الحاصر لأصل النسل البشري الحالي هو "الدليل الاستقرائي التصديقي لعموم الآيات الحاكمة للبث والنشأة من الأقوام الموازية) " وعماد هذا التأصيل الحاصر آيتان قطعيتان بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري:

1. حصر التكاثر البشري الحالي في سلالة الزوجين الآدميين :قوله تعالى في محكم مطلع (سورة النساء)} :يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً .({وهو نص حاصر للشجرة الجينية والنسبية للبشرية الحالية في هذا النسل المبارك الطاهر.

2. برهان النشأة من أقوام بشرية موازية (حل عقدة النسل) :قوله تعالى الصريح والمفسر الحاكم لسنن الاستخلاف} :إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) {الأنعام: فهذه الآية محكمة صريحة في إثبات السننية والواقع؛ حيث تؤكد أن نشأة وتأسيس خط البشرية والنسل الجاري لم يكن منبتاً في فراغ مطلق، بل جرى تلاقحه ونشأته

الأولى من ذرية أقوام آخرين كانوا يعمرون جغرافيا الأرض موازين لآدم تزامناً وتلاقحاً حيوياً طبيعياً (pp. 5, 27).

- الدلالة القطعية وفقه الآيات البنيوي:

  - ماهية "النفس الواحدة" والوحدة النوعية الفطرية :إثبات أن النص في قوله }خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ... وَبَثَّ مِنْهُمَا {هو قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ حيث حصر أصل الخلق البشري العام الشامل بتركيب الجار والمجرور المقيد }مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ {ثم عطف عليها زوجها .(والدلالة تفيد الوحدة النوعية والجنسية والطبيعة الفطرية الملائمة، ليتسق تماماً مع اطراد التنزيل في مثل قوله : }وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا{، أي من جنسكم وطبيعتكم البشرية؛ فزوجة آدم هي من جنسه وطبيعته البشرية الطاهرة المكرمة.

  - إسناد البث للقدرة ونفي الوسائط الشائنة :أسند فعل التكاثر والتفريع والنشر كلياً ومباشرة إلى الربوبية والمشيئة بتركيب قاطع} :وَبَثَّ مِنْهُمَا{ والقرينة التركيبية تقطع دابر أوهام تعدد الأوادم المستقلين المستمرين، وتخلو تماماً بنصها الصافي الذاتي من أي ذكر أو إقرار لواسطة مادية تخدش طهارة الفطرة (كالمحارم)؛ فالبث فعل غيبي مضاف إلى عالم الأمر يخضع لقانون }كُن فَيَكُونُ {في تكثير الذرية ونشأتها بطرق قدسية.

  - آلية الامتداد الجيني والذوبان والانقراض التاريخي المحيط بالإشكال :النص لا ينفي عقلاً ولا نصاً وجود مجموعات أو قبائل بشرية أو أشباه بشر معاصرين لآدم (أقوام آخرين) يشبهونه في الخلق البيولوجي المشهود .(ومن خلال هذه السلالات الموازية تم تزاوج أولاد وبنات آدم وتناسلهم طبيعياً وسنياً وعادياً دون الحاجة للوقوع في رجس وزنا المحارم؛ ثم بموجب سنن التبديل، والاستخلاف، والاصطفاء الرباني التاريخي، انقرضت وتلاشت وذابت تلك السلالات والمجموعات الأخرى تماماً عبر التاريخ، ولم يتبقَ في الشاهد الإنساني

سوى "المورثات والجينات الحالية" المنحدرة مباشرة والمستقرة في السلالة الآدمية المصطفاة. وبذلك نستدل بالواقع السنني الشهودي على الغيبي المستور؛ لأن الغيب والشهادة يصدران من مشكاة ربانية واحدة منسجمة.

- إعلان عجز العقل البشري :تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إدراك أو تشريح الكيفية الفيزيولوجية الدقيقة لآلية التفريغ والتلاشي التاريخي والامتزاج السلالي البدئي خارج حدود النص التوقيفي السامع المشهود لعمومات السنن". العقل البشري كائن محدود محكوم بقوانين التناسل البيولوجي الحالي للشاهد بعد استقرار القوانين المادية، ويتحقق القَطْع بالاعتراف بالعجز الكلّي، والسكوت عما وراء النص، والالتزام بالطهارة الغيبية للبدء البشري.

رابعاً: بناء الأبحاث المقاصدية الأخرى على هذا التأسيس القطعي السنني

1. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ (اطراد السننية والتنزيه وتكامل الغيب بالشاهد)

- الخلاصة المعرفية المتسقة :ينبني هذا البحث مباشرة على التأسيس القطعي؛ فالمعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في طهارة آلية البث البشري من النفس الواحدة والتناسل الطبيعي مع الأقوام المعاصرة المنقرضة يتسق اتساقاً كلياً مع آيات الكرامة الفطرية الكلية ونفي الفواحش.

- عرضه على القرآن والوجدان :الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد التنزيه، والكرامة، والتحريم الإلهي الصارم للفواحش والمحارم في التنزيل} :قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ{، وأصل سُنّة التكريم لجنس النشأة الأولى : }وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ .{الشاهد القرآني والوجداني يثبتان أن الله الذي حرّم الفواحش وجعل زنا المحارم قبيحاً ورجساً بنص المحكم الكلي يستحيل لغوياً، وبلاغة، وسياقاً، واطراداً أن يفتتح مشروع البشرية المكرمة والمصطفاة بجريمة أو آلية تشريعية تأنفها الحيوانات في الفطرة السوية وتصدم أسس العفة؛ فلما ثبت قطعاً تزاوج النسل سنياً مع

ذرية الأقوام الآخرين وانقراض جيناتهم لاحقاً(، ثبت اطراد البيان وتصفية الروافد الإسرائيلية الطارئة لزواج الإخوة وبطلان دعاوى الأوادم المتعددين المستقلين المستمرين.

2.البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ (شحنات الإيجاد والروابط المعرفية الوجدانية)

- الرسالة التعبيرية الكلية :نصوص خلق النفس الواحدة وبث الرجال والنساء لم تأتِ لتنحت معادلة بيولوجية تشريحية جامدة أو قصة مادية حسية معزولة، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بطهارة، وعفة، وكرامة، ووحدة الأصل والنسيج البشري المتصل بالقدرة الربانية مباشرة.

- التفصيل الدلالي المبني على القطع السنني التكاثري:

  - استعمل النص لفظ }وَبَثَّ{، والبث في لسان العرب وبلاغتهم يفيد النشر، والتفريق، والتكثير الهائل الفوري الجاري بفيض القدرة (كالذر المنتشر) خارج أطر المعاملة العادية الحركية المحدودة للبشر؛ ليوصل لطبيعة النفس شحنة الطهارة، وعظمة الإيجاد الرباني المطلق، لتبث في وعيه جلال النقاء الأخلاقي ومظهر المعجزة الملكوتية.(

  - شُحِن تركيب وحدة الأصل والنوع الماهوي السنني }مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ { بشحنة الروابط المعرفية والوجدانية العميقة والمشترك الإنساني العام الذي يجمع بني آدم كلياً(؛ ليرى الإنسان في أخيه الإنسان شقيقاً له في وعاء الخلق الأول وقطع حيرة التشظي والعنصرية.

  - شُحِن تركيب جعل البنين في قوله} :وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً { بشحنة العناية واللطف والتمليك الرباني الدافئ. يثبت هذا التفصيل اللغوي أن لغة القرآن تعبيرية رسالية مبرأة من خرافات الحشوية وجفاف الماديين.

3.البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ (تحويل برهان الانقراض والكرامة إلى طاقة حركية)

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي :ينبني التأثير حركياً وعملياً على طهارة البدء ونقاء السلسلة النسبية الحالية؛ فالغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص نشأة النسل ووحدة النفس هي التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو تفعيل المشترك البشري، والتحرك لبناء المودة والتراحم والصلة الإنسانية الشاملة حساً وحركة، والنهوض بإقامة القسط وحفظ الأنساب والأعراض طهارةً؛ طالما أن الأصل البشري الحالي قد نبت واستقر طاهراً ومصطفى من يد القدرة الإلهية المباشرة المبرأة من الفواحش والمحارم. فتتحول الشحنة النظرية طاقة تأثيرية عملية حاسمة في واقع التاريخ والأرض.

- تفصيل الدلالة التأثيرية :تركيب }اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ {المتبوع بتركيب البث التكثيري وفعل الأمر الصريح الشديد في ذيل السياق} :وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ {جاء بصيغة فعل الأمر الملزم المقرون بعطف الأرحام الكلية ليفجر طاقة تأثيرية عملية ترشد المكلف نحو الحركة الفعلية لصلة الأرحام الشاملة، وبناء التراحم الاجتماعي، وقطع دابر البغي والظلم والتمييز العرقي والطبقي المعطل للفعل، والبعث نحو تحويل أخوة الخلق إلى واقع عملي حساً وحركة لحماية الحقوق الإنسانية الشاملة ,) .(25يتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب حظر الفواحش وصيانة طهارة النسل }قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ{ ؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي التواكل، فتدفع المكلف دفعاً حاداً وحركياً لصيانة الأعراض، وتشييد صرح الزواج الطاهر المشروع، ومحاربة الزنا والرذيلة بقوة وفاعلية وجودية صامدة، طارحاً الأوهام الروائية الخرافية المعطلة للفطرة وزعم تعدد الأوادم المادي الجاف.

4.البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ (التزكية والتعديل السلوكي تحت الرقابة الحاصرة)

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي :العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص وحدة النفس والبث البشري السنني هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة الرقابة على الأرحام وطمأنينة الانتساب للأصل الطاهر المكرم، وإخراج طبيعة النفس من الاستكبار العرقي أو البلادة التناسلية المادية

الكثيفة إلى حيز اليقظة الأخلاقية والاتساق التام مع الفطرة السوية لوعيها بالانحدار السلالي النقي المصفى ربانياً.

- مخاطبة النفس الإنسانية وتعديل سلوكها :يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للتكامل الإنساني. تركيب التحذير المقترن بالرقابة في قوله في ختام الآية} :إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا {المسور بتركيب الحصر التأكيدي شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة قمة الاستقرار الأخلاقي، والخشية الواعية الشاملة بأن وشائج القربى والرحم البشري مرصودة بعين الرقابة الإلهية الصارمة وتعديل سلوك النفس بالترفع عن القطيعة والظلم والعدوان.

- وجاء إسناد البث للقدرة وعطف النسل على النشأة السننية المكرمة ليخاطب وجدان النفس الواحدة بتنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالاعتراف بالكرامة الأصلية للنسيج البشري الحالي المستقر، والترفع عن رذائل العنصرية والتعالي الطبقي لعلمها بأن الجميع من نفس واحدة خرج بنفخة وطهارة ربانية عليا ومصفاة جينياً بأمر الاستخلاف الرباني . وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي المعجز، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق المعطل لحركية الرسالة الهدائية الشاملة في التاريخ .(

أستاذنا الكبير الدكتور أنور غني الموسوي، لقد تم بحمد الله إتمام إعادة صياغة وهيكلة "الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ "كبنية مقاصدية متكاملة ومستقلة، تدمج في صلب بحثها القطعي برهان "الامتداد والانقراض التاريخي للذرية من الأقوام الآخرين" لتسحق خرافة زواج الإخوة بالدليل الاستقرائي القرآني والبيولوجي المحكم.(

المسألتان الثانية والثالثة الآن مصاغتان ومستقرتان على ذات النهج المعرفي الفذ العائد لسيادتكم الفكرية.

إذا كنت مستعداً لتوجيهي، فما هي المسألة الرابعة من كتاب الدنيا والخلق التي نود حفظها وتفكيكها تالياً؟ وبأي محور معرفي تتصل لتتلقاها ذاكرتي النشطة فوراً؟

تعقيب نافع

بداية النسل

المقدمة

إن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي الذي برز تاريخيا في علوم التفسير والأصول، تجسد عندما عزل اللفظ القرآني عن مقصد الخطاب، وسياقه التعبيري الرسالي، والوحدة البنيوية الحاكمة للتنزيل. لقد تحولت أفعال الجعل، والإنشاء، والتسوية، والبث الرباني الطاهر المتصل بعالم الأمر والكرامة الفطرية، إلى سيناريوهات قصصية ميكانيكية شوهت طهارة النشأة الأولى والنسل البشري الأول.

وينقسم الفكر التاريخي حيال هذه القضية إلى مسارين استقلاليين ماهويين:

1. القول الوجودي الماهوي اللفظي (الجمود الروائي الحشوي) :وهو اتجاه يجمد على التفسير الحسي المادي التجسيمي، متلقيا ركاما هائلا من المأثورات التاريخية والقصص الإسرائيلية الطارئة وظنية الصدور والدلالة، ليحبس القدرة الإلهية في أطر التشبيه والفيزياء الأرضية المعزولة عن السنن.
2. القول الوجودي الماهوي التأويلي (الإنكار والجفاف المادي) :وهو اتجاه غرق في الافتراض العقلي ردا على خرافات الحشوية، فبتر النص وصرف التراكيب القرآنية الصريحة عن دلالاتها، محولا سنة البدء إلى مجرد نظريات أنثروبولوجية جافة.

من هنا، ينبثق منهجي المقاصدي العرضي التصديقي ليقوم على الوقوف التام عند حدود البيان القرآني الذاتي، وعرض الغيب من مشكاة الشاهد السنني المطرد، حيث ينفي بعض القرآن الاضطراب عن بعض، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين: القرآني السنني والوجداني الفطري.

الفصل الأول: خلق آدم وزوجته (حقيقة المادة الأولى وسننية النشأة النطفية)

.1المضمون المعرفي المحكم:

يتأسس هذا الفصل على أن جميع آيات خلق الإنسان المطروحة في التنزيل هي خطاب تدرجي حقيقي، عام، ومستقر له من النفوذ والرسوخ ما يمنع تخصيصه. وبناء على هذا الفهم الإحكامي فإن آدم عليه السلام مشمول حتما ومباشرة بهذه العمومات القرآنية، فلم يخرج عن كونه كائنا بشريا خضع لقوانين الماء، والنطفة، والتدرج الجنيني الرحمي، والنمو الطبيعي. ومن ثم، أقوم هنا بتطهير الساحة المعرفية كليا من وهم "القالب الفخاري التجسيمي اللامرحلي البالغ" الذي ادعى أن آدم خلق كتمثال طبخ خارج الأرحام ثم نفخ فيه ليبعث شخصا بالغا طارئا على السنن.

.2الأدلة الاستقرائية والتصديقية:

- الدليل الأول: عمومية المنشأ النطفي لجنس الإنسان: قال تعالى في محكم بيانه: {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} (النحل: 4)، وقال سبحانه محسسا ومستنطقا للوعي البشري: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} (يس: 77). لفظ "الإنسان" هنا جاء بصيغة العموم الاستغراقي للجنس؛ ووفق قواعد الفقه اللفظي الأصولي، فإن العام يبقى على عمومه ولا يجوز تخصيصه بالأوهام وروايات الآحاد، مما يقطع بأن آدم خلق من نطفة.

- الدليل الثاني: حتمية التدرج الجنيني والنمو والطفولة: قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ} (غافر: 67). هذه السلسلة التكوينية المطردة تمثل ناموس الخلق؛ ولم ترد في التنزيل آية واحدة تصنع استثناء ببلوغ آدم لأشده دون مسار الجنينية والطفولة والصبا.

- الدليل الثالث: برهان المماثلة العيسوية الآدمية: قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}

(آل عمران: 59). عيسى عليه السلام خلق إعجازا من غير أب، لكنه لم يخرج عن سنن المادة، بل نما وتكون كنطفة طبيعية وجنين في رحم أمه مريم. وبما أن المماثلة محكمة بأداة التشبيه الرابطة، فمشهد خلق آدم كان بنمو نطفة في محضن رحمي بيولوجي سنني، والمعجزة الغيبية التوقيفية تقتصر على آلية التلقيح البدئي ..

- .الدليل الرابع: دلالة "الاصطفاء" على الوجود البشري الموازي:

- المضمون والبرهان :في قوله تعالى} :إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ {[آل عمران: 33]. الاصطفاء في لسان العرب والبلاغة القرآنية لا يكون إلا من "مجموع" أو "جنس حاضر متجانس وموجود بالفعل" يُختار منه الأفضل والأصلح لحمل الرسالة.

- النتيجة الاستدلالية :كما أن نوحاً وآل إبراهيم وآل عمران تم اصطفاؤهم من بين أقوام ومجتمعات بشرية عاصروهم وعاشوا بينهم، فإن اصطفاء آدم يدل دلالة قطعية على أنه خُلق ونشأ مع بشر وأقوام آخرين عاصروه في زمانه؛ فاصطفاه الله من بينهم لنفخة الروح الخاصة بالوعي، والتكليف الرسالي، وعلم الأسماء، ليكون رأس خط الاستخلاف الهدائي.

- .2حقيقة "الجنة" كبقعة أرضية خاصة ومحضن اصطفائي:

- المضمون والبرهان :بناءً على هذا الاصطفاء والوجود الموازي، فإن "الجنة" التي سكنها آدم وزوجه في مطلع خلقهما لم تكن جنة الخلد الغيبية المعلقة في السماء، بل كانت بقعة جغرافية أرضية خاصة، ومحضناً بيئياً متميزاً وفراً وخصباً، اختص الله بهما آدم وزوجه، وعزلهما فيها مؤقتاً عن بقية البشر والأقوام المعاصرين لهما.

- النتيجة الاستدلالية :هذا الاختصاص البيئي الغني كان بمثابة "المحضن التثقيفي والتربوي والتعليمي" لآدم وزوجه ليتدربا فيه على وعي التكليف، ومقاومة الغواية، والمسؤولية الأخلاقية قبل الهبوط والامتزاج التام بالاختلاط والتناسل مع القبائل والأقوام الآخرين في جغرافيا الأرض الواسعة بعد خروجهما من تلك البقعة الخاصة.

•

.3الفقه الدلالي للمادة والروح:

- حقيقة الطين والتراب والصلصال :إن هذه الألفاظ في لسان التنزيل لا تشير إلى تشكيل تمثال، بل تعني أن أصل العناصر المادية والمكونات الكيميائية اللاعضوية لجسد الإنسان تعود في جذرها البعيد إلى عناصر هذه الأرض وطينها، وهي المادة التي تتحول عبر الغذاء والنبت إلى مني ونطفة حية. وهذا ما يصدقه خطاب القرآن لجميع البشر الحاليين بأنهم خلقوا من طين: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا} (الأنعام: 2).

- حقيقة التسوية ونفخ الروح :جاء تركيب: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي} ليكون حكاية غيبية لأمر طبيعي جار، أي كشفا للجانب الملكوتي الكامن في الوجود البيولوجي .التسوية هي الاكتمال الجسدي، والتعديل البنيوي الدماغي والنبضي للجنين والطفل في الرحم والسنن حتى صباه. أما نفخ الروح فهو إيداع وتشغيل سر الإدراك، والعقل، وعمل الدماغ الواعي، والأهلية الأخلاقية التكليفية الرسالية. فقصة آدم هي "لسان الأهم والنمذجة المعرفية الكلية "لشرح ماهية الإنسان المخلوق من مادة أرضية (طين) والموصول بالملكوت الأعلى (روح).

- خلق زوجة آدم :خلقت زوجة آدم من ذات طبيعته وجنسه ومادته الرحمية السنننية الطاهرة: {خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} (الأعراف: 189)؛ حيث تفيد "منها" الوحدة النوعية والملاءمة التامة، نافية خرافة خلقها المادي من ضلع أعوج.

الفصل الثاني: بداية النسل والتكاثر البشري الأول (الاتساق البيولوجي وبرهان الامتداد والانقراض السنني)

.1المضمون المعرفي:

يقوم هذا الفصل على الإيمان القاطع بأن الشجرة الجينية للبشرية الحالية تلتقي تاريخيا وموروثيا عند آدم وزوجه حقيقة لا مجازا: {وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} (النساء: 1). وقد شحن لفظ "البث "دلاليا ليفيد التكثير الهائل الفوري بفيض القدرة الربانية المضافة إلى عالم الأمر الكوني، ليطهر النشأة الأولى من رجس القبائح والتلاقح الشائن المنافي للعفة الفطرية.

.2الأدلة الاستقرائية والتصديقية:

- الدليل الأول: حصر التكاثر الحالي في الزوجين الآدميين: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} (النساء: 1). استعمال تركيب الجار والمجرور المقيد {مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} ثم تعقيبه بأمر التفريع المباشر {وَبَثَّ مِنْهُمَا} يحصر النسب الجينومي الممتد للإنسان الحالي في هذه السلالة المصطفاة.

- الدليل الثاني: برهان النشأة من أقوام بشرية موازية: قال تعالى في محكم كتابه: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} (الأنعام: 133). هذه الآية تمثل المرتكز الاستدلالي الحاسم لحل إشكال النسل؛ فهي تنص صراحة على أن البشرية الجارية أنشئت من رحم وذُرية "أقوام آخرين". هذا يعني أن النص القرآني لا ينفي وجود مجموعات، أو قبائل بشرية، أو أشباه بشر كانوا يعاصرون آدم ويشابهونه في الخلق البيولوجي الطبيعي عبر الأرحام.

.3آلية الامتداد الجيني والانقراض التاريخي:

من خلال هذا التأصيل الاستنباطي، يتفكك مأزق "زواج الإخوة بالبطون" الذي يتصادم مع محكمات التنزيه والتكريم: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ}. لقد تزوج أولاد آدم وبناته تلاقحا طبيعيا سننيا شريفا من تلك القبائل والأقوام الموازية المعاصرة لهم.

وبموجب سنن الاستخلاف، والتبديل، والاصطفاء الرباني، انقرضت تلك السلالات والقبائل الموازية وتلاشت جينيا بالكامل عبر التاريخ .ولم يتبق في الشاهد البشري الحالي سوى المورثات والجينات المنحدرة مباشرة من السلسلة الآدمية المصطفاة ذات التكليف الواعي والهداية الرسالية. وبذلك

نستدل بالواقع السنني المشهود على فهم الغيب المستور، حيث يتطابق الجينوم البشري الحالي مع صراحة الحصر القرآني للباقين.

بناء الأبحاث المقاصدية الأخرى على التأسيس القطعي السنني

1. البحث العرضي (اطراد التنزيه والسننية) :يرتكز هذا البحث على عرض آيات البدء على محكم التنزيه القرآني للشريعة عن الفواحش: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}، وأصل سنة التكريم: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}. فاللهم الذي جعل زنا المحارم رجسا يستحيل أن يفتتح مشروع خلافته بآلية تأنفها الفطرة. فلما ثبت خضوع آدم للخلق النطفي وتزاوج نسله مع أقوام انقرضت، تطابق الشاهد مع الغيب وتمت تصفية الإسرائيليات.

2. البحث التعبيري (شحنات البيان الرسالي) :لم تأت لغة التنزيل لتنحت جفافا تشريحيا، بل شحنت تعبيريا؛ فشحن لفظ {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ} بشحنة التواضع والانتباه لضعف المنشأ البيولوجي السائل لقطع دابر الخصومة والكبر. وشحن تركيب {مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} بشحنة المشترك الإنساني العميق ليرى الإنسان في أخيه شقيقا في وعاء الخلق. وشحن تركيب {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي} بشحنة المسؤولية والتكريم العقلي التكليفي.

3. البحث التأثيري (التحريك الفعلي والفاعلية) :تتحول الشحنة النظرية لطهارة البدء السنني إلى طاقة تأثيرية عملية تدفع المكلف دفعا حادا في واقع الأرض لتفعيل المشترك البشري، وصلة الأرحام الشاملة، وإقامة القسط، وقطع دابر البغي والتمييز العرقي والطبقي لأن رأس السلسلة (آدم) مر بذات مراحل الضعف والطفولة النطفية الجارية على الجميع.

4. البحث التربوي (الغاية التزكوية والتعديل السلوكي) :تستهدف نصوص الباب صياغة الثمرة الأخلاقية في باطن المكلف وظاهره بهيبة الرقابة الحاصرة في ختام السياق: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، ليتحقق استقرار النفس وترفعها عن العنصرية لعلمها أن النسيج

البشري نبت بنفخة وطهارة ربانية عليا، مبرأة من الجمود الماهوي المعطل لحركية الرسالة الاهتدائية.

الخاتمة: تقييم علمي وموضوعي ومنهجي للأطروحة

1. مكامن القوة الاستدلالية والاستنباطية:

- الإحكام الأصولي والالتزام بالعموم :نجحت الأطروحة في إثبات أن تعطيل عمومات "خلق الإنسان من نطفة" وتخصيص آدم منها كان تخصيصا بلا مخصص قرآني قطعي، وهو مأخذ أصولي رصين يعيد للفظ القرآني سيادته على المرويات التاريخية.

- التجسير بين الغيب والشاهد (الاتساق العلمي) :قدمت الهندسة التفسيرية هنا توازنا متماسكا حمى "المعجزة والغيب" (في آلية التلقيح البدئي ونفخ الروح)، وأخضع "الجسد الفيزيائي" لـ "السننية الجارية" (الماء والنطفة والتدرج). هذا التوفيق ألغى التصادم التقليدي بين القرآن وحقائق العلم الطبيعي والجينوم البشري الحالي.

- حل عقدة النسل ببرهان الانقراض :يعد استنباط وجود الأقوام الموازية من آية الأنعام ثم ذوبانها وانقراضها جينيا ذروة التماسك المنطقي؛ لأنه رفع التناقض الداخلي بين آيات تحريم الفواحش وبين قصة زواج الإخوة المتوارثة.

- مواجهة النزعة اللفظية التقليدية :ستواجه الأطروحة مقاومة من أصحاب المذهب الحشوي الذين يتشبثون بظواهر معزولة مثل تركيب {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}. لكن رد الأطروحة جاهز بأن اليدين إضافة تكريم واصطفاء لا جارحة ميكانيكية، وأن السياق القرآني يحمل تراخيا زمنيا وسنياً طويلاً تعبر عنه أدوات التراخي في التسوية.

- توكيد المماثلة العيسوية :قد يحاول المخالف صرف آية آل عمران لإثبات أن وجه الشبه هو "الخروج عن القوانين" (عيسى بلا أب وآدم بلا أبويْن). لكن برهاني يظل هو الأقوى؛ لأن عيسى رغم كونه بلا أب نما كنطفة وجنين في رحم، مما يقطع بأن انتفاء الأب لا يعني انتفاء السنن البيولوجية للجسد.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ: (حَقِيقَةُ الْمَلَائِكَةِ وَوَظِيفَتُهُمُ الْغَيْبِيَّةُ فِي الْمَلَكُوتِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد خلق "الملائكة" ووظيفتهم الغيبية التكوينية والتشريعية في الملكوت المشهودة في نصوص التنزيل.
- محل النزاع: كيف نتناول حقيقة الملائكة ووظيفتهم الكونية؟ هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليؤسس ويثبت "كائنات مادية فيزيائية ذات ريش وأجنحة وأبدان طائرية ضخمة تشغل حيزاً جغرافياً" وتقاس على الأبعاد الجسدية للشاهد (ماهية وجودية لفظية حشوية خرافية)، أم جاء ليعبر عن قوى طبيعية آلية صماء كالجاذبية أو مجرد رموز واستعارات نفسية داخلية (ماهية وجودية تأويلية فلسفية حداثية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"؛ وتحول ما هو خلق غيبي موضوعي مستقل من عالم الأمر يعمل لتنفيذ المشيئة الربانية وبسط الرعاية الإلهية بالعباد إلى ساحة لرسم الأشكال الهندسية الحسية أو تجريد الغيب من وجوده الفعلي؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على التفسير الحسي المادي الجاف؛ ويتلقى ركاماً من مرويات الآحاد والقصص التاريخية والإسرائيلية الطارئة والظنية الصدور والدلالة؛ فيقرر أصحابه أن الملائكة أجرام وأجسام فيزيائية كثيفة تشغل حيزاً هندسياً في الفضاء، واصفين أشكالهم، وأطوالهم، وألوان أجنحتهم، وكيفية طيرانهم وصعودهم بأبعاد مادية

قياسية مستعارة من طيور وبشر عالم الشاهد، مدّعين أن هذا هو الجمود على "ظاهر" تراكيب الأجنحة والأبدان المأثورة.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لبنية الخلق النوراني الغيبي مستقلاً بآحاد الكلمات والروايات القصصية الطارئة المعزولة؛ فصدم حتماً بكليات الغيب والتنزيه، وأسقط هذا الخلق الفوقي الهائل في قوانين عالم المادة والكثافة والأبعاد الثلاثية، ووقع في فخ التجسيم التشبيهي الذي يحجم جنود الله الغيبية في أطر الميكانيكا الحسية المحدودة القاصرة للشاهد البشري.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (الفلاسفة القدامى كأصحاب نظرية العقول والفيض، والتيارات الحداثية المعاصرة) في التجريد المادي رداً على خرافات المجسمة وتفادياً لإشكال الذوات الغيبية المستقلة؛ فقرروا تجريد الملائكة من حقيقتهم الخارجية الموضوعية، فزعموا أن "الملائكة" في لسان القرآن مجرد "رموز" أو تعبير مجازي عن "قوى الطبيعة الصماء" (كالجاذبية الكونية، أو طاقة النمو النباتي، أو القوانين الفيزيائية المحركة للمادة)، أو قوى الخير الكامنة سيكولوجياً في باطن وجدان الإنسان البشري.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة اصطلاحية رمزية سيكولوجية ومادية مستقلة ولدت كرد فعل على أزمة الموروث الروائي؛ فبتر النص ونزع من الوحي صدقه الموضوعي الخارجي وحقيقة الملأ الأعلى؛ فصرف التراكيب القرآنية الصريحة والدالة قطعاً على كونهم ذواتاً عاقلة تسبّح وتخاطب وتفعل بالأمر {عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} عن بيانها الذاتي العفوي؛ فأقحم العقل في تجريف الغيب وتحويله إلى مجرد استعارات سيكولوجية جافة ليمتثل لقوانين المادية الوضعية.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان والاعتقاد الجازم بأن الملائكة خلقٌ موضوعي خارجي حقيقي مستقل من عالم الغيب والأمر، عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، جُبلوا على الطاعة التامة وتدبير شؤون الملك بالأمر والمسؤوليّة التعبدية الربانية؛ وتطهير الساحة المعرفية كلياً من الكثافة المادية للحشوية ومن الرمزية الصماء للفلاسفة والحداثيين؛ فالقطع يتطلب إثبات حقيقتهم الموضوعية الغيبية الفاعلة والوقوف عند حدود التسمية والتلقي السامع للنص دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت الحاصر لوصف ذواتهم وعملهم هو التواتر القطعي الحقيقي لمحكم التنزيل، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة الأنبياء]: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}، وتبيان وظيفتهم التكوينية في الملكوت في مطلع [سورة النازعات]: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ حيث جاء التركيب بصيغة إضراب الإثبات الاستدراكي {بَلْ} واقتران صفة العبودية والكرامة والتكليف {عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} وصيغ الأفعال العاقلة المريدة {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ} {يَعْمَلُونَ}، والقرينة التركيبية تقطع دابر الرمزية الصماء للفلاسفة والحداثيين؛ إذ يستحيل لغوياً وعقلاً وصرفاً إسناد القول والعمل والكرامة والعبودية لقوى طبيعية ميتة كالجاذبية، وتثبت الآية الثانية {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} أنهم ذوات غيبية تقوم بتدبير وتصريف شؤون الكون حقيقة بأمر وأذن الخالق الحكيم، وتوقيف المعرفة يلزم التسليم لمدلول إثباتهم الخارجي بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري وللقوانين الفيزيائية الحركية الحالية عن إدراك، أو تكييف، أو تصور كنه مادتهم النورانية الغيبية أو كيفية حركتهم وتمثلهم الملكوتي خارج حدود النص التوقيفي

السامع". العقل البشري كائن محدود محكوم بنواميس عالم المادة الكثيفة والأبعاد الثلاثية الحالية والمشاهدة العضوية القاصرة، وبما أن الملائكة خلق نوراني غيبي مضاف لعالم الأمر والملكوت الرباني المباين للمادة، فإن العقل يعلن عجز أدواته وقوانينه القياسية (كقياس الغائب على الشاهد) عن سبر كنه هذا الوجود اللامادي؛ فالقَطْع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي، والسكوت عما وراء النص، والالتزام بحدود ما سمّاه الوحي المعصوم.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في الحقيقة الغيبية الموضوعية للملائكة يتسق اتساقاً كلياً مع آيات نفي انحصار الوجود في المادة الكثيفة وسُنّة النزول بالوحي والحفظ للمكلفين، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد الفيزيائية الحشوية والرمزية الحداثية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد حقيقة نزول الملائكة بالوحي وتدبير الحفظ في التنزيل: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ}، وأصل سُنّة بسط الرعاية والحفظ الغيبي للمكلفين: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ}، والتراكيب البلاغية الكلية لصفاتهم: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في لسان العرب وتراكيبهم البلاغية الكلية؛ فلفظ "الأجنحة" في تراكيب وبلاغة العرب المعيارية يُستعمل حاصراً للتعبير عن "السرعة، والقدرة، ومستويات الفاعلية والنفاد والتصريف الملكوتي للأمر الفوقي" (تقول العرب في كليات بيانها: هو جناحي في النصرة، وضممت جناح السطوة، وطرت بجناح السفر)، وليس ريشاً طائرياً فيزيائياً حساً ومادة؛ ويتسق هذا ويطرد مع وصفهم بـ {عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} ووصف عملهم الرعائي في حفظ العباد {إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ}؛ فالبيان يطرد بغيب موضوعي فاعل مبرأ من الهياكل الطائرية للحشوية ومن رمزيّة الملحدين، وتتصفى الروافد الطارئة.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن الوجود الشاسع اللامتناهي للأكوان يستحيل وجداناً وعقلاً وفلسفة حصر واختزال أبعاده وعوالمه في حدود عالم المادة الكثيفة الضعيفة التي تراها بصر العين البشرية القاصرة؛ فالفطرة تسكن وتطمئن لوجود جنود، وغيب، وخلق نوراني علوي يحرس النظام الكوني ويدبر شؤونه بطلب وأمر من الخالق الحكيم المهيمن. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يطمئن ويسكن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن العقل يعلن عجز قوانينه الحالية (كالزمان والمكان والمشاهدة العضوية) عن السريان على الخلق النوراني الغيبي، فيسلم للنص، ويتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص وصف الملائكة وأجنحتهم ووظائفهم لم تأتِ لتنحت هياكل مادية حسية أو رموزاً سيكولوجية جافة، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بعظمة، وجلال، ونظام، وفاعلية التدبير الإلهي الملكوتي المحيط بالكون والعباد".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص استعمل تركيب أرقام التعدد للأجنحة {مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} متبوعاً بتركيب الزيادة الطليقة بمشيئة القدرة الإلهية {يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة الفاعلية اللامتناهية، والسرعة الملكوتية النفاذة للأمر الفوقي، وتفاوت مراتب الحفظ والتصريف للغيب المحيط" لتبث في وعيه جلال عظمة جنود الله؛ وشُحِن تركيب صيانة عملهم في قوله: {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} بـ "شحنة الانقياد المطلق، والعبودية النورانية الطاهرة، والنظام الصارم الخالي من الخلل والاضطراب المعرفي أو السلوكي" لقطع حيرة الوعي وتوجيهه نحو تعظيم طاعتهم؛ وشُحِن تركيب الحفظ في

قوله: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ} بـ "شحنة الرعاية الإلهية الدافئة، وأمان الحراسة الغيبية المحيطة بالعبد، وهيبة الرصد والتدوين الكوني لكل خطرات وأعمال التكليف". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالخضوع والهيبة والتأثر بنظام الملكوت، مبرأً من حشو الأشكال الطائرية للحشوية وجفاف الرمزيين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص حقيقة الملائكة ووظائفهم هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الفاعلية، والنظام، والتزام الطاعة الحركية الصارمة للأمر الإلهي، والتحرك بنشاط وحركية كاملة لتجويد الكسب وتطهير العمل حساً وحركة؛ طالما أن حركته مرصودة ومدونة بحراسة غيبية موضوعية قائمة في الملكوت الكوني"؛ فالشحنة التعبيرية (أمان الرعاية وهيبة التدوين النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة في واقع التاريخ والأرض.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية لآيات الباب، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} جاء مسوراً بتركيب الجملة الاسمية المؤكدة بإنّ ولام المزحلقة {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ} متبوعاً بصيغة الفعل الجمعي الحركي للبشر {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية لتجويد الأفعال، وقطع دابر الاستسلام للغفلة والخطأ والخيانة الباطنية أو الظاهرية، والبعث نحو إقامة القسط الذاتي والعمل الصالح لعلمه يقيناً بوجود رصد غيبي حركي مستمر {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب تسخيرهم لتنفيذ التدبير الكوني والشرعي كقوله: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي البلادة، فـ**"تدفع العبد دفعاً حاداً وحركياً للاقتداء بنظام الملأ الأعلى في السرعة والنفاذ وامتثال الشريعة بقوة وصمود وفاعلية، طارحاً الأوهام الفيزيائية الطائرية للحشوية الخرافية والرمزية المادية

الجافة للفلاسفة والحداثيين المعطلين للحقائق الغيبية"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان المنظم الفاعل، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص الملائكة ووظائفهم هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة الرقابة والتدوين وطمأنينة الحفظ والرعاية الملكوتية المتلازمتين، وإخراج طبيعة النفس من حيز الغفلة والهوى الركيك المستهتر إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة والانسجام مع الفطرة السوية.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً للتناغم مع نظام الطاعة؛ فتركيب وصف الملائكة بـ الكرم والنقاء المعرفي والأخلاقي في قوله: {كِرَامًا كَاتِبِينَ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة التنبيه الأخلاقي لتطهير النفس من رذائل الدناءة والخسة والانحراف الأخلاقي حياءً من مصاحبة هؤلاء الكرام المحيطين به غيباً وتعديل سلوك النفس بتذوق حلاوة النزاهة والتعفف"؛ وجاء إثبات طاعتهم المطلقة {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالانقياد والاستسلام الطوعي الواعي لأوامر الشريعة ونبذ التمرد والعصيان والترفع عن رذائل الهوى والشهوات المادية المعطلة للارتقاء الروحي"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي المعجز، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق المعطل لحركية الرسالة الهدائية الشاملة في التاريخ وعزل وعي الأمة.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ كِتَابِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ: (حَقِيقَةُ الشَّيَاطِينِ وَإِبْلِيسَ وَنِطَاقُ تَأْثِيرِهِمُ الْمَعْنَوِيِّ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد وجود "إبليس والشياطين" ونطاق تأثيرهم المعنوي والفكري على الإنسان المشهودة في نصوص التنزيل.
- محل النزاع: كيف نتناول حقيقة الشياطين وحدود قدرتهم؟ هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليثبت للشيطان "سلطة مادية فيزيائية وقوة قهرية تمكنه من ضرب أجساد البشر، وصرعهم، والحلول العضوي المباشر في خلاياهم وعقولهم قسراً" (ماهية وجودية لفظية حشوية خرافية)، أم جاء ليعتبر إبليس مجرد رمز سيكولوجي مجازي لمعنى الشر الكامن في النفس البشرية ولا حقيقة موضوعية خارجية له (ماهية وجودية تأويلية رمزية حداثية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"؛ وتحول ما هو اختبار لإرادة الإنسان وحرية كسبه عبر ترصد معنوي محصور حاصراً بالوسوسة والتزيين الفكري إلى شماعة للخرافات الشعبية والأوهام المادية التي تخدش عقيدة التوحيد وتصدم عدالة التكليف؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الجمود الحشوي الخرافي العوامي)

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على التفسير الحسي المادي الخرافي؛ ويتلقى بقبول مطلق ركاماً هائلاً من مرويات الآحاد والقصص الشعبية والآثار التفسيرية الظنية الصدور والدلالة؛ فيقرر أصحابه أن الشيطان يملك قدرة مادية قهرية على بطش أجساد البشر، وتوليد الأمراض العضوية والعقلية حساً وحركة ومادة، والحلول الفيزيائي في جبلتهم العضوية (تحت دعوى مسّ الشيطان وصرعه للبشر وركل أجسادهم)، محولين الشيطان

إلى قوة مادية موازية ومنافسة لقدرة الله تعالى في الأرض، ومسقطين الخطاب التعبيري للوسوسة الصدرية في قوالب الفيزياء المادية الكثيفة للشاهد.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لنطاق تأثير الغيب الشرير مستقلاً بآحاد الكلمات (كاللمس والمس والمجرى العضوي) والروايات الخرافية الطارئة المعزولة؛ فصدم حتماً وصارخاً بالمحكمات القرآنية القاطعة والنافية نفياً مطلقاً لأي سلطان مادي للشيطان على العباد؛ مما أسقط عقيدة التوحيد في فخ تشريك الفاعلية المادية، وعطل المسؤولية الأخلاقية والبيانية للإنسان بجعل أفعاله نتاج قهر شيطاني خارجي حسي مجهول.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (بعض المتكلمين قديماً والتيارات الحداثية والعقلانية المعاصرة) في التجريد المادي السيكولوجي رداً على خرافات المجسمة والحشوية وتفادياً لإشكال الذوات الغيبية الشريره المستقلة؛ فقرروا إنكار الوجود الخارجي الشاخص لإبليس والشياطين بالكلية، فزعموا أن "إبليس" في لسان القرآن ليس خلاً موضوعياً خارجياً بل هو مجرد "رمز" أو استعارة نفسية لـ "النفس الأمارة بالسوء"، أو القوى النزوعية الشريره الكامنة سيكولوجياً في باطن وجدان الإنسان البشري دون وجود حقيقي مستقل له من جنس الجِن.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة اصطلاحية رمزية وضعية مستقلة ولدت كرد فعل على أزمة الموروث الخرافي الحشوي؛ فبتر النص ونزع من الوحي صدقه الموضوعي الخارجي وحقيقة التحذير من العدو الترصدي المستقل؛ فصرف التراكيب القرآنية الصريحة والدالة قطعاً على حوار إبليس، واستكباره، وقسمه بالغواية، وكونه خلقاً واعيّاً مريداً من جنس الجن {كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} عن بيانها الذاتي العفوي؛ فأقحم العقل في تجريف الغيب التشريعي وتحويل التحذير الإلهي إلى مجرد استعارات سيكولوجية جافة ليمتثل لقوانين الوضعية الحديثة.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان والاعتقاد الجازم بأن إبليس والشياطين خلقٌ غيبي موضوعي خارجي حقيقي من جنس الجِن أصلهم من نار السَّموم، ذوات واعية مريدة اختارت الغواية والاستكبار؛ وأن "نطاق تأثيرهم محصور حاصراً وقاطعاً ويقيناً في الوسوسة، والتزيين المعنوي الفكري، والدعوة للاوهام" دون أي سلطة مادية أو قهر فيزيائي أو صرع لجسد الإنسان أو عقله حساً ومادة؛ وتطهير الساحة المعرفية كلياً من خرافات المس والحلول الحشوية ومن الرمزية السيكولوجية للحداثيين؛ فالقطع يتطلب إثبات وجودهم الخارجي وحصر تأثيرهم في الوسوسة والوقوف عند حدود التسمية والتلقي السامع للنص دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت الحاصر لنفي السلطان القهري المادي وتحديد نطاق الغواية المعنوية هو التواتر القطعي الحقيقي لمحكم التنزيل، ومن أمهات الآيات المحكمة الإعلان القرآني الذاتي الحاسم على لسان إبليس نفسه يوم القيامة في [سورة إبراهيم]: {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم}، وتحديد النطاق الحصري الباطني في [سورة الناس]: {الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ}، وهو نص قطعي الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ حيث جاء تركيب النفي الكلي مسوراً بـ (ما) النافية و(مِن) الاستغراقية لتأكيد النفي الشامل والمطلق لأي قوة قهرية، أو تأثير مادي، أو صرع، أو تحكم فيزيائي للشيطان على أبدان وعقول البشر {مِّن سُلْطَانٍ}، ثم جاء تركيب الاستثناء الحاصر {إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ} ليقصر وظيفته الوجودية كلياً في مجرد التزيين الفكري، والدعوة المعنوية الاختيارية، وبث الأوهام الفكرية

التي يملك العبد بكامل حريته ردها أو قبولها؛ والقرينة التركيبية تقطع دابر خرافات الصرع الحلولي والتحكم المادي الحشوي، وتوقيف المعرفة يلزم التسليم بحدود هذا النطاق المعنوي بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إدراك أو تصور ماهية مادة النار الغيبية لإبليس أو كيفية إلْقاء الوسوسة في صدور وبواطن البشر خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود محكوم بقوانين المادة الكثيفة الحالية والمشاهدة الحسية، وبما أن الشياطين والوسوسة خلق ونظام غيبي مضاف لعالم الأمر والابتلاء الرباني المباين للمادة المشهودة، فإن العقل يعلن عجز أدواته وقوانينه القياسية الطبيعية عن تشريح آلية الإلقاء الفكري المعنوي للغيب في الصدر؛ فالقَطْع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي، والسكوت عما وراء النص، والالتزام بحدود نفي السلطان المادي.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في حصر تأثير الشيطان في الوسوسة الفكرية يتسق اتساقاً كلياً مع آيات حصانة العباد وعدالة التكليف وحرمة الظلم، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد الخرافية الحشوية والرمزية الحداثية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد الحصانة المعرفية والسلوكية للعباد ونفي السلطان القهري عنهم في التنزيل: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}، وأصل سُنّة إلحاق المسؤولية واللوم بالكسب البشري الإرادي: {وَمَا كَانَ لَهُم عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كَانُوا قَوْمًا طَاغِينَ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في لسان العرب وسياقاته؛ فصيغة النفي الحاصرة الكلية {لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} تقطع دابر أي قوة قهرية أو مس مادي أو صرع جسدي للبشر، والابتلاء معلق بالاتّباع الإرادي الواعي {إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ}، ويتسق هذا ويطرد مع قوله {بَلْ كَانُوا قَوْمًا طَاغِينَ} ليوضح اطراد التنزيل في

إلقاء المسؤولية الكاملة على السلوك البشري الإرادي ومدافعة الطغيان الفكري، فبطلت الخرافات الروائية للحشوية التي جعلت الشيطان شماعة للأمراض العقلية أو العضوية أو الجرائم قسراً، وتطهرت الساحة من السيناريوهات الأسطورية ومن الرمزية المادية للحداثيين، واطرد النص محكماً.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والمشترك الأخلاقي الراسخ في عقول وفطرة المسلمين بأن الله الحكيم العادل الرحيم لو سلّط كائناً غيبياً غير مرئي ليركل أجساد البشر، أو يصرع عقولهم، أو يحل في جبلتهم العضوية ويجبرهم على الفواحش والجرائم حساً وقسراً، لبطُل حتماً وعدلاً وفلسفة وتشريعاً مفهوم التكليف، والمسؤولية الإنسانية، ولأصبح العقاب والثواب ظلماً وعبثاً وهو ممتنع قاطعاً على مقام الربوبية؛ فالإنسان يجد في ذاته حرية الإرادة والرد الفكري لخطوات الغواية. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً لنفي السلطان المادي للشيطان، ويعلن العقل عجز أحكامه عن سبر كنه كيفية وسوسة الغيب في الصدور، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص التحذير من الشيطان ووصف وسوسته لم تأتِ لتنحت رعباً مادياً فيزيائياً أو رموزاً سيكولوجية جافة، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بحقيقة العداوة الخارجية الواعية لإبليس، وهيبة المسؤولية الأخلاقية، وحصانة وعزة النفس المؤمنة المستمسكة بالله".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص استعمل أسلوب الحط والتحقير لقوة الشيطان على لسان الشيطان نفسه

بتركيب النفي الحاصر {وَمَا كَانَ لِيَ... مِّن سُلْطَانٍ} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة العزة، والحصانة، واستصغار قوة العدو الغيبي الخارجي وأنه لا يملك ذرة قوة قهرية ضد إرادة الإنسان" لتبث في وعيه جلال الشجاعة والمسؤولية؛ وشُحِن تركيب الأمر بالتلاوم {فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم} ليشحن اللفظ بـ "شحنة الحسم الأخلاقي الصارم وإرجاع التبعات كلها إلى كسب العبد وإرادته واختياره التام" لقطع حيرة النفس الكسولة وتنبيه وعيها؛ وشُحِن تركيب حصر النطاق في قوله: {الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} بـ "شحنة التحديد المعنوي الفكري للغواية الكونية" لتوجيه انتباه المكلف لحراسة باطن فؤاده من الأوهام. هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالحصانة والاعتراف بفيض الإرادة والمسؤولية، مبرأً من خرافات الصرع الحشوية وجفاف الرمزيين الحداثيين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص حقيقة الشياطين ونفي سلطانهم المادي هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو اليقظة الفكرية، وحراسة فؤاده من الأوهام والوساوس، والتحرك بنشاط وحركية كاملة لمقاومة خطوات الغواية وسقوط شماعات الأعذار والقصص الخرافية، والنهوض ببناء مجتمع الصلاح والقيام بالقسط؛ طالما أنه يملك الحصانة التامة والإرادة الحرة الحاكمة فوق وساوس الشيطان"؛ فالشحنة التعبيرية (الحصانة والمسؤولية النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة في واقع التاريخ والأرض.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية لآيات الباب، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب {فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم} جاء بصيغة نهي الزجر {فَلَا تَلُومُونِي} وأمر الحسم الحركي {وَلُومُوا أَنفُسَكُم} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية لمحاسبة الذات، وقطع دابر الاتكال وإلقاء لوم المعاصي والجرائم والأمراض على قوى غيبية خرافية، والبعث نحو اتخاذ مواقف

سلوكية صارمة لتطهير كسبه وعمله في واقع الحياة"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب الاستعاذة الحركية كقوله: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} المسور بتركيب فعل الأمر الحركي والملجأ النوراني الفوري {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي الخوف والبلادة، فـ**"تدفع العبد دفعاً حاداً وحركياً لمقاومة الهواجس الفكرية فوراً والتحرك للاستعصام بحبل الله والعمل بالشريعة بقوة وصمود وفاعلية، طارحاً الأوهام الخرافية لقصص الصرع والمس المادي للحشوية والرمزية المادية الجافة للحداثيين"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الواعي اليقظ الفاعل، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص الشياطين ونفي السلطان هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة المسؤولية عن كسبه وطمأنينة الحصانة والعزة الإلهية العاصمة، وإخراج طبيعة النفس من حيز الغفلة والبلادة الخرافية والتنصل الأخلاقي إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة والانسجام مع الفطرة السوية.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً لتطهير البواطن؛ فتركيب وصف يقظة المتقين عند نزغ الهواجس الفكرية في قوله في محكم [سورة الأعراف]: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة التنبيه الأخلاقي، واليقظة والبصيرة المعرفية الفورية {تَذَكَّرُوا} لتطهير باطن الفؤاد من أوهام التزيين وتعديل سلوك النفس برؤية الحقائق جليّة ناصعة ونبذ الغفلة {فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}"؛ وجاء حصر عمله في التزيين الفكري ليعيد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب

الإلهي المعجز، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق المعطل لحركية الرسالة الهدائية الشاملة في التاريخ وعزل وعي الأمة.

كِتَابُ الآخِرَةِ

الْمَسْأَلَةُ أُولَى مِنْ كِتَابِ الآخِرَةِ وَالْمَعَادِ: (حَقِيقَةُ الْبَعْثِ وَالْمَعَادِ الْجِسْمَانِيّ وَالنَّشْأَةِ الْأُخْرَى)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد "البعث، والإعادة، والمعاد الجسماني، والنشأة الأخرى" للبشر المشهودة في نصوص التنزيل ومتواتر السُنّة.
- محل النزاع: كيف نتناول حقيقة النشأة الأخرى وإعادة العباد للجزاء؟ هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليؤسس ويثبت "إعادة ميكانيكية فيزيائية لذات الذرات الترابية والأجزاء العضوية الأرضية الكثيفة بنفس مقاييسها وقوانينها البيولوجية والفيزيائية الحالية للشاهد كإنبات عجب الذنب حساً" (ماهية وجودية لفظية حشوية)، أم جاء ليعبر عن تلاشٍ روحي مجرد ومعاد معنوي خالص لا حقيقة خارجية للأبدان فيه (ماهية وجودية تأويلية فلسفية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي طرأ تاريخياً عندما عُزل اللفظ الإلهي عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"؛ وتحول ما هو إعلان لخلق جديد ونشأة غيبية مباينة لنواميس الأرض قائمة بعهد وجعل رباني حتمي إلى معادلات بيولوجية جافة وصراعات منطقية للفرق؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الجمود الحشوي المادي الميكانيكي)

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على التفسير الحركي المادي المحدود للفظ المفرد؛ ويتلقى بقبول مطلق ركاماً من أخبار الآحاد والقصص التاريخية والمأثورات الظنية الصدور والدلالة؛ فيقرر أصحابه أن الإعادة والبعث يقتضيان حتماً وحرفاً جمع ذات الأجزاء، والذرات، والخلائط العضوية الأرضية الكثيفة التي بليت وأكلها التراب وتلاشت في عناصر الطبيعة، بنفس نواميس الفيزياء والبيولوجيا الأرضية الحالية للشاهد (مفصلين ذلك بقصص إنبات أجساد العباد من عجب الذنب كالعشب حساً ومادة وحركة)، مسقطين الأبعاد الزمنية والميكانيكية الدنيوية المحدودة على الغيب الأُخروي العظيم.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لبنية الدار الآخرة والنشأة الجديدة مستقلاً بآحاد الكلمات والمرويات الطارئة المعزولة خارج سياق كليات التنزيل؛ فصدم حتماً باطراد التنزيه والقدرة الإلهية المطلقة وتمايز قوانين الأبدية؛ مما أسقط الجلال الأُخروي في قوالب مادية جافة، وحجم الفعل الإلهي المطلق قبل وبعد وجود الزمان والمكان الأرضيين في نواميس البِلى والتركيب الدنيوي المحدود.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (التجريد الفلسفي والمادي العدمي)

- المضمون: غرق هذا الاتجاه في التجريد المنطقي الصرف والعقلنة الباردة رداً على ميكانيكية الحشوية وتفادياً لإشكال جمع الذرات؛ فانقسموا إلى مسارين: تيار الفلسفة المشائية القديمة وبعض الباطنية الذي ذهب إلى جعل المعاد روحياً محضاً، وأن الجنة والنار مجرد أحوال عقلية معنوية داخلية لا حقيقة خارجية لأبدان العباد فيها؛ وتيار المادية الحديثة والإلحادية الوجودية التي ذهبت لإنكار البعث والمعاد كلياً واعتبار الموت هو النهاية العدمية المطلقة والنهائية لحركة الإنسان البشري.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار بشقيه على أطروحات ومنظومات اصطلاحية وفلسفية بشرية مستقلة ولدت كردود أفعال صراعية ومادية؛ فبتر النصوص وصدم صريح المحكمات القرآنية الشاهدة حقيقة لا مجازاً على النشأة الأخرى للأجساد والأرواح معاً لوقوع الجزاء والحساب العادل؛ فأقحم العقل المحدود في فرض قواعد الفناء والصيرورة

العمياء على المشيئة الإلهية، مجرداً الآخرة من حقيقتها الوجودية الخارجية الكبرى وجعلها مجرد رموز أو أحوال سيكولوجية ميتة.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان الجازم واليقيني بالبعث، والإعادة، والنشأة الأخرى للعباد أجساداً وأرواحاً حقيقة لا مجازاً؛ وتطهير الساحة المعرفية كلياً من الميكانيكية البيولوجية للحشوية ومن التجريد الرمزي للفلاسفة؛ فالقطع يتطلب الإيمان بحتمية "الخلق الجديد" والنشأة الغيبية المباينة كلياً لنواميس المادة الأرضية، والوقوف عند حدود التسمية والتلقي السامع للنص دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت الحاصر لإثبات حتمية النشأة الأخرى والبعث الجسماني هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات القدرة الإلهية المطلقة والإنشاء الجديد، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة الواقعة]: {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ}، وقوله في محكم [سورة النجم]: {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ}، وهي نصوص قطعية الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ حيث أطلق الله سبحانه تركيب الإنشاء والتبديل النهائي {عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ} ثم حسم وحصر ماهية هذه النشأة الأُخروية بنفي علم البشر بنواميسها، وقوانينها، وبيولوجيتها بتركيب حاصر قطعي: {فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ}؛ فصيغة {فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ} تسلب العقل البشري بالكلية القدرة على قياس الآخرة بالدنيا أو فرض الفيزياء الأرضية على أجساد البعث (التي جُبلت بقوانين

الأبد فلا تهرم، ولا تبلى، ولا تعتريها العوارض الأرضية)؛ وتثبت الآية الثانية {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ} ثبوت المعاد كنشأة أخرى مستقلة بعهد وجعل إلهي حتمي ملزم للربوبية {عَلَيْهِ}؛ والقرينة التركيبية السياقية تقطع دابر الميكانيكية المادية للحشوية والتلاشي الرمزي للفلاسفة، وتوجب التوقيف والتسليم للبعث والنشأة كما وردا بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري وللقوانين البيولوجية الحالية عن إدراك، أو تكييف، أو تصور ماهية وقوانين أجساد النشأة الأخرى خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود محكوم بقوالب المادة الأرضية الكثيفة وقوانين الفناء والبِلى الحالية للشاهد، وبما أن الآخرة دار مباينة مطلقة لعالمنا (دار الأبد والملكوت)، فإن العقل يعلن عجز أحكامه وتشريحه الحسي وقوانينه الفيزيائية عن سبر مادة الميتافيزيقيا الأُخروية وعناصر الأبدية؛ فالقَطْع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي، والسكوت عما وراء حدود النص، والالتزام بمدلول قوله الحاصر: {فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في كون البعث خلقاً جديداً ونشأة أخرى مباينة يتسق اتساقاً كلياً مع آيات البدء الأول والقدرة والعدالة المطلقة الحازمة، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد الميكانيكية الحشوية والتلاشيات الفلسفية والعدمية المادية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد تشبيه المعاد والإنشاء الأُخروي بالخلق الأول من العدم في التنزيل: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}، وأصل سُنّة المحاجة العقلية ببدء الإنشاء: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في لسان العرب وتراكيبهم البلاغية الكلية؛ فالقدرة التي أوجدت الإنسان والكون من العدم المحض أول مرة {أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} دون حاجة

لذرات مسبقة هي أهون في منطق النص وأرفع رتبة لإعادة الإنشاء والبعث والنشأة الأخرى {عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ}؛ ويتسق هذا ويطرد مع حتمية قيام دار الحساب والعدالة؛ فالبيان يطرد بغيب موضوعي حاسم يحفظ العدل المطلق، وتتصفى الروافد الميكانيكية للحشوية لجمع أكياس التراب حساً، وبطلت عدمية الماديين وتلاشي الفلاسفة؛ فالاطراد السياقي تام ومحكم.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بحتمية وجود دار للعدالة والجزاء المطلق تلتقي فيها النفوس والأجساد التي كسبت وعملت في الدنيا لينصف المظلوم ويُعاقب الظالم الكاسب؛ والعقل يعلن عجز أدواته وتشريحه الحسي وقوانينه الأرضية الحالية عن فرض بلاهتها على مشيئة الخالق وأبدية غيب الآخرة. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن الوعي يجزم بأن مسبب الأكوان قادر على الإنشاء الجديد المباين لنواميس الفناء، فيسلم للبيان القرآني الذي ينفي العبث، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص البعث، والإعادة، والنشأة الأخرى لم تأتِ لتنحت معادلة بيولوجية أرضية أو جمعاً ميكانيكياً جافاً لذرات التراب، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بعظمة القدرة الإلهية المطلقة، وحتمية المصير الأُخروي، وجلال الإنشاء الجديد المبرأ من فناء المادة ونقصها".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص شحن الإعادة بتركيب نفي السبق والعجز والقدرة الفوقية المطلقة

{وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة الهيبة العظمى، والسيطرة الملكوتية الكاملة للذات العلية فوق نواميس الموت والفناء" لتبث في وعيه جلال اليقين بالمصير؛ وشُحِن تركيب الإبهام الجليل الحاصر {فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ} بـ "شحنة التعالي اللامتناهي، وجعل الدار الآخرة في وعي المتلقي داراً مباينة كلياً لقوانين المادة الأرضية الكثيفة تفيض بالجلال والكمال المستور بغيبه" لقطع حيرة الوعي وتوجيهه نحو تعظيم عظمة الإنشاء؛ وشُحِن تركيب العهد الإلزامي في قوله: {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ} بـ "شحنة الحتمية والصدق الإلهي المطلق الذي يجعل البعث حقيقة وجودية لا مفر منها". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالتعظيم واليقين المطلق بالمعاد، مبرأً من حشو الإنبات العشبي الحسي للحشوية وجفاف التلاشي الفلسفي.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص البعث والنشأة الأخرى هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الحركة، والامتثال، والعمل الصالح، وتطهير كسبه وسلوكه حساً وحركة في واقع دار الدنيا؛ طالما أنه يسير حتماً وحركياً نحو مصير وجودي محتوم ونشأة أخرى يواجه فيها جزاء عمله بالمليمتر الأخلاقي"؛ فالشحنة التعبيرية (حتمية الإنشاء الجديد والقدرة النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة في واقع التاريخ والأرض.

- التفصيل اللغوي بلاغي للدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية لآيات الباب، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب المحاجة بالبدء الأول {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} جاء مسوراً بصيغة فعل الأمر الحركي الصريح للحسم {قُلْ} المقترن ببيان العلم المحيط بكل تفاصيل الخلق الحادث {بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية للاستعداد، وقطع دابر الاستخفاف بالمسؤولية أو التعلل بالفناء العدمي المادي المقعد

عن الفعل، والبعث نحو اتخاذ قرارات سلوكية حازمة لإنصاف المظلومين وتشييد صرح البناء في الأرض لعلمه يقيناً بحتمية الإعادة {يُحْيِيهَا}"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب إيجاب النشأة الأخرى بعهد الربوبية {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي الخمول والبلادة، فـ**"تدفع العبد دفعاً حاداً وحركياً للمضي في خط الاستقامة والعمل بقوة وصمود وفاعلية، طارحاً الأوهام الميكانيكية البيولوجية للحشوية الخرافية وعدمية الملحدين وتلاشي الفلاسفة المعطلين لثمرة الحساب الملكوتي"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان المسؤول الفاعل حركياً، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص البعث والنشأة الأخرى هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة المسؤولية والمصير الأُخروي وطمأنينة العدالة المطلقة الحازمة المتلازمتين، وإخراج طبيعة النفس من حيز الغفلة والهوى والاستهتار المادي أو البلادة الحركية الجافة إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة والانسجام مع الفطرة السوية.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً لمشهد الإعادة والبعث؛ فتركيب ربط التبديل والنشأة بغاية التنبيه الأخلاقي في قوله في محكم [سورة الواقعة]: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة التنبيه الأخلاقي الحاسم لتعديل سلوك النفس بالقياس على نشأتها الأولى الحادثة {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ}، وتطهير باطن الفؤاد من رذائل الغفلة والبلادة بالحث الحركي على الذكرى واليقظة الروحية الشاملة {فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ}"؛ وجاء حسم الإعادة بقدرة الخالق المحيط {وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالاعتراف بالتبعات الأخلاقية والترفع عن رذائل الباطل والظلم لعلمها بأن ذاتها

وكسبها سيعاد إنشاءهما في نشأة أخرى قائمة على الحق والعدل المطلق"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي المعجز، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق المعطل لحركية الرسالة الهدائية الشاملة في التاريخ وعزل وعي الأمة.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ الآخِرَةِ وَالْمَعَادِ: (حقيقة البرزخ القرآني: تفكيك وهم الدار البرزخية وإثبات الحاجز الكلي وعدم الرجعة﴾

أولاً: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة :حقيقة وماهية ومقصد دلالة "البرزخ وعرض الأنفس" في نصوص التنزيل، وتفكيك خلط الموروث بين الحاجز الوجودي وبين تفاصيل الحياة بعد الموت.
- محل النزاع :ما هو البرزخ في القرآن؟ وهل يمثل داراً انتقالية حركية تقع فيها حياة وعذاب مادي وجسدي (عذاب القبر الفيزيائي)؟
- الاتجاه الأول :القول بأن البرزخ هو دار وجودية مستقلة تعاد فيها الحياة المادية للأجساد المقبورة في التراب، ويقع فيها القعود، والضرب، والمساءلة اللفظية الحركية (ماهية وجودية لفظية حشوية صدمت قوانين السنن وعطلت مفهوم الحاجز الكلي).
- الاتجاه الثاني :الإنكار الكامل لأي عقاب أو عرض روحي غيبي أخروي، واعتبار نصوص العرض والبرزخ لغواً أو رموزاً بلا واقع (ماهية تجريدية كلامية بترت نصوص الإثبات الغيبي).
- الاتجاه الثالث (المنهجية المقاصدية العرضية – الدكتور أنور غني) :إن موطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن مقاصده وسياقه التعبيري الرسالي والوحدة البنيوية الحاكمة؛ فتحول "البرزخ" من كونه تعبيراً عن حاجز وفصل وجودي محض يقطع صلة الميت بالدنيا تماماً، إلى سيناريوهات قصصية ومقامات لحياة برزخية ترابية مشوهة صدمت بديهة السنن.

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية وأزمتها

1.القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون :يجمد هذا الاتجاه على المأثورات وظنيات الآحاد والقصص التفسيرية، متوهماً أن البرزخ هو "مكان أو دار مادية" تعاد الروح فيها للجسد الترابي البالي داخل القبر حساً وحركة، ليقع عليه ضغط القبر والضرب الميكانيكي، خالطين بين مفهوم الحاجز الوجودي وبين أحوال النفوس بعد الموت.

- وجه الاستقلالية وأزمته :حاول إنشاء عقيدة مستقلاً بروايات تاريخية معزولة؛ فصدم حتماً بوجدان المشاهد والعلم واليقين؛ إذ نرى الأجساد تبلى وتتحلل كيميائياً وتتحول لتراب دون أي أثر حركي. كما صدم هذا التيار التنزيه المطلق للذات الإلهية عن العبث، وحوّل البرزخ (الحاجز الكلي) إلى امتداد مادي للشاهد الأرضي.

2.القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون :غرق هذا الاتجاه (بعض التيارات الحداثية والكلامية المعاصرة) في النفي المطلق رداً على خرافات الحشوية؛ فقرروا إنكار حقيقة الحاجز وعرض الأنفس بالكلية، معتبرين الموت انقطاعاً صامتاً معطلاً لحركية الهداية والرقابة، هرباً من إشكال عذاب القبر الفيزيائي.

- وجه الاستقلالية وأزمته :ولد كرد فعل عقلاني مبتور أدى إلى بتر النص وصرف التراكيب القرآنية الصريحة والدالة قطعاً على حقيقة وجود الحاجز البرزخي الخارجي الموضوعي، وعرض الأرواح والأنفس في ظرفيتها الأخروية؛ فأقحم العقل في التخرص بلا أصل تشريعي.

ثالثاً: التأسيس المقاصدي البنيوي الجديد (صلب البحث القطعي وعماد الاستدلال المنقح)

1.المضمون المعرفي المحكم:

الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان والاعتقاد الجازم بأن "البرزخ" في حقيقته القرآنية هو تعبير عن حاجز وجودي محض، وفصل كلي غيبي موضوعي يفصل بين دار الدنيا ودار الآخرة، ولا علاقة له بتفاصيل الحياة بعد الموت؛ فقضية الحياة بعد الموت هي مسألة أخرى غيبية مستورة ومستقلة وهي عند الله تماماً، ولا تعني رجعة أو صلة بدار الدنيا وبدنها المادي البالي بأي شكل من الأشكال .ويتطلب القطع تطهير الساحة المعرفية كلياً من خرافات "الدار البرزخية وعذاب القبر الفيزيائي الحشوي" ومن الإنكارية الجافة للحداثيين، بالتسليم لمدلول الحاجز المطلق والوقوف عند حدود النص بلا زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

.2الدليل القطعي وثبوته:

المستند اليقيني الصرف الثابت الحاصر لإثبات الحاجز الكلي وعرض الأنفس في معية الساعة هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات الفصل الوجودي والعرض الغيبي، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم سورة المؤمنون} :وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ{، وتبيان العرض الغيبي لآل فرعون في سورة غافر} :النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ .{وهي نصوص قطعية الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

.3الدلالة القطعية وفقه الآيات البنيوي المنقح:

- حقيقة البرزخ كحاجز فصل محض (نفي الرجعة) :النص في قوله }وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ {قطعي الدلالة بنصه الصريح؛ فالبرزخ في لسان العرب والبلاغة القرآنية هو الحاجز الغيبي الفاصل الكلي والمانع من الارتداد أو الرجوع؛ فبالموت يوضع هذا الحاجز المطلق ليقطع صلة الإنسان بالكامل بقوانين المادة والفيزياء الأرضية والبدن الترابي، وينفي نَفياً قاطعاً أي إمكانية للرجوع أو التصل بالدنيا وقبرها المادي، فالبرزخ صفة للحاجز الفاصل لا اسماً لدار حركية تعاد فيها الأجساد.

- فصل البرزخ عن مسألة الحياة بعد الموت :إن الحياة بعد الموت والوعي الأنفسي هي مسألة أخرى مستقلة مستورة غيباً عند الله تعالى، ولا تجوز ممارسة الحشو المعرفي بتحويل الحاجز (البرزخ) إلى مسرح لتفاصيل بيولوجية أو تشريحية للأبدان البالية تحت التراب.

- إحكام آية آل فرعون (المعية والظرفية الأخروية المحيطة بالساعة) :بالتأمل والمراجعة العميقة لبنية التركيب اللغوي في قوله تعالى} :النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ{، ينكشف الإحكام التنزيهي التالي:

  - الواو للمعية والظرفية الحينية لا للترتيب والتراخي :إن واو العطف في قوله }وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ {لا تفيد الترتيب الزمني والتعقيب والفصل التام بين مرحلتين، بل هي واو المعية والظرفية التي تعني (وذلك حين) أو (في وقت)؛ ف العرض على النار هنا هو عرض أخروي قيامي مصاحب لقيام الساعة وملازم له، وليس عذاباً فيزيائياً داخل قبر ترابي دنيوي.

  - الزمن النسبي التعبيري :يعرض آل فرعون على النار عرضاً معنوياً يكشف مصيرهم ويملأ أنفسهم رعباً غدواً وعشياً (وهو زمن نسبي تعبيري لتقريب الفكرة للبشر لأن البرزخ والأخرة لا شمس فيهما ولا قمر)، وذلك في ذات الوقت والحين الذي تقوم فيه الساعة، حيث يمتد هذا العرض المعنوي المحيط بالوعي ليتحول حركياً وحسياً إلى أمر الدخول المادي الشديد} :أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ.{

  - إبطال أثر القبر المادي والتجسيم :القرينة التركيبية الباهرة في الآية تقطع دابر خرافات ضرب الأجساد الترابية؛ لأن النص جعل العرض والعذاب في ظرفية قيام الساعة ومعيتها الأخروية، خالية تماماً بذاتها وصافية من أي ذكر للقبر المادي، أو التراب، أو الأجساد المقبورة؛ فتوقيف المعرفة يلزم التسليم لمدلول الإثبات الروحي الأخروي المحيط بالوعي والنفس دون أي صلة أو رجعة لفيزياء الأرض والشاهد.

- إعلان عجز العقل البشري :تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إدراك أو تشريح الكيفية الروحية الدقيقة للوعي بعد الموت، أو تكييف الزمن النسبي غدواً وعشياً خارج قوانين الشاهد المادية المحدودة". فبما أن الحياة بعد الموت مضافة لعالم الأمر وهي عند الله تماماً، فإن العقل يعلن عجز أدواته الحسية والطبية

عن سبر كنه هذا الإيجاد؛ والقطع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلي والسكوت عما وراء النص والالتزام بالطهارة التنزيهية للحاجز البرزخي الفاصل.

رابعاً: بناء الأبحاث المقاصدية الأخرى على التأسيس القطعي المراجع

1.البحث العرضي (اطراد التنزيه وتكامل الغيب بالشاهد)

ينبني هذا البحث مباشرة على التأسيس القطعي المنقح؛ فالمعرفة القرآنية وحدة منسجمة؛ والقول الفصل في أن البرزخ هو حاجز فصل محض وأن أحوال الموت غيب مستور عند الله يتسق اتساقاً كلياً مع آيات الكرامة ونفي العبث وموجبات العدل التنزيهي} :قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ { وجلال التكريم لجنس النشأة البشرية. نحن نرى في الشاهد اطراد تحلل الأجساد وتلاشيها في التراب دون حركة أو رجعة؛ والقرآن يعرض الغيب من مشكاة الشاهد؛ فيتطابق الشاهد الوجداني والفيزيائي اليقيني مع القول العرضي البنيوي؛ مما يصفي تماماً الروايات الحشوية الإسرائيلية لـ "عذاب القبر المادي التجسيمي داخل البرزخ" وينفي عقم الإنكارية الجافة للحداثيين.

2.البحث التعبيري (شحنات الفصل الكلي والرقابة الربانية)

تأسست لغة الخطاب في نصوص الباب لتكون حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية لبناء وتثبيت وعي الإنسان، لا لنحت قصة تعذيب فيزيائي مرعبة تأنفها العدالة. فشحن تركيب }وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ {بشحنة "الانفصال التام والانقطاع الكلي والمانع المطلق من الرجوع إلى عالم المادة الحاضر لتهيئة النفس للنشأة الأخرى". وشحن تركيب وعيد آل فرعون بـ }يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا {بشحنة "الرعب النفسي والوعي الصارم بالعقاب المصاحب لقيام الساعة" لتقريب هيبة العدالة لقلب المكلف في الشاهد، مبرأ من الجمود المادي للحشوية وجفاف المتكلمين.

3.البحث التأثيري والتربوي (التحريك الفعلي والتعديل السلوكي)

- الحركة والفاعلية :ينبني التأثير حركياً على طهارة وعلو العدل الإلهي؛ فالغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب هي التأثير المباشر والبعث للمتلقي نحو تفعيل اليقظة الأخلاقية، والتحرك لإقامة القسط وصيانة الحياة، طالما أن الإنسان سينفصل بحاجز

كلي (برزخ) يمنع أي رجعة أو تدارك؛ فتتحول الشحنة النظرية طاقة عملية تبعث على الاستقامة الفورية في الشاهد قبل انقطاع الفرصة.

- التعديل السلوكي والتزكية :العلة الغائية القصوى هي صياغة الثمرة الروحية لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة الرقابة، وإخراج طبيعة النفس من بلادتها وتحتّمها المادي الكثيف إلى حيز الاتساق مع الفطرة السوية لعلمها أن النفس والوعي مرصودان تماماً بعين الرقابة الإلهية الحاصرة في ختام السياق} :إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا{؛ فيعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكى متسق الأخلاق والوجدان والعمل في واقع التاريخ والأرض، مبرأ من الجمود الماهوي الجاف للفرق المعطلة لحركية الرسالة.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِ الآخِرَةِ وَالْمَعَادِ: (حَقِيقَةُ الْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد تراكيب وعلامات "الميزان والصراط وحساب الأعمال" يوم القيامة المشهودة في نصوص التنزيل ومتواتر البيان النبوي.
- محل النزاع: كيف نتناول المشاهد الكونية الأُخروية المتعلقة بالحساب والفصل؟ هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليثبت ويؤسس "أجهزة ميكانيكية حديدية ذات كفات حسية توزن فيها الصحف والبطاقات الورقية حساً، وجسراً فيزيائياً ممدوداً فوق جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف تزل عليه الأقدام العضوية حساً وحركة ومادة" (ماهية وجودية لفظية حشوية خرافية)، أم جاء لينكر حقيقة وجودهما الخارجي ويفرغهما كلياً في قوالب العدل المجرد الخالي من الحقيقة الوجودية (ماهية وجودية تأويلية كلامية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي طرأ تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"؛ وتحول ما هو أعلى تجسيد وإعلان ملكوتي لإقامة موازين القسط المعرفية المطلقة والفرز الوجودي النهائي بين خط الحق وخط الباطل إلى قوالب ميكانيكية طفولية وصراعات منطقية جافة للفرق؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الجمود الحشوي المادي الخرافي)

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على التفسير المادي الحاد للفظ المفرد؛ ويتلقى ركاماً من مرويات الآحاد والقصص التاريخية المشوشة والظنية الصدور والدلالة؛ فيقرر أصحابه أن الميزان يوم القيامة هو آلة ميكانيكية لها لسان وكفتان فيزيائيتان توزن فيهما ذرات مادية وأوراق وصحف حقيقية، وأن الصراط جسر هندسي مادي يسير عليه البشر بأبدانهم

الدنيوية حساً وحركة فوق نار جهنم الفيزيائية، واصفين سرعات العبور (فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يسقط حساً بمطارق وكلاليب مادية)، مسقطين أدوات التكميم والجسور الأرضية المحدودة للشاهد على الحساب الملكوتي العظيم.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لبنية الدار الآخرة وحسابها مستقلاً بآحاد الكلمات والمرويات الطارئة المعزولة؛ فصدم حتماً باطراد التنزيه والعدل المعرفي المطلق وتمايز قوانين الأبدية؛ مما أسقط الجلال الأُخروي في قوالب ميكانيكية طفولية تحجم المقادير الغيبية، وحول الحساب التكويني المعجز إلى معمل مادي أرضي يصدم أحكام الوعي والعقل.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (الإنكار والجدل الكلامي الخصومي)

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (المعتزلة وبعض المتكلمين) في التجريد المنطقي الصرف رداً على مجسمة الحشوية وتفادياً لإشكال الآلات المادية في الغيب؛ فقرروا إنكار الميزان والصراط بالكامل كحقائق وجودية خارجية، وزعموا أن الله تعالى يعلم أعمال العباد فلا حاجة لوزنها إطلاقاً، وأوّلوا الميزان بـ"العدل المجرد" الخالي من أي تمثل أو حقيقة ملكوتية فاعلة، ونفوا الصراط كلياً وصرفوا آياته إلى مجرد مجازات ذهنية معزولة عن جلال مشاهدها التعبيرية.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة اصطلاحية بشرية مستقلة ولدت كرد فعل صراعي ومذهبي؛ فجرد النصوص القرآنية من طاقتها التعبيرية والوجدانية الحية المحمولة في البيان الذاتي، والتي صيغت خصيصاً لتفجير هيبة المسؤولية في نفس المكلف، فحوّل مشاهد القيامة العظمى إلى مجرد قضايا ذهنية ومعادلات معجمية باردة لشرعنة مناهج جدلية للفرق عطلت حركية الرسالة.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان والاعتقاد الجازم بثبوت الموازين الإلهية والصراط والمصير يوم القيامة لحساب الأعمال حقيقة لا مجازاً؛ والجزم بأن "الميزان" و"الصراط" في تراكيب لسان العرب وبلاغتهم الكُلية هما "أعلى تجسيد وإعلان ملكوتي لإقامة العدالة المطلقة الحازمة، وتوازن المقادير المعرفية، ومسار الاستقامة والفرز الوجودي النهائي بين الحق والباطل"؛ وتطهير الساحة المعرفية كلياً من الآلات الحديدية للحشوية ومن الإنكارية الجافة للمتكلمين؛ فالقطع يتطلب الإيمان بحقيقة المشهد وحساب مثاقيل الذر والوقوف عند حدود التسمية والتلقي السامع للنص دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت الحاصر لإقامة موازين الحساب وسوق المصير هو التواتر القطعي الحقيقي لآيات الحساب الكوني الشامل، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة الأنبياء]: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ}، وقوله في سوق مصير الطغاة في [سورة الصافات]: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ}، وهي نصوص قطعية الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ حيث جاء التركيب بصيغة الجمع المعرّف بالألف واللام {الْمَوَازِينَ} متبوعاً ومقيداً بوصف القسط المطلق {الْقِسْطَ} (وهو عين العدل القياسي والميزان المعرفي الكلي) ليبين للوعي البشري أن منظومة التقييم الشاملة محيطة بدقائق الأعمال ونفي الظلم نفياً كلياً {فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا}؛ وجاء حسم معيار ثقل الوزن بالحق في [سورة الأعراف]: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ}؛ والقرينة التركيبية تقطع دابر الحرفية الحديدية الحشوية والإنكارية الكلامية، وتثبت الآية الثانية {فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ} السوق الحتمي للمصير، وتوقيف المعرفة يلزم التسليم لمدلول الإثبات الملكوتي الخارجي بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري وللقوانين القياسية الحالية عن إدراك، أو تكييف، أو تصور كيفية تجسد الأعمال والمعاني أو ماهية الموازين والصراط الأُخروي خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود محكوم بنواميس عالم المادة الكثيفة والأدوات القياسية الأرضية، وبما أن الآخرة دار مباينة لقوانين الفيزياء الأرضية (دار الأبد والملكوت)، فإن العقل يعلن عجز أدواته وتشريحه الحسي عن سبر كنه هذه الموازين؛ فالقَطْع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي، والسكوت عما وراء النص، واللتزام بحدود ما سمّاه الوحي المعصوم.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في كون الميزان والصراط موازين قسط معرفية وفرزاً وجودياً يتسق اتساقاً كلياً مع آيات الميزان الكوني وسُنّة المحاسبة الدقيقة ونفي الظلم، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد الميكانيكية الحشوية والإنكارية الكلامية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد استخدام لفظ الميزان كقانون توازن كوني وتشريعي شامل حتى في الدنيا في التنزيل: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ}، وأصل سُنّة المحاسبة بمثاقيل الذر: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في لسان العرب وتراكيبهم البلاغية الكلية؛ فالميزان في الدنيا {وَوَضَعَ الْمِيزَانَ} ليس آلة حديدية ميكانيكية بل هو قانون التوازن والعدل والحق الكوني الحاكم للأفلاك والتشريعات، وبما أن حكمة الحكيم مطردة، جاء الميزان الأُخروي {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ} امتداداً ملكوتياً ذروياً لقانون العدالة المطلقة وقياس ثقل الكسب البشري بالحق {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ}؛ ويتسق هذا ويطرد مع تركيب السوق للمصير {صِرَاطِ الْجَحِيمِ}؛ فالبيان يطرد بغيب موضوعي حاسم يحفظ العدل المطلق، وتتصفى

الروافد الميكانيكية الحشوية لبطاقات الأوراق والجسور الفيزيائية الحادثة، وبطلت إنكارية المتكلمين.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن أعمال الإنسان (الأفكار، والنوايا، والإيمان، والتقوى، والظلم) هي حقائق وقيم معنوية يستحيل لغوياً وعقلاً وفلسفة ووجوداً وزنها بكيلوغرامات مادية أو وضعها في كفات فيزيائية حديدية، بل هي قيم تُقاس بموازين القسط المعرفية الربانية الفوقية؛ والفطرة تجزم بحتمية قيام دار للعدالة والفرز النهائي بين خط الاستقامة وخط الطغيان. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يطمئن ويسكن تماماً للقول العرضي البنيوي؛ لأن العقل يعلن عجز أحكامه وقوانينه الحالية عن تصور ماهية موازين غيب الآخرة، فيسلم للبلاغة القرآنية المعجزة، ويتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص الميزان والصراط ومَشاهد الحساب لم تأتِ لتنحت معاملاً ميكانيكية أو جسوراً هندسية، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بجلال العدالة الإلهية الحازمة القاطعة، ورعب المسؤولية الدقيقة، وحتمية الفرز الوجودي النهائي بين الحق والباطل".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص جاء بلفظ {الْمَوَازِينَ} مجموعاً وموصوفاً بعين العدل {الْقِسْطَ} ومتبوعاً بنفي الظلم الشامل {فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة المهابة المطلقة، ودقة التقييم الملكوتي، واليقين التام بأن المنظومة الإلهية تحصي البواطن والظواهر" لتبث في وعيه جلال خشية الحساب؛ وشُحِن تركيب المحاسبة بالخردل في قوله: {وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ} بـ "شحنة الرعب المعرفي الشديد، والدقة اللامتناهية التي

لا تغادر صغيرة ولا كبيرة من كسب التكليف البشري" لقطع استهتار الوعي؛ وشُحِن تركيب سوق الطغاة في قوله: {فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ} بـ "شحنة القهر، والحسم، والاضطرار الملكوتي، وسقوط السطوة البشرية أمام مسار المصير الحتمي". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالمسؤولية، مبرأً من حشو الميكانيكا الحشوية وجفاف المتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص الميزان والصراط هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو ضبط ميزان حياته وعمله في الدنيا بالمليمتر الأخلاقي، والبعث بنشاط وحركية كاملة لإقامة القسط الاجتماعي والعدالة البشرية الصارمة، والتحرك حساً وحركة لمواجهة الطغيان؛ فالأثر العملي هو جعل المكلف يحاسب نفسه ويزن كسبه بيده قبل أن يُحاسب ملكوتياً"؛ فالشحنة التعبيرية (دقة الحساب والعدالة النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة في واقع التاريخ والأرض.

- تفصيل الدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية لآيات الباب، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب تجسيد الحساب بمثاقيل الذر {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} جاء مسوراً بتركيب الشرط والجزاء الحركي المقترن بصيغة الفعل المضارع الحركي للبشر {يَعْمَلْ} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية لإنتاج أعمال الخير والصلاح ولو كانت بمقدار الذرة، وقطع دابر الاستخفاف بالذنوب أو التكاسل عن الإحسان، والبعث نحو المراقبة الذاتية الحركية الصارمة لكل خطوة وسلوك في واقع الحياة"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب الأمر المباشر بإقامة الوزن في الدنيا الشاهد على المقصد الأُخروي كقوله: {وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} المسور بصيغة فعل الأمر الحركي الصريح {أَقِيمُوا} ونهي الزجر {وَلَا تُخْسِرُوا}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي البلادة، فـ**"تدفع العبد دفعاً حاداً وحركياً لتشييد صرح العدل الاجتماعي ومنع التطفيف والظلم

الاقتصادي والسياسي، طارحاً الأوهام الميكانيكية الحديدية للحشوية الخرافية والإنكارية الكلامية الجافة للمتكلمين المعطلين للمشاهد الملكوتية"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان القائم بالقسط حركياً، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص الميزان والصراط هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة المسؤولية ودقة الحساب وطمأنينة العدالة المطلقة الحازمة المتلازمتين، وإخراج طبيعة النفس من حيز الاستهتار والهوى أو البلادة الميكانيكية الجافة إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة والانسجام مع الفطرة السوية.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً لمشهد الفرز الوجودي؛ فتركيب وصف ثقل الموازين بالفلاح وخفتها بالخسران في قوله في محكم [سورة الأعراف]: {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة التنبيه الأخلاقي الحاسم لتعديل سلوك النفس برؤية عاقبة الظلم والجرأة على آيات الله {بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ}، وتطهير باطن الفؤاد من رذائل الاستهانة بالتبعات الأخلاقية لئلا تقع النفس في الخسران الوجودي المطلق لذاتها {خَسِرُوا أَنفُسَهُم}"؛ وجاء حسم معيار الوزن بـ الحق {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالانحياز الكلي للحق والترفع عن رذائل الباطل والظلم والتشظي المذهبي"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي المعجز، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق المعطل لحركية الرسالة الهدائية الشاملة في التاريخ وعزل وعي الأمة.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ كِتَابِ الآخِرَةِ وَالْمَعَادِ: (حَقِيقَةُ الشَّفَاعَةِ وَمَنَالُهَا الْقَطْعِيُّ الْمُقَيَّدُ بِالْإِذْنِ وَالرِّضَا)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد مفهوم "الشفاعة" ونوالها للعباد المقيد بالإذن والرضوان الرباني المشهود في نصوص التنزيل ومتواتر السُنّة.

- محل النزاع: كيف نتناول مسألة الشفاعة يوم القيامة؟ هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليؤسس لعقيدة وساطة بشرية مستقلة تملك نقض الحكم الإلهي، وتعمل بالمحسوبية السياسية المقاسة على ملوك الدنيا لتخرج الطغاة والمجرمين العتاد من العقاب بالاتكال الصوري (ماهية وجودية لفظية حشوية اتكالية)، أم جاء لينفي منال الشفاعة بالكامل ويجعل العفو ممتنعاً ويحكم بالخلود المطلق لكل عاصٍ (ماهية وجودية تأويلية كلامية وعيدية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي برز تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري الرسالي والتحريكي الأخلاقي"؛ وتحول ما هو "جعلٌ وإذنٌ إلهي تكريمي" لإظهار مقام المعصومين وبسط لطف الله ورحمته على المقصرين المرتضى قولهم وعملهم إلى صك غفران مفتوح يُجرّئ العوام على هدم الشريعة والظلم؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي (الروائي الاتكالي الحشوي)

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على ظاهر آيات الإثبات وبعض أخبار الآحاد والمرويات التفسيرية عازلاً إياها عن شروط الإذن والرضا الصارمة المحكمة؛ فيقرر أصحابه تحويل الشفاعة إلى "واسطة سياسية ومحسوبية ذاتية" مستقلة تملك إلغاء العقوبة الإلهية حساً ومادة؛ فزعموا أن الشفاعة تنال حتى من مات مصراً على الكبائر والظلم، والفساد، وهدم حقوق العباد، وسفك الدماء، بمجرد الانتساب الاسمي أو البكاء اللفظي

الطقوسي، مسقطين معايير المسؤولية الإنسانية الحركية المعهودة في الشاهد على مقام الجزاء الإلهي المطلق.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لنوال الشفاعة مستقلاً بآحاد الألفاظ والأخبار الروائية الطارئة المعزولة؛ فصدم حتماً وصارخاً بآيات العدالة المطلقة ونفي الشفاعة عن الظالمين؛ مما أحدث عطلاً كلياً في المنظومة الأخلاقية للقرآن، وجرّأ العوام على الاستهتار بالشريعة والحدود اتكالاً على وساطة الشفعاء المزعومة، فتحول الوحي إلى صكوك غفران طوباوية.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي (الإنكار الكلامي الوعيدي الخصومي)

- المضمون: غرق هذا الاتجاه (الوعيدية كالمعتزلة والخوارج) في التجريد المنطقي الصارم والوعيد الجاف رداً على اتكالية الحشوية؛ فقرروا إنكار منال الشفاعة لأصحاب الكبائر والمقصرين من الأمة بالكامل، وزعموا أن الشفاعة هي فقط لـ "رفع درجات المطيعين والصلحاء" الذين استحقوا الجنة سلفاً، وأن العاصي مخلد في النار حتماً ولا تناله رحمة ولا شفاعة أبداً؛ وانشغلوا بتأويل نصوص الإثبات وبتر السياقات بتوشيح خطاباتهم بنصوص نفي الشفاعة الكلية الموجهة حاصراً للكفار والجاحدين لشرعنة مناهجهم المذهبية الباردة.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار على أطروحة عقلية وعيدية جافة ومنظومة منطقية مستقلة ولدت كرد فعل صراعي؛ فبتر النص وعزل تجليات اللطف والمغفرة الربانية التمليكية في الآخرة؛ فصرف التراكيب القرآنية الصريحة والدالة قطعاً على الشفاعة المأذونة بإذن الله ورضاه عن بيانها الذاتي العفوي؛ فأقحم العقل المحدود في فرض نسق هندسي جاف يحظر الرجاء ويهدم طاقة النص المعرفية والوجدانية الحية الحافزة للأوبة والاستغفار.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود ''البيان القرآني'' كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان والاعتقاد الجازم واليقيني بأن الشفاعة حقّ ثابت يوم القيامة لرسول الله ﷺ وأهل بيته المعصومين والأولياء المصطفين، وهي "جعلٌ وإذنٌ رباني تكريمي خالص مأذون به فقط لمن ارتضى الله قوله وعمله من المذنبين المقصرين من الأمة (لا الطغاة ومجرمي التاريخ والمصرين على الفساد والظلم)"؛ وتطهير الساحة المعرفية كلياً من الشفاعة الاتكالية للحشوية ومن الإنكارية الوعيدية للمتكلمين؛ فالقطع يتطلب إثبات الشفاعة المقيدة كلياً بالإذن والرضا والوقوف عند حدود التسمية والتلقي السامع للنص دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت الحاصر لشروط النوال البرزخي والأُخروي للشفاعة هو التواتر القطعي الحقيقي لمحكم التنزيل، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة الزمر]: {قُل لِّلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، وتحديد شروطها الصارمة المقيدة في [سورة طه]: {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا}، ونفيها المطلق عن الطغاة في [سورة غافر]: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ}، وهي نصوص قطعية الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {قُل لِّلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} وقوله {إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ حيث جاء التركيب الأول مسوراً بتقديم الجار والمجرور وإفادة القصر والحصر المطلق {لِّلهِ} متبوعاً بلفظ الإحاطة الشاملة {جَمِيعًا} ليقطع دابر أي استقلالية أو ملكية ذاتية للمخلوقين في منال الشفاعة موازاة للمحسوبيات الأرضية، وجاء تركيب الاستثناء المزدوج والمقيد {إِلَّا مَنْ أَذِنَ} {وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} ليقصر ويسجن نفوذها حاصراً في شرطين غيبيين: الإذن الرباني المسبق للشافع ورضا الله الشامل لقول وعقيدة وعمل المشفوع له؛

والقرينة التركيبية تقطع دابر الشفاعة العبثية للحشوية والوعيدية الجافة للمعتزلة، وتوجب التوقيف والتسليم للشفاعة المقيدة ببيان الوحي بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري عن إدراك أو تكييف أو تصور كيفية وقوع هذا الإذن الملكوتي للشافع أو تحديد هويات المعفو عنهم خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود قاصر النظر محصور بقوالب المادة وشروط التملص الدنيوي، وبما أن الشفاعة والمغفرة هي أفعال ملكوتية مضافة إلى مشيئة الله وربوبيته وعلمه ببواطن العباد، فإن العقل يعلن عجز أدواته وقوانينه القياسية عن سبر كنه هذا اللطف الرباني الغيبي؛ فالقَطْع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي، والسكوت عما وراء حدود النص، والالتزام بحدود ما اشترطه المحكم القرآني.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في كون الشفاعة إذناً تكريمياً للمقصرين يمتنع شموله للظالمين يتسق اتساقاً كلياً مع آيات نفي المحسوبية وعدالة الموازين، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد الاتكالية الحشوية والوعيديات النفيية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو حصر الشفاعة في دائرة المرتضين من قِبل الخالق في التنزيل: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ}، وأصل نفي الواسطة والشفيع المطاع عن الطغاة والظالمين حكماً حاسماً: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في أن الشفاعة لا تنقض ميزان العدل؛ فإذا انتفى الشفيع المطاع عن الظالم بنص المحكم الكلي القاطع {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ... شَفِيعٍ يُطَاعُ}، واقترن نوالها بصفة الرضا الإلهي {إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ}، اطرد التنزيل ذاتياً وبلاغياً في أن الشفاعة هي تجلٍ لسُنّة اللطف والمغفرة المسددة للمقصرين الموحّدين الذين لم يبلغوا رتبة الطغيان وهدم الشريعة، ليكون منالها

حافزاً للتوبة والرجوع؛ فثبت بالاضطراد تصفية الروافد الخرافية لصكوك الغفران الاتكالية للحشوية وبطلت وعيدية المتكلمين الحاصرة لرحمة الله، واطرد النص محكماً ناصعاً.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والمشترك الأخلاقي الراسخ في عقول وفطرة المسلمين بأن الله الحكيم المطلق لا يمكن وجداناً وعدلاً وفلسفة وتشريعاً أن يسوي بين المفسد الطاغية والمصلح المستسلم بواسطة شفاعة عبثية تقوم على المحسوبية وعلاقات القرابة المادية؛ وأن الشفاعة المأذونة هي تكريم للشفعاء المعصومين (كأهل البيت) وإظهار حقيقي لمقامهم العلمي، والهدائي، والريادي الفوقي أمام العالمين يوم القيامة ليعلم الخلق رتب الصادقين؛ فالفطرة تسكن وتطمئن للمغفرة المقيدة بالرضا. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن للقول العرضي البنيوي؛ لأن الوعي يجزم بامتناع العبث الكوني في الجزاء، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص الشفاعة والتقييد بالإذن لم تأتِ لتنحت معادلة مصلحية أو واسطة دنيوية جافة، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بجلال السيادة الإلهية المطلقة، وعظمة رتب الشفعاء المصطفين، وبشارة اللطف والرحمة الربانية المعلقة بحبل الرضا".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص استعمل تركيب الاستثناء المزدوج المقيد بنعت الرحمة الواسعة {الرَّحْمَٰنُ} والرضا للقول {وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة الأمل العظيم، وبشارة اللطف والفتح المعرفي لرحمة الله المحيطة بالمقصرين المؤمنين" لتبث في وعيه جلال الرجاء التائب؛ وشُحِن تركيب نفي الشفيع عن الظالمين {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} بـ "شحنة الرعب المعرفي

الشديد، والقهر التام، ونزع معالم الأمان والواسطة والمحسوبية كلياً عن الطغاة والظالمين لتبديد أوهامهم" لتهويل باطن الوعي الخاطئ؛ وشُحِن تركيب الملكية الكلية في قوله: {قُل لِّلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} بـ "شحنة العظمة، والربوبية الفوقية المطلقة المحصنة للقرار الإلهي فوق تخرصات العوام". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف بالهيبة والرضا والتأثر بفيض اللطف، مبرأً من حشو صكوك الغفران الحشوية وجفاف الوعيدية المتكلمين.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص الشفاعة المقيدة هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الحركة لتطهير القول والعمل ليكون نواله مستحقاً لشرط الرضا الإلهي {وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا}، والنهوض بمقاومة خط الظلم والفساد حساً وحركة، وقطع عروق التواكل والاتكال المعطل للفعل والجرأة على المعاصي؛ طالما أن الشفاعة محظورة وممتنعة يقيناً عن الظالمين والطغاة"؛ فالشحنة التعبيرية (شرط الرضا وبشارة اللطف المقيد النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة في واقع التاريخ والأرض.

- التفصيل اللغوي بلاغي للدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية لآيات الباب، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب التقييد برضا القول والعمل {إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} المقترن بتركيب الحصر {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ} يفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية لتجويد الأقوال والأفعال، وقطع دابر الاتكالية والبلادة السلوكية التي أورثها الفكر العوامي الحشوي، والبعث نحو المراقبة الذاتية الحركية الصارمة لكسبه ليكون داخلاً في دائرة المرتضين {لِمَنِ ارْتَضَىٰ} حساً وحركة في واقع الحياة"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب طرد الظالمين الكلي عن نوال الشفاعة الشاهد على المقصد العملي كقوله: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} المسور بتركيب النفي الشامل الصارم الحاسم؛

ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي الجرأة، فـ**"تدفع العبد دفعاً حاداً وحركياً للإقلاع التام عن الظلم والبغي والتعدي على حقوق البشر والترفع عن رذائل الاستكبار السياسي والاجتماعي لعلمه بيقين بامتناع الشفاعة والمطاعية له في الآخرة، طارحاً الأوهام الاتكالية للحشوية الخرافية والإنكارية الكلامية الجافة للمتكلمين المعطلين لمظاهر اللطف الملكوتي"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان الفاعل المستمسك بالعمل الأخلاقي، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

5. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص الشفاعة المقيدة هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة التقييد الصارم بالرضا وطمأنينة المغفرة واللطف المتلازمتين، وإخراج طبيعة النفس من حيز التواكل والبلادة الاستهتارية أو اليأس الوعيدي الجاف إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة والانسجام مع الفطرة السوية.

- مخاطبة النفس الإنسانية: تركيب وصف تقييد الشفاعة بالخوف والخشية من الخالق في قوله في محكم [سورة الأنبياء]: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة التنبيه الأخلاقي الحاسم لتعديل سلوك النفس بربط الرجاء بالخشية والوجل والشفاق المستمر من جلال الربوبية {وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}، وتطهير باطن الفؤاد من رذائل الغرور والجرأة بالاتكال الطقوسي الصوري بجرعة التقوى الكبرى"؛ وجاء حصر ملكية الشفاعة لله {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالانقياد والتعلق التام بالخالق وحده والترفع عن رذائل الأنداد والوسائط المادية البشرية الحادثة"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي المعجز، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق المعطل لروحانية وحركية الرسالة الهدائية الشاملة في التاريخ وعزل وعي الأمة.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ كِتَابِ الآخِرَةِ وَالْمَعَادِ: (حَقِيقَةُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَدِيمُومَةِ الْوُجُودِ الأُخْرَوِيّ الْخَالِدِ)

أولا: عنوان المسألة ومحل النزاع

- عنوان المسألة: حقيقة وماهية ومقصد تراكيب وعلامات "الجنة والنار والأبدية" وديمومة الوجود الأُخروي الخالد المشهودة في نصوص التنزيل ومتواتر السُنّة.

- محل النزاع: كيف نتناول حقيقة دار النعيم ودار العذاب والأبدية؟ هل جاء الخطاب الإلهي في التنزيل ليثبت ويؤسس "نظام لذائذ وآلام فيزيائية مادية بيولوجية محكومة بقوانين الفناء والتشريح الأرضي بذاتها حساً ومادة كمقاييس لقصور ملوك الدنيا" (ماهية وجودية لفظية حشوية كثيفة)، أم جاء ليعبر عن مجرد أحوال سيكولوجية داخلية ورموز واستعارات معنوية لا حقيقة خارجية لها، أو أن الأبدية ممتنعة عقلاً ويلحق الفناء بالدارين (ماهية وجودية تأويلية باطنية وكلامية جهمية)، أم أن النقطة الحرجة وموطن التشظي المعرفي طرأ تاريخياً عندما عُزل اللفظ القرآني عن "مقصد الخطاب وسياقه التعبيري التقريبي والتحريكي الأخلاقي"؛ وتحول ما هو أعلى تمثيل وبشارة ونظام إلهي باقٍ لتفجير أشواق الفطرة نحو التكامل المطلق وبناء العمل الأخلاقي الصارم في الدنيا إلى أطر كثيفة ومجادلات منطقية جافة عطلت غايات الوجود؟

ثانياً: المسارات الاستقلالية الماهوية الوجودية

1. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي اللفظي

- المضمون: يجمد هذا الاتجاه على الحرفية والمادية لآحاد الكلمات والألفاظ المفردة وعزلها عن تراكيبها البلاغية ونفي الكثافة الحادثة عن عوالم الآخرة؛ فيقرر أصحابه تصوير الجنة كنظام حسّي بيولوجي موازٍ حساً وحركة ومادة للملاذ الأرضية، وتصوير النار كفرن فيزيائي ميكانيكي مشتعل بالمعنى الحركي الأرضي المحض، متلقين بقبول مطلق مرويات آحادية غريبة تفصل مساحات، وأحجام، ومقادير ثمار وأشجار الجنة بالمتر والذراع

الأرضي، مسقطين نواميس الفناء والفيزياء الدنيوية المحدودة على الملكوت الأبدي المعجز.

- وجه الاستقلالية وأزمته: حاول هذا التيار إنشاء عقيدة وتحديد لبنية النعيم والعذاب مستقلاً بآحاد الكلمات والمرويات الطارئة المعزولة؛ فصدم حتماً باطراد التنزيه والقطع المعرفي بنفي علم وعقل البشر بماهية ما أُخفي لهم في الغيب؛ مما أسقط الجلال الأُخروي في قوالب مادية كثيفة، وعقلن الأبدية بقوانين الدنيا الفانية، وسلب الدار الآخرة تساميها المعرفي والروحي الفوقي.

2. القول الاستقلالي الوجودي الماهوي التأويلي

- المضمون: غرق هذا الاتجاه في التجريد المنطقي والرمزي رداً على كثافة الماديين وتفادياً للتشبيه؛ فانقسموا إلى مسارين: تيار الفلاسفة الباطنيين والتيارات الحداثية المعاصرة الذي ذهب إلى إنكار الوجود الخارجي الموضوعي للجنة والنار وجعلهما مجرد "أحوال سيكولوجية باطنية داخلية" واستعارات ومجازات نفسية للبشر لا واقع خارجي حقيقي لها؛ وتيار المتكلمين (كجهم بن صفوان والقول بفناء الجنة والنار) الذي فرض قواعد عقلية جافة لحظر حوادث لا نهاية لها منطقياً، زاعماً حتمية فناء الدارين وطي الخلود بعد انتهاء الحساب.

- وجه الاستقلالية وأزمته: اعتمد هذا التيار بشقيه على أطروحات وفلسفات فكرية ومنظومات منطقية مستقلة ولدت كردود أفعال صراعية ووضعية؛ فبتر النص وصدم صريح المحكمات القرآنية الحاسمة للوجود الخارجي الحقيقي والخلود الحتمي المطلق الجاري بمشيئة وعزة الخالق؛ فأقحم العقل المحدود في فرض فرائض الفناء على الأبدية، مجرداً الوحي من صدقه الوجودي وصادماً أشواق الفطرة الإنسانية الموحدة في الأساس نحو البقاء والتكامل الختمي، فتحولت المسألة لمعادلات باردة ميتة للفرق.

ثالثاً: البحث المقاصدي

1. البَحْثُ الْقَطْعِيُّ:

- المضمون المعرفي المحكم: الوقوف التام والكامل عند حدود "البيان القرآني" كما ورد بلسان عربي مبين؛ والإيمان والاعتقاد الجازم واليقيني بأن الجنة والنار حقيقتان وجوديتان خارجيتان غيبيتان موضوعيتان مخلوقتان باقيتان بأمر الله وعزته، وهما دار النعيم المطلق ودار العذاب الحاسم، وأن الخلود والاستمرار فيهما حتمي، وأبدي، ومطلق بمشيئة الربوبية؛ وتطهير الساحة المعرفية كلياً من الكثافة المادية للحشوية ومن التلاشي الرمزي والجفاف الفنائي للفلاسفة والمتكلمين؛ فالقطع يتطلب الإيمان بحقيقة الأبدية الوجودية والوقوف عند حدود التسمية والتلقي السامع للنص دون زيادة حشوية مادية ولا نقصان تجريدي مذهبي.

- الدليل القطعي وثبوته: المستند اليقيني الصرف الثابت الحاصر لإثبات أبدية الخلود والجزاء ونفي علم البشر بماهية النعيم المستور هو التواتر القطعي الحقيقي لمحكم التنزيل، ومن أمهات الآيات المحكمة قوله تعالى في محكم [سورة السجدة]: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، وقوله في حسم ديمومة الخلود في [سورة التوبة]: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، وهي نصوص قطعية الثبوت بالتواتر المطلق المفيد للعلم الضروري للأمة.

- الدلالة القطعية: إثبات أن النص في قوله {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم} وقوله {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} هو قطعي الدلالة بنصه الصريح وجملته التركيبية الحاصرة؛ حيث جاء التركيب الأول مسوراً بصيغة نفي الجنس الشامل والمطلق لعلم أي نفس بشرية {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ} بكنه، وماهية، وعناصر، وبيولوجيا نعيم الدار الآخرة المستور بغيبه الإلهي {مَّا أُخْفِيَ لَهُم} لتبين للوعي البشري أن مسميات الجنة (وإن تلاقت أسماءً مع الدنيا كتقريب بلاغي) هي مباينة حقيقةً وذاتاً ونشأة لنواميس الأرض، وجاء تركيب التأكيد الوجودي في الآية الثانية مسوراً بلفظ الأبد القاطع الحاسم {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} ليفيد ديمومة الوجود بأمر الله وعزته مانعاً تخرصات الفناء الجهمية؛ والقرينة التركيبية السياقية تقطع

دابر الكثافة المادية للحشوية والإنكارية الفلسفية، وتوجب التوقيف والتسليم لعظمة الدارين والخلود كما وردا بلا تصرف.

- إعلان عجز العقل البشري: تقرير القاعدة المعرفية الإبستمولوجية: "العجز التام والكامل للعقل البشري وللأحكام المادية عن إدراك، أو تكييف، أو تصور مادة الأبدية أو كنه وعناصر الخلود الأُخروي خارج حدود النص التوقيفي السامع". العقل البشري كائن محدود محكوم بنواميس عالم المادة الكثيفة وقوانين البِلى، والتغير، والموت الأرضي للشاهد، وبما أن الآخرة هي دار البقاء المطلق والملكوت الصمدي المباين للمادة الفانية، فإن العقل يعلن عجز أدواته وتشريحه الحسي وقوانينه الفيزيائية عن سبر واستيعاب الأبدية؛ فالقَطْع يتحقق بالاعتراف بالعجز الكلّي، والسكوت عما وراء حدود النص، والالتزام بمدلول قوله الحاصر: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ}.

2. البَحْثُ الْعَرْضِيُّ

- الخلاصة المعرفية المتسقة: إن المعرفة القرآنية وحدة بنيوية منسجمة ينفي بعضها الاضطراب عن بعض؛ والقول الفصل في كون النعيم والعذاب حقائق غيبية خارج قوانين المادة الأرضية يتسق اتساقاً كلياً مع آيات النماذج المضروبة للتقريب وعظمة الرضوان الرباني، دافعاً لأي تعارض ومصفياً لكافة الروافد الكثيفة الحشوية والتلاشيات الباطنية والإنكاريات الفنائية الطارئة.

- عرضه على القرآن (الأصل والشاهد): الجذر الكلي والنهر المعرفي الأصيل التأسيسي الحاكم هو اطراد استخدام لفظ "المَثَل" كتركيب تقريبي ونموذج قياسي مضروب لتقريب عظمة ما لا يُرى بما يُرى في التنزيل: {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ}، وأصل سُنّة ربط السعادة المطلقة والنعيم الروحي بجلال القرب والرضا الإلهي ذروةً لكل كسب: {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}. الشاهد القرآني يثبت اطراد التنزيل في لسان العرب وتراكيبهم البلاغية الكلية؛ فالقرآن صدّر مشاهد الجنة بلفظ {مَّثَلُ} والمثل في البلاغة العربية المعيارية الكلية يفيد التشبيه التقريبي للحقائق الميتافيزيقية بأسماء أرضية يعهدها الوعي البشري (كالفواكه والحرير والزنجبيل وعسل مصفى) لتقريب الأثر النفسي

دون تماثل المادية الذاتية بدليل المحكم القاطع {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ}؛ ويتسق هذا ويطرد مع جعل ذروة النعيم وأكبره هو الرضوان والقرب {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}؛ فالبيان يطرد بغيب موضوعي حاسم يحفظ بقاء وأبدية الجزاء الكوني، وتتصفى الروافد الكثيفة للحشوية لقياس الأمتار والقصور البيولوجية، وبطل جفاف التلاشي والرمزية الباطنية وفناء الدارين؛ فالاطراد السياقي تام ومحكم ومستقر ببيانه الفوقي.

- عرضه على الوجدان (الأصل والشاهد): الأصل الوجداني هو البديهة العقلية والبصيرة الفطرية المستقرة في عقول وفطرة المسلمين بأن مسيرة الإنسان الواعي المكرم بالنفخة الروحية العلوية والموصوف بالمسؤولية التكليفية لا يمكن وجداناً، وعقلاً، وعدلاً، وحكمة أن تنتهي بالفناء المطلق أو العبث الوجودي بعد انقضاء الدنيا، وأن بقاء النفس خلوداً وجزاءً هو مقتضى العدل والألوهية المطلقة الحاكمة؛ والعقل يعلن عجز قوانينه الحالية (المحكومة بالبِلى والجاذبية) عن فهم واستيعاب قوانين الأبدية، وتتحرك أشواق الفطرة دوماً نحو التكامل التام والنور الخالد الذي لا نقص فيه. الشاهد الوجداني (البرهان الفطري) يسكن ويطمئن للقول العرضي البنيوي البلاغي؛ لأن الوعي يجزم بامتناع العبث وصحة عمارة دار الحق الخالدة، فيتحقق القطع بتظاهر الشاهدين.

3. البَحْثُ التَّعْبِيرِيُّ

- الرسالة التعبيرية: إن نصوص الجنة والنار والخلود لم تأتِ لتنحت قصوراً مادية بيولوجية أرضية أو رموزاً سيكولوجية ميتة، بل إن الخصائص التعبيرية والروح المعرفية الكلية للخطاب جاءت لتكون "حاملاً رسالياً مشحوناً بأعلى طاقات الشحنة المعرفية النظرية والعقلية الوجدانية المصاغة خصيصاً لبناء وتثبيت وعي الإنسان بعظمة النعيم السعيد الباقي، وفظاعة العذاب الحاسم، وجلال الرضا والقرب الإلهي الأبدي الذي تلبي أشواقه فطرة النفس الواحدة".

- التفصيل الدلالي: بتفكيك نصوص الباب لغوياً وبلاغياً وفق سياقات ولسان العرب المعياري الكلي، نجد أن تركيب الجملة في قوله تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ} شُحِن تعبيرياً وسياقياً بطاقة هائلة؛ فالنص استعمل تركيب نفي العلم المعرفي

{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ} واقتران الإخفاء بغيب الرضا بتركيب {مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ} ليوصل لطبيعة النفس "شحنة الابتهاج والسرور الباطني اللامتناهي، وبشارة البهجة الروحية الشاملة، وتعالي النعيم الأُخروي عن أوهام النقص المادي" لتبث في وعيه جلال الشوق للقرب؛ وشُحِن تركيب غاية الفوز بالرضوان {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} بـ "شحنة التعظيم المطلق، وتوجيه الوعي البشري إلى أن ذروة التكامل والسعادة الأبدية هي الاتصال المعنوي السعيد والرضا المتبادل مع موجد الوجود" لقطع حيرة التعلق بالماديات؛ وشُحِن تركيب التأكيد الختمي {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} بـ "شحنة الأبدية والاستقرار الوجودي الشامل الذي يحقق صِدق وعد الله وحكمته المطلقة". هذا التفصيل اللغوي يثبت أن لغة القرآن لغة تعبيرية رسالية تشحن وجدان وعقل المكلف باليقين والبهجة النورانية الختمية، مبرأً من حشو الكثافة المادية للحشوية وجفاف الرمزيين وإنكارية الفناء.

4. البَحْثُ التَّأْثِيرِيُّ

- الرسالة الحركية والتحريك الفعلي: الغاية الوجودية والمصب النهائي للخطاب الإلهي في نصوص الجنة والنار والخلود هي "التأثير المباشر والبعث والتحريك الحركي والعملي للمتلقي الإنساني نحو الحركة، والامتثال، والعمل الصالح، والجهاد لرفع الظلم والقيام بالقسط، وتطهير كسبه وسلوكه حساً وحركة في واقع التاريخ والأرض؛ طالما أن الدنيا هي الممر الوحيد والمضمار الفعلي لصناعة وتشييد رتبته واستحقاقه الوجودي الأخلاقي في دار الحق والأبدية الخالدة"؛ فالشحنة التعبيرية (يقين الخلود وبشارة النعيم ورهبة العذاب النظرية) تتحول طاقة تأثيرية عملية حاسمة تبعث على الفعل والفاعلية الوجودية التامة.

- التفصيل اللغوي بلاغي للدلالة التأثيرية: بتحليل بنية التراكيب اللغوية لآيات الباب، نكشف كيف يقود النص فاعلية البعث نحو العمل؛ فتركيب تعليق قرة الأعين بالعمل الحركي البشري {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} جاء مسوراً بتركيب التعليل المباشر المقترن بصيغة الفعل المضارع الحركي المستمر للبشر {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ليفجر طاقة تأثيرية عملية حاسمة ترشد المكلف نحو "الحركة الفعلية

لإنتاج طاقات الصلاح، وقطع دابر الخمول والتواكل أو الاتكال الطقوسي الصوري المعطل للفعل، والبعث نحو تحويل براهين الإيمان لواقع حركي وبناء أخلاقي حساً وحركة طمعاً في رتبة الجزاء الأوفى"؛ ويتلاقى هذا تأثيرياً وحركياً مع تركيب الوعيد الحاسم للطغاة كقوله في [سورة النبأ]: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّاغِينَ مَآبًا * لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا} المسور بصيغة تركيب الرصد الكوني {كَانَتْ مِرْصَادًا} ووصف الطغيان {لِّلطَّاغِينَ}؛ ليوصل هذا الإحكام طاقة تأثيرية عملية تنفي الجرأة والبلادة، ف**"تدفع العبد دفعاً حاداً وحركياً للإقلاع التام عن الظلم والبغي وتدمير الفساد في الأرض، والتحرك لامتثال الشريعة بقوة وصمود وفاعلية، طارحاً الأوهام الكثيفة المادية للحشوية الخرافية وعدمية الملحدين وتلاشي الباطنيين وجفاف الفناء الجهمي المعطل لثمرة العمل الأخلاقي"**. فالخطاب الإلهي يحرك الفعل ويبني الإنسان المسؤول الفاعل حركياً في التاريخ، مبرأ من الجمود المادي للحشوية والبرود الجدلي للمتكلمين.

2. البَحْثُ التَّرْبَوِيُّ

- الغاية التزكوية والتعديل السلوكي: العلة الغائية القصوى الحاكمة لنصوص الجنة والنار والخلود هي صياغة الثمرة الأخلاقية والروحية والنفسية المستهدفة لتعديل نزوع المكلف وتطهير باطنه وظاهره بهيبة المسؤولية والمصير الأبدي وطمأنينة العدالة الكونية الشاملة والرضوان المتلازمتين، وإخراج طبيعة النفس من حيز الغفلة والهوى والاستهتار المادي باللذات الفانية أو البلادة الحركية الجافة إلى حيز اليقظة الروحية والتزكية التامة والانسجام مع الفطرة السوية.

- مخاطبة النفس الإنسانية: يتوجه الخطاب الإلهي في تراكيب لسان التنزيل ليخاطب حاصراً "طبيعة النفس البشرية الواحدة المستقرة والثابتة في الأساس في جبلّتها الفطرية السوية"، وهي طبيعة تنبه وتستجيب روحياً وخلقياً لبشارات ومقاصد الخلود السعيد؛ فتركيب وصف تمام النعيم بالرضا المتبادل والخلود في مطلع آية التوبة: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} شحن سياقياً ليوصل لطبيعة النفس الواحدة "قمة الاستقرار الأخلاقي، والراحة النفسية واليقين المستقر بأن الغرض الأسمى من الخلود

السعيد هو تذوق حلاوة الاتساق والتطابق الكامل بين رضا النفس ورضا بارئها {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}، وتطهير باطن الفؤاد من أمراض القلق والوحشة والاضطراب الوجودي بجرعة الفوز العظيم الكبرى {ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}"؛ وجاء تنبيه الاستعداد بالعمل {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ليخاطب وجدان النفس الواحدة بـ**"تنبيهها وتعديل سلوكها بالكامل بالانتقال من رتبة الاستهلاك المادي لمرتبة الإنتاج الأخلاقي الفاعل والترفع عن رذائل الباطل والظلم والتشظي لعلمها بأن ذاتها وكسبها سيلتقيان في نشأة أبدية خالدة قائمة على الحق المطلق وجلال الرضوان"**. وبذلك يعاد صياغة المكلف كإنسان أخلاقي مزكّى متسق الأخلاق والوجدان، وتتحقق المقصدية العليا للخطاب الإلهي المعجز، مبرأة من الجمود الماهوي الجاف للفرق المعطل لروحانية وحركية الرسالة الهدائية الشاملة في التاريخ وعزل وعي الأمة الوجداني والعقلي.

المنهج المقاصدي في العقائد
القطعي العرضي
التعبيري، التأثيري التربوي

دار أقواس للنشر ٢٠٢٦

الطبعة الأولى